بيار روفايل

ماذا فعلت بقلبي

دار الجيل

بيروت

ماذا فعلت بقلبي

بيار روفايل

ماذا فعلت بقلبي

دار الجيل
بيروت

جَميع الحُقوق مَحفوظَة
لِدَارِ الجيل

الطبعة الثانية
١٩٩٠

الإهـــداء

الى كل قلب احب وتعذب ...

الى كل عين أحرقتها الدموع ...

الى كل روح هائمة في مجاهل الهوى والشوق والحنين ...

الى المعذبين ، التائهين ، السائرين في دروب الحياة على الشوك والصخور ...

الى الشموع المشتعلة ، الذائبة في دياجير الظلام ، على مذابح الاشواق ...

الى كل حبيب وحبيبة ...

اهدي هذه القصة !...

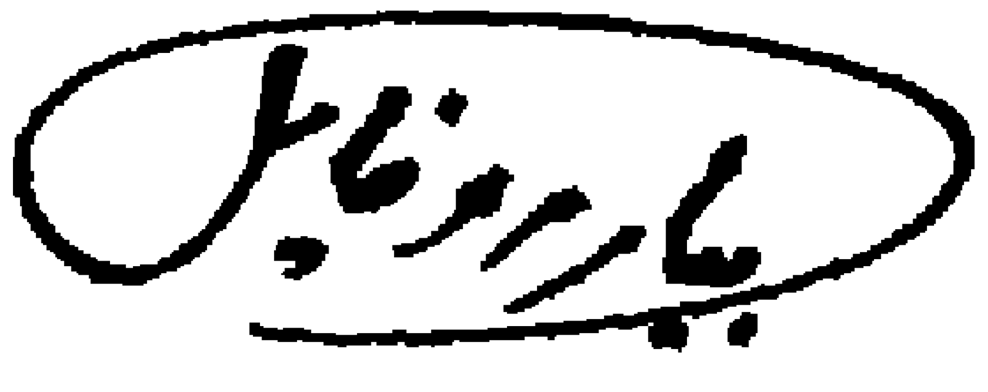

الفصل الأول

القرية اللبنانية الهادئة تغرق في احضان الثلوج الناصعة البياض .

فالفصل فصل الشتاء .

وعام ١٩٥٣ يتأهب للافول مفسحا السبيل امام العام الجديد ليطل على العالم بآمال واسعة وبأحلام فسيحة الارجاء .

ولبنان يهجع في احضان الشتاء تكلل جباله الشماء الثلوج ، وتعري الرياح العاصفة العاتية الهوجاء اشجاره الباسقة ، وتغمر السيول سفوحه وتلاله لتتدفق جداول وانهارا في وديانه الرهيبة الخاشعة الباسمة .

وهنالك في القرية اللبنانية ، في تلك القرية الجاثمة بأمان وسلام واطمئنان في جبال المتن في لبنان ، اقامت ناهدة مجبور على انتظار ممض موجع أليم .

فهي تنتظر عودة حبيبها ماجد زهران من بيروت .

الليلة ، ليلة عيد رأس السنة موعد عودة ماجد الحبيب •
من المؤكد ان ماجدا سيحضر الليلة الى القرية وقد انتهى
الفصل المدرسي الاول •

سيعود ماجد الى القرية ويقضي العطلة المدرسية قرب حبيبته ناهدة، وستنعم ناهدة الحسناء بمرآه بعد ان حرمت منه طيلة ثلاثة اشهر •

وماجد زهران طالب في كلية الطب الفرنسي في بيروت • وهو الان في العام الاخير من دراسة الطب •

في نهاية العام المدرسي سيفوز ماجد ببراءة الطب ويصبح طبيبا ماهرا ويتقدم من حبيب مجبور طالبا يد ابنته ناهدة •

وتتم حفلة الزفاف في جو رائع زاه بهيج •

وطافت هذه الافكار الباسمة البيضاء في رأس ناهدة مجبور ، وهي واقفة وراء زجاج النافذة في غرفتها ، تستعرض الثلوج البيضاء التي تغمر منازل القرية واشجارها وحقولها •

وارتاحت ناهدة كل الارتياح وهذه الافكار تدور في رأسها • إلا ان خاطرا مخر عباب تفكيرها فارتعدت له : ان ماجداً يحبها ، وهي تحبه • ولكن ••• ولكن هل يوافق والده على زواجهما •• انها لتشك في ذلك ، وهي لا تجهل من هو كريم زهران والد ماجد ••

ان كريما يتربع من العنجهية والكبرياء في اعلى مقام ، وهو يريد ان يختار لابنه عروسا تليق بمقامه الرفيع • وربما اختار له احدى نسيباته • ان والد ماجد ثري غني • وداره زينة دور القرية ، انها أقرب الى القصر منها الى الدار •

اما والدها هي ، فهو رجل متوسط الحال ، اقرب الى الفقر منه الى الغنى ، فهو يملك حقلا صغيرا وبستانا صغيرا في القرية ، وايراد الحقل والكرم والبستان يكاد يعجز عن سد نفقات الاسرة الصغيرة •

فهل يرضى كريم زهران بان يتزوج ابنه الطبيب من فتاة فقيرة مثلها ؟••

انها لتخشى ان تصطدم امانيها العذاب واحلامها الوارفة بكبرياء كريم زهران • تخشى ان يقف والد ماجد بينها وبين ابنه ، تخشى ان تستفيق من الحلم الجميل على الحقيقة المرعبة الرهيبة ، لتجد نفسها بعيدة عن ماجد ، بلا حب ، ولا امل ، ولا سعادة ، ولا هناء •

وطالت وقفة ناهدة مجبور الى النافذة وطال تفكيرها•

وتقاذفتها الافكار فكادت تضيع بين الامل واليأس• وبين الرجاء والقنوط •

وكان النهار قد بدأ يتأهب للافول ، وبدأ الظلام يستعد للزحف على لبنان ، والقرية اللبنانية الجاثمة في

اعالي الجبال تهجع بين احضان الثلوج على هدوء وسكون٠

وكان الدخان يتصاعد من مداخن المنازل ، وقد اشعل السكان النار وجلسوا يصطلون بلهيبها ، والسماء تمطر الارض بقطع الثلج ، فتتناثر فوق تلك القرية كأنها قطع من القطن المندوف الناصع البياض ٠

وأقفرت الطرقات الا من بعض الفلاحين الذين كانوا يجتازون تلك الطرقات من حين الى اخر ، في عودتهم الى منازلهم ، بعضهم يحمل الزاد لاسرته ، والبعض الاخر يحمل العلف لمواشيه ٠

ووقفت ناهدة مجبور وراء زجاج النافذة ترمق الطريق العمومي بنظرات حائرة تائهة ولهى من خلال دموعها ، وهي تأمل ان تمر سيارة السائق مروان في ذلك الطريق ، وسيارة السائق مروان هي السيارة الوحيدة في تلك القرية.التي تشخص صباح كل يوم الى بيروت ٠ وتعود في المساء الى القرية خلال فصل الشتاء ٠

اما خلال فصل الصيف فسيارات المصطافين تزدحم في طرقات القرية ، كما تزدحم القرية نفسها بالمصطافين ٠

وكانت ناهدة ترقب ان تطل سيارة السائق مروان وفيها حبيبها ماجد ٠

من المؤكد ان ماجدا سيكون في تلك السيارة ٠ سيعود ماجد الى القرية في سيارة السائق مروان ، ويقيم

قربها طيلة العطلة المدرسية ، ثم يعود في السيارة نفسها ، في سيارة السائق مروان الى بيروت .

وطال انتظار ناهدة مجبور ..

واخيرا ، وبعد انتظار ، سمعت ناهدة هدير السيارة يدوي في ارجاء تلك الوهاد والتلال فيكاد يصم الاذان...

واشتدت نبضات قلبها . وارتجفت ..

واسرعت الى الباب تفتحه وتخرج الى الطريق العام تحت وابل الثلوج المتساقطة على كثافة واندفاع .

ووقفت فوق الثلوج ترقب اقتراب السيارة لتشاهد حبيب القلب والروح .

ترى ايكون ماجد بين ركاب السيارة الهرمة العجوز؟.. اجل اجل . هو بين اولئك الركاب . من المؤكد ان ماجدا عائد في سيارة السائق مروان الى القرية .

واقتربت السيارة منها .. وشاهدت ماجداً يجلس في المقعد الامامي قرب السائق ، فشعرت بان قلبها يكاد يقفز من صدرها.. ورفعت يدها تلوح بها له في الفضاء.. وأشار ماجد الى السائق مروان بايقاف السيارة .

واوقف السائق سيارته العجوز فقفز ماجد منها ، وتابعت السيارة سيرها .

ووثب ماجد الى حبيبته ناهدة فاتحا لها ذراعيه .. وارتمت ناهدة بين الذراعين المفتوحتين .

وتعانق الحبيبان وهما واقفان فوق الثلوج ، وقطع الثلج تتناثر عليهما من كل صوب •

وهمس ماجد في اذن حبيبته ، وهو يشدها الــــى صدره : ناهدة !•• انني في شوق رحيب اليك يا حبيبتي• منذ ثلاثة اشهر ، منذ ان تأيت عنك وانا افكر بك • منذ ذلك اليوم ورسمك الحبيب ماثل امامي ، وطيفك يلاحقني، وهمساتك الشجية العذبة ترن في اذني • كنت في عذاب مؤلم ممض رهيب يا ناهدة • كنت اعد الدقائق والثواني والساعات والايام والاسابيع والشهور وانا ارقب هـــذا اللقاء الجميل • كل ثانية كانت لدي بدقيقة ، وكل دقيقة بساعة ، وكل ساعة بيوم ، وكل يوم باسبوع، وكل اسبوع بشهر ، وكل شهر بسنة •

وضمت ناهدة مجبور حبيبها ماجدا الى صدرهـــا برفق وحنان ، ودموع الفرح ترقرق في عينيها ، وهمست: متى ؟ متى يا ماجد نجتمع اجتماعا بدون فراق ؟ متى يتاح لي ان اظل هكذا قربك ، فلا انفصل ولا ابتعد عنك ؟ متى يا حبيبي تجمع الايام بين جسدينا كما جمعت بين قلبينـــا وبين روحينا ؟ انني لأكاد اذوب شوقا اليك يا ماجد• حالك وانت بعيد عني كانت حال بؤس وعذاب ، وألم وشقاء ، وحالي لم تكن بالفضلى • لا تسلني يا حبيبي كم بكيت ، وكم تألمت ، وكم تعذبت وانا بعيدة عنك • لا تسل يـــا

ماجد كم بكت ، وكم سهرت ، وكم تألمت ، وكم تعذبت.
ناهدة . لا تسل شيئا من هذا ، بل سل قلبك يا ماجـد
وقلبك يصدقك الخبر .

وسارا فوق الثلوج واليد باليد والاصابع متشابكة .

ورافقت ناهدةحبيبها ماجدا وهو في طريقه الى داره.

وهمس ماجد وهو يسير قرب ابنـة حبيب مجبور :
ناهدة !. ان الايام ستجمع بيننا . لن تفرقنا الايام يـا حبيبتي . امامنا الآن ستة اشهر ، ستة اشهر فقط ، ويفوز حبيبك ماجد ببراءة الطب ، ويصبح طبيبا ، يصبح دكتورا، ويتقدم من والدك طالبا يدك ، وتتم فرحتنا الكبرى . لقد سرنا خطوات بعيدة في طريق الصبر والانتظار يا ناهدة ، ولم يعد امامنا الآن سوى خطوات قليلة .

وهمست ناهدة وهي تسير قرب حبيبها فوق الثلوج:
ماجد انني خائفة ، الخوف يغمر قلبي بوشاحه القاتـم السواد .. تسألني يا ماجد لماذا تخافين ؟. وممَ تخافين ؟ انا نفسي لا اعلم لماذا أخاف ، ولا اعلم مما اخاف . يخيل الي ان الايام ستفرق بيننا ، يخيل الي ان الاقدار ستحطم قلبينا ، وتذري آمالنا وأحلامنا وامانينا هباء منثورا فـي الفضاء . انني اخاف الغد ، اخاف المستقبل يا ماجد .
يا حبيبي .

وتمتم ماجد : اطمئني يا ناهدة ، لا تخافي . الغـد لنا كما كان الامس لنا ، نحن لن نفترق ، سنعيش العمر

معا ، ونحيا حياتنا كلها معا .

وكانا قد وصلا امام دار والد ماجد ، فودعت ناهدة حبيبها وعادت ادراجها الى دارها هامسة : الى الغد اذن يا حبيبي .

قال : سأكون عندك في صباح غـــد يا حبيبتي ، وسنصعد معا الى القمة العالية ونتزحلــق فوق الثلوج . انتظريني في داركم الساعة الثامنة من الصباح .

قالت : سأنتظرك يا حبيبي ..

وسارت مبتعدة عنه فوقف يشيعها بنظرات حالمـــة ولهـــى .

وعندما توارت عنه ، دخل الى الدار وهو يحلم بلقاء الحبيبة الولوع في صباح غد .

وفي صباح اليوم التالي كان ماجد زهران في دار حبيبته ناهدة مجبور .

وكانت ناهدة في انتظاره . فأمسك بيدها ، وحمل كل منهما زلاجته على كتفه ، وسارا معا الى القمة العالية البيضاء . وراحا يتزلجان فوق الثلوج والفرحة تغمـــر روحيهما بوشاحها الفضفاض الناصع البياض .

وانقضى الشطر الاول مـــن النهار ، والحبيبـــان منصرفان الى التزلج ، والفرحة تغمر قلبيهما .

وبعد الظهر عادا الى القرية واتجه كل منهما الـــى

داره ليتناول طعام الغداء ، ثم يعودان الى اللقاء •
وكان اللقاء في دار حبيب مجبور • فقد حضر ماجد الى دار حبيبته ناهدة •• واستقبله والدهـا بالترحيب الشديد • وجلسا يتحدثان في بعض الامور الاجتماعيـة والسياسية •
وجاءتهما ام ناهدة بالشاي وبالحلوى • فجلسـا يرشفان الشاي ، ويتناولان الحلوى •
واقبلت ناهدة لتجلس قرب ماجد وتشترك معهمـا بالحديث •
وطالت اقامة ماجد في دار حبيبته حتى المساء •
وفي المساء عاد ماجد الى داره بعد ان تواعد مـع حبيبة القلب والروح على اللقاء في اليوم التالي •
واقام ماجد زهران في القرية عشرة ايام ، كـان خلالها يجتمع بحبيبته ناهدة كل يوم ، فيرسمان معـا طريق المستقبل القريب ، وينسجان من امالهما واحلامهمـا خيوطا مذهبة لامعة وضاحة السناء •
وفي اليوم الحادي عشر ، وثب ماجد زهران الـى حبيبته ناهدة ليقول : ناهدة !• لقد حان موعد الفراق يا حبيبتي • العطلة الجامعية انتهت وانا عائد الى بيروت • انت لن تشاهدي ماجدا قبل ثلاثة اشهر ، ستكـون هذه الاشهر الثلاثة بمثابة ثلاث سنين على قلب ماجد زهران يا

ناهدة • صلي معي الى الله عز وجل كي يساعدنا على احتمال مرارة الفراق ، وعبء البعاد الثقيل •

وأدمعت عينا ناهدة مجبور ، وحبيبها يسكب في اذنيها كلمات الوداع ، وهمست : ماجد !• ارجو ان تذكرني وانتبعيد عني ، كما اذكرك يا حبيبي • نحن سنلتقي كل يوم • كل يوم يا حبيبي عبر الامال والاحلام والخيال • سنلتقي كل ليلة يا ماجد •• كل ليلة ، عندما تدق الساعة معلنة العاشرة من الليل ، سأغمض عيني وأناديك من اعمق اعماق روحي ، واهمس باسمك الحبيب ••• وستكون انت مغمض العينين تناديني وتهمس باسمي • ستراني بعين الخيال قربك يا ماجد ، وسأراك ، وانا مغمضة العينين قربي • ان روحينا ستجتمعان بالرغم من المسافة الشاسعة التي تفصل بين جسدينا • الا تصدق يا ماجد ؟• جرب فتتأكد صحة ما تقول ناهدة •• ما لك الا ان تجرب يا حبيبي •

وضمها ماجد الى صدره برفق وحنان وهمس : سأكون بانتظارك في الساعة العاشرة من كل ليلة يا حبيبتي • الى اللقاء يا روح ماجد • الى اللقاء •••

وانسلخ عنها ، وابتعد ليستقل سيارة مروان السائق الى بيروت •

ووقفت ناهدة مجبور تشيع السيارة بعينين تغمرهما

الدموع حتى توارت تلك السيارة عن عينيها تاركة وراءها اثار عجلاتها فوق الثلوج الناصعة البياض .

وما ان توارت السيارة عن القريـــة ، حتى دخلت ناهدة الدار ، وشخصت الى غرفتها وأوصدت وراءهـــا الباب لترتمي على سريرها وتجهش بالبكاء .

كانت ناهدة في حالة مؤسفة مؤلمة دامية ، كأنهـــا تودع حبيبها ماجدا للمرة الاخيرة .

وطافت في رأسها عشرات الافكار ، وكلها افكـــار سوداء بلون ليالي كانون ...

وحاولت ناهدة ان تطرد من رأسها تلك الافكـــار القاتمة السوداء ، حاولت ان تقنع نفسها بان ماجدا سيعود اليها وبان السعادة ستغمرها بأجنحتها البيضاء الا انهـــا عجزت .

لقد كان اليأس يتغلب في صدرها على الامل .

وكان الظلام يتفوق في قلبها على النور الساطـــع الجميل .

الفصل الثاني

اقام ماجد زهران في معهد الطب الفرنسي في بيروت على شوق وهوى وحنين •

فهو يشتاق الى حبيبته ناهدة ويتوق الى مشاهدتها والى مرآها ••

وكان ماجد زهران يأوي الى غرفته التي استأجرها في «حي اليسوعية» في بيروت ، بعد ان ينتهي الدوام في كلية الطب ؛ ويجلس الى طاولته ليدرس ويكتب ويطالع •

وما ان تعلن الساعة العاشرة من الليل حتى يغمض ماجد عينيه ويهمس : «ناهدة !•• اين انت ؟ انني في اشتياق اليك يا حبيبتي» •

ويهب النسيم العليل على وجهه وشعره ، عبر النافذة المشرعة ، مرسلا حفيفا خفيفا هادئا فيخيل لطالب الطب النجيب ان ذلك الحفيف هو همس ناهدة آتيا اليه مع نفحات النسيم العليل •

ويكاد يسمع صوتها مع نسمات النسيم الباردة يهمس في اذنه : «ماجد !•• يا حبيبي انني فـي اشتياق رحيب اليك » •

ومضت الايام على سرعة واندفاع ، وماجد زهران وناهدة مجبور يلتقيان كل ليلة ، في تمام الساعة العاشرة، يلتقيان ؟•• وهي في القرية النائية البعيدة في جبال المتن، وهو في غرفته الصغيرة في حي اليسوعية في بيروت ؟•

انهما ليلتقيان بالروح ، والروح لا تأبه للمسافات ، ولا تتعرف الى السدود ، ولا الى الحدود الارضية •

ما هناك مسافة بعيدة امام الروح ، والروح تستطيع ان تجتاز البحار ، وان تتسلق الجبال ، وان تهبط الـى الوديان في لمحة بصر ••

وانقضى شهران • وبدأ فصل الشتاء يلملم اطرافـه مندحرا امام فصل الربيع الممرع العاطر الريان ••

وبدأ ماجد زهران يستعد للعودة الى القرية لقضـاء عطلة الفصل المدرسي الثاني •

وعادت الامال والاحلام تغمر قلب ماجـد زهران • بعد شهر واحد فقط سيكون ماجد في القرية ، ويشاهـد حبيبته ناهدة وينعم بعناقها وبقبلاتها وبهمساتها وبنجواها•

وذات ليلة من ليالي شهر اذار ، جلس ماجد زهران في غرفته في حي اليسوعية في بيروت ، ينتظر حلول الساعة

العاشرة ، ليخلو بحبيبته ناهدة ويستمع الى همساتها عبر النسيم البارد العليل •

وأزفت الساعة العاشرة من الليل ، فأغمض ماجد زهران عينيه وهمس : «ناهدة !• اين انت يا حبيبتي ؟ هل تسمعينني يا ناهدة ؟ انا في اشتياق رحيب اليك يا روح ماجد » •

وهب النسيم العليل مرسلا زفيرا نزل في اذني ماجد كالآهات وكالأنين • فكأن ناهدة قربه تبكي وتئن وتتأوه ••

ووجم ماجد ، وقلق واضطرب •• ورأى نفسه مرغما على الهمس : ما بك يا ناهدة ؟ لماذا تبكين يا حبيبتي ؟

كيف تلفظ بتلك الكلمات ؟

ولماذا تلفظ بها ؟

ليس يدري •• فكأن ثمة قوة هائلة رهيبة تحرك لسانه وشفتيه ••• كأن روحه شاهدت في تلك اللحظة روح ناهدة وأحسست بألمها وبعذابها وبشوقها وبحنينها••

واذا بالدموع تنهمر من عيني ماجد زهران المغمضتين، لتتدحرج غزيرة على وجنتيه ••

وفتح ماجد عينيه • وهمس في سره : ما بها ناهدة؟ لماذا تتألم ؟

فكأنه على يقين من ان حبيبته ناهدة تتألم • من

المؤكد ان ناهدة تبكي • وسمعها باذن الروح تئن •

ناهدة تتعذب •• ولكن لماذا تتعذب ناهدة ؟•• ليس يدري ••

ومسح ماجد زهران دموعه بمنديله ، وقد عجب من نفسه كيف يبكي •

وتساءل : لماذا ابكي ؟•• لماذا اسكب الدمع ؟•• لماذا اتألم ؟•• ما بي ؟•• ماذا اصابني ؟•• ماذا دهاني ؟••

وقلب شفتيه ، وهز رأسه وهمس في سره : لست ادري •• لست ادري •

واستلقى ماجد في سريره محاولا النوم ، الا انه لم يستطع الى النوم سبيلا •

افكاره السوداء تبعد الكرى عن عينيه وهواجسه الممضة المقلقة الرهيبة تحول بينه وبين الرقاد ••

وقفز من السرير ••

وتناول علبة التبغ ليسحب منها لفافة القى بها بين شفتيه واشعلها •

وخرج من الغرفة الى الشرفة ، ليجلس على المقعد الخشبي يدخن ويفكر ويراقب النجوم المتبخترة على مسرح القبة الزرقاء بتيه وغنج ودلال ••

وانقضى الشطر الاول من الليل ، وماجد زهران ما زال في جلسته على الشرفة الصغيرة الممتدة امام غرفته

يدخن ويفكر ويراقب النجوم •

وبدأ النعاس يثقل اجفانه ، والساعة تدق معلنـــة الثانية من الفجر ، فنهض ليدخل الى غرفته ويعود الـــى سريره •

وتقلب في السرير الوثير كأنه يتقلب على ابر وشوك•

ولم يستطع الرقاد ، الا وانوار الفجر البعيد تتسرب عبر زجاج النافذة الى غرفته ، وتغمر سريره بلونها الابيض الشفاف ••

ونام ماجد زهران •

نام نوما متقطعا تغمره الاضغاث وتخلع عليه الاحلام المرعبة وشاحها القاتم السواد ••

وعندما استفاق من نومه كانت خيـــوط الشمس الذهبية الدافئة تنسج حول سريره ذوبها اللامع الوهاج••

ووثب من السرير ليرتدي ثيابه على عجل ، ويحمـــل حقيبة كتبه ودفاتره ويسرع الى الكليه ••

ووصل الى الكلية وزملاؤه الطلاب يتأهبون للدخول الى المدرسة ••

واذا بالبواب يناديه : ايها السيد ماجد !• ايها السيد ماجـــد !

والتفت ماجد الى البواب يسأل : ما بك يا نجيب ؟

ورفع نجيب البواب يده في الفضاء قابضة علـــى

رسالة وقال : لك عندي رسالة •• لقد حملها ساعي البريد منذ دقائق قليلة •• تفضل •• خذها •

رسالة ؟•• وممن هذه الرسالة ؟•• من هو هذا الذي يرسل اليه الرسائل الى المعهد ؟••

وبخطوات واهية متئدة ، اقترب ماجد زهران من البواب ، وتناول الرسالة من يده ، وراح يقلبها بين يديه متفحصا عنوانها وخطها ••

وقلق ، وارتعش ، وقد عرف الخط ، خط ناهدة •• هذا الخط خطها •

من المؤكد ان هناك كارثة •• من المؤكد ان ثمة حدثا هاما اهاب بحبيبته ناهدة الى كتابة هذه الرسالة ••

وارتجف ماجد زهران ، وقلق واضطرب ••

وبيد مرتجفة واهية فض ماجد الرسالة وراح يلتهم اسطرها الدقيقة التهاما بعينيه ••

وقرأ ماجد ما جاء في الرسالة ••

وماذا جاء فيها ؟

« حبيبي ماجد !•• اكتب اليك الان والدموع تغمر عيني ، والآهات تكوي شفتي والانين يتكسر على ثغري ، ويدي ترتجف ••

لا اعلم يا ماجد كيف سأبدأ هذه الرسالة • لا اعلم يا حبيبي كيف سأبلغك الخبر المؤلم الدامي الرهيب •

لقد كنت اخاف المستقبل . كنت اخاف ان تقف الايام بيننا فتبعدك عني وتبعدني عنك . وها ان مخاوفي تتحقق يا ماجد فالايام غادرة يا حبيبي . انها لتغدر دائما بالبشر . فهي تغدق عليهم السعادة والهناء حتى اذا آمنوا بها وركنوا اليها ، غدرت بهم ورمتهم بالمصائب والكوارث والهموم ، وملأت عيونهم بالدموع . ونحن ، انا وانت آمنا بالايام ، وركنا اليها يا ماجد ، وقد خيل الينا انها تعطف علينـــا وترأف بنا ، الا اننا استفقنا فجأة على غدرها . استفقنا يا ماجد لنجد الخنجر في ظهرنا . فليأخذ الله بيدنا يـــا حبيبي كي نستطيع ان نصمد امام الكارثة الرهيبة ، وان نحتمل المصاب الهائل الشديد ..

ماجد !.. ساطلعك على كل شيء يا حبيبي . لـــن اخفي عنك شيئا يا ماجد . وسأبسط لك القصة من اولها لتدرك هول المصاب .. فانا يا ماجد لن اكون لك . لا . لقد حكم علينا بالفراق الابدي . انت لن ترى ناهدة بعد اليوم .

تسألني لماذا ؟.. ساقول لك لماذا ؟.. لان هناك من طلب يدي .. انه المغترب سليم الراشد .. سليم الراشد عاد الى لبنان من المهجر القاصي البعيد بعد غياب دام زهاء عشرين سنة ، وهو نسيب والدتي ... زارنا في دارنـــا فاعجب بي وطلب يدي فوافق والدي ووافقت والدتي على

طلبه فورا دون ان يكون لي اي رأي في ذلك . انه غني. غني جدا . وكان غناه السبب الاول والاخير في موافقة اهلي على طلبه . يخيل اليهم ان المال سيسعدني ، وان ثروته الطائلة ستوفر لي الراحة والهناء .. مجانين .. لقد جهلوا ان كل ما في العالم من مال لا يستطيع ان يشتري ذرة صغيرة من السعادة ...

لقد رفضت ان انزل عند رأيهم . رفضت بأصرار ، الا انهم لم يرحموا دموعي ولا اشفقوا علي .. لقد هيأوا كل شيء .. وضربوا موعد العرس . العرس سيكون بعد شهر . بعد شهر واحد ستكون ناهدة محرمة عليك . ستكون زوجة رجل غريب عنها . رجل تربطها به رابطة الزواج وتبعدها عنه رابطة الحب والعطف والحنين . سأكون لزوجي بجسدي اما بروحي فسأكون لك يا ماجد. ستظل روحي قربك يا حبيبي حتى تنعتق من هذا الجسد الترابي الفاني وتنطلق الى السماء..

كل ما اطلب منك الان هو ان تكون شجاعا امام المصاب الاليم يا حبيبي وان تذكرني كما اذكرك حتى الموت . الوداع يا ماجد . الوداع يا حبيبي واسلم للمخلصة ناهدة » .

وكان الذعر قد استبد بطالب الطب وهو يتلو الرسالة المؤلمة الرهيبة ...

واخذ يرتجف كأنه ورقة في مهب الرياح العاصفة العاتية الهوجاء ..

واعاد تلاوة الرسالة والدموع تموج في عينيه ..

ما العمل الان ؟..

هل يشاهد مصرع قلبه ، ومصرع قلب ناهدة ، ويقف مكتوف اليدين ؟.

لا ، وألف لا ..

هو لن يقف متفرجا امام مصرع القلبين النديين . لن يقف مكتوف اليدين . يجب ان ينقذ هذين القلبين من العذاب .

ناهدة لن تكون لرجل سواه . لن يرضى ماجد بان تكون ناهدة لرجل سواه . هو سيتدبر الامر ، وسيعمل جاهدا لأنقاذها ..

وطوى ماجد الرسالة واخفاها في جيبه ، وسار بقدمين واهيتين مرتجفتين الى قاعة الدرس وهو يكاد لا يرى احدا .

وجلس بين زملائه الطلاب .

وكان الاستاذ يلقي عليهم محاضرته الا ان ماجدا لم يستطع ان يفهم شيئا من محاضرة الاستاذ .

كان منصرفا الى التفكير بحبيبته ناهدة .

كان ماجد يفكر بوسيلة تنقذه وتنقذ ناهدة من هذه

الكارثة الرهيبة النازلة بهما ..

وعندما انتهت محاضرة الاستاذ وخرج الطلاب من القاعة ظل ماجد جالسا في مقعده ..

والقي رأسه بين يديه وراح يمعن في التفكير العميق القرار .

وطال تفكير ماجد زهران ، دون ان يستطيع الوصول الى حل للمعضلة ..

واخيرا وبعد تفكير طويل عزم على السفر الى القرية.

يجب ان يشخص الى القرية ، وان يشاهد ناهدة ، وان يتفق واياها على خطة الانقاذ . هو لن يستطيع وحده رسم هذه الخطة وتنفيذها . يجب ان تشترك ناهدة معه في رسم الخطة وفي تنفيذها ..

ولكن .. ولكن هل يستطيع الانقطاع عن دروسه ليشخص الى القرية ؟

لا .. هو لن يستطيع الانقطاع عن الدروس .. ما العمل اذن ؟..

وعاد ماجد الى التفكير ..

وبعد تفكير طويل اهتدى الى الحل . هو سيشخص الى القرية ، ويعود الى بيروت ،بدون ان ينقطع عن دروسه ..

اليوم يوم الجمعة .. وغدا يوم السبت ، وبعد غد

يوم الاحد •• ان يوم الاحد يوم عطلة •• سيشخص الى القرية مساء غد •• مساء يوم السبت •• ان الـــدوام الجامعي ينتهي في الساعة الرابعة بعد الظهر ••

سيستقل السيارة في الساعة الرابعة والنصف ، ويصل الى القرية في الساعة السادسة من المساء •• ويقضي يوم الاحد في القرية ، فيشاهد ناهدة ويرسم واياها الخطـــة الموفقة ، ويتفقان على التنفيذ • ثم يعود صبا ح الاثنين الى بيروت ويتابع دروسه ••

وراقت له الفكرة الموفقة •

ولكن •• وعادت كلمة ــ ولكن ــ تقطع عليـــه الطريق •

ولكن ماذا سيقول له والده وهو يشاهده يعود الى القرية ؟••

فليقل ما يطيب له •• هو سيدّعي امام والده انه نسي بعض اوراقه ودفاتره وكتبه في غرفته ، وما عاد الى القرية الا ليأخذها ويعود بها الى بيروت •

واطمأن ماجد زهران ، وقد وصل بتفكيره الى هذا الحـــد •

واقام يرقب مساء اليوم التالي ، مساء يوم السبت ، بفارغ صبر •

فهو يتمنى لو ان الساعات تنقضي على سرعة واندفاع

ليطير الى حبيبته ناهدة ويضمها الى صدره ويروي غليل اشتياقه اليها ويرسم معها خطة انقاذ قلبيهما الهائمين المتيمين .

وانقضت الساعات ...

وأطل مساء يوم السبت .

وطار ماجد زهران على اجنحة الشوق والهوى والغرام ..

ووصل الى القرية ، والشمس قد توارت وراء تلك الجبال ، والظلام قد بدأ يرخي سجفه على تلك المنازل المبعثرة في حنايا تلك التلال والوديان ..

ومر بدار حبيب مجبور والد ناهدة فاذا الدار تشع بالانوار ..

وسار الى داره ..

ووقف امام الباب يطرقه ..

وفتح الباب ، وأطلت الخادمة عزيزة ..

ودهشت عزيزة الخادمة وهي تشاهد سيدها ماجد امامها ..

وتمتمت : سيدي ماجد ؟ ما اتى بك الينا الليلة ؟..

وتمتم ماجد : اين هو والدي يا عزيزة ؟

قالت : انه هناك ، في قاعة الاستقبال ، يطالع الصحف ..

ودخل ماجد ..

وسارت الخادمة عزيزة امامه وهي تنادي سيدها : سيدي كريم بك !.. لقد عاد سيدي ماجد .. انه هنا ..

ودهش ابو ماجد ..

ونهض محاولا الخروج من القاعة .. واذا به امام ماجد ، وهو يدخل عليه ، والابتسامة تطفو على شفتيه ..

وفتح الاب ذراعيه يعانق ابنه ويهمس في اذنه : اهلا وسهلا .. ما اتى بك الينا الان ؟ لماذا جئت يا ابني ؟.. هل اصبت بمكروه ؟..

وعانق ماجد والده وهمس : لا .. اطمئن يا والدي الحبيب . انا بألف خير . الا انني كنت قد نسيت هنا كتابا قيما ، وبعض الاوراق تحتوي على معلومات مدرسية ، ورأيتني بحاجة اليها فجئت لاراك اولا ، واطمئن الى سلامتك ثانيا ، وآخذ الكتاب والاوراق ثالثا .

وجلس كريم زهران، والتفت الى ابنه ليقول : تعال. تعال يا ابني . تعال اجلس قربي ، واخبرني كيف حالك ، كيف دروسك ، كيف صحتك ؟..

وجلس ماجد قرب والده ليقول : اطمئن يا ابا ماجد.. ابنك ماجد سيصبح طبيبا ماهرا . ستصبح والد الدكتور ماجد زهران ، ما لك الا ان تنتظر ثلاثة اشهر فقط ويصبح «المحروس» ماجد طبيبا يحمل لقب دكتور ويفرح قلبك

به •• انا سأكون بين الفائزين ببراءة الطب في المقدمة •

قال الوالد : ان شاء الله يا ابني • ان شاء الله •

قال ابو ماجد هذا ، ونادى اليه الخادمة : عزيزة !•• تعالي •• تعالي يا عزيزة •

وجاءت عزيزة لتقول : بماذا يأمر سيدي ؟

قال : هل هيأت عشاء فاخرا للدكتور ماجد ؟

قالت : انني اهيىء العشاء يا سيدي •

قال : اسرعي يا عزيزة •

وأسرعت عزيزة ••

وبعد قليل كان الوالد والابن يجلسان الى المائـــدة ليتناولا طعام العشاء ، ويتحدثان •••

وكان ماجد يتحدث الى والده وافكاره هناك عنـــد حبيبته ناهدة ••

كان ماجد منصرفا الى التفكير بناهدة وبما سيكون في الغد ••

هو لن يستطيع ان يراها الليلة ، ولا ان يجتمع بها • عليه ان ينتظر بزوغ فجر غد ••

غدا مع بزوغ الصباح سيجتمع بها وسيتحدث اليها طويلا ويحلان المعضلة الجسيمة ••

وانتهى الوالد والابن من تناول العشاء •

ونهضا ليعودا الى الجلوس فـــي قاعة الاستقبال ،

وينصرفا الى تبادل الاحاديث .

وفي الساعة العاشرة من الليل نهض ابو ماجد ليدخل الى غرفته ويستسلم للرقاد ...

ودخل ماجد الى غرفته ولكن لا لينام بل ليجلس فيدخن وينصرف الى التفكير ..

وطال تفكير ماجد الى ساعة متأخرة من الليل .

كانت افكاره متضاربة ثائرة كأنها خضم واسع هائج متلاطم الامواج .

ولم يستطع ماجد زهران ان يستسلم للرقاد الا والليل قد قارب الافول ..

ونام ماجد ، نام وهو يفكر بناهدة ..

وعندما استفاق في الصباح ، كانت افكاره عند ناهدة ، فكأن ناهدة الهواء الذي ينشقه ، والمياه التي يرشفها ، والنور الذي يكحل عينيه ..

ونهض ماجد من السرير .

والقى بنظرة سريعة على الساعة المشدودة الى معصمه فاذا بها تشير الى الثامنة من الصباح ..

وارتدى ثيابه على عجل ، وخرج من الغرفة ، ليجد والده بانتظاره على الشرفة ..

واتجه الى الشرفة ليجلس قربه يرشف معه قهوة الصباح ويتبادلان الاحاديث ..

ثم تناول مع والده طعام الصباح وخرج من الدار متجها نحو دار حبيب مجبور .

وعاد ماجد الى التفكير ، وهو يسير في الطريق نحو دار حبيب مجبور : ماذا عليه ان يفعل الان ؟.. هل يدخل الى دار حبيب مجبور ؟..

لا ، لا يجوز ان يدخل الى تلك الدار .. دار حبيب مجبور اصبحت محرمة عليه ..

ثم .. ثم قد يكون خطيب ناهدة ، سليم الراشد هناك . وهو لا يريد ان يشاهد هذا الرجل الذي يحاول ان يسلبه حبيبته ناهدة . لا يريد ان تقع عيناه على سليم الراشد ، وسليم الراشد هذا سبب مصيبته وبلواه ..

ماذا عليه ان يفعل اذن ؟.

وكيف سيستطيع مشاهدة ناهدة والتحدث اليها ؟.

ليس يدري . ليس يدري ..

وسار .. سار نحو دار ناهدة وهو يفكر ..

ووصل الى امام تلك الدار ... واذا به يشاهد ناهدة تقف على الشرفة ..

وشعر ماجد زهران بالارتعاش وبصره يقع على حبيبة القلب والروح من بعيد .

شعر بركبتيه تصطكان وتكادان تعجزان عن حمله.

وشعر بقلبه يسرع النبضات ..

ووقف . وراح يحدق بناهدة والدموع تترقرق في عينيـــه ..
وشاهد ماجد ناهدة تلتفت اليه فاشتد به الارتجاف..
ولاح من ناهدة انها شاهدته .
ها هي تحدق به ...
وها ان يدها ترتفع في الفضاء ملوحة له بها ...
ثم .. ثم ها هي تسرع بالدخول الى الدار ..
ثم .. ثم ماذا ؟
ثم ها هي تخرج من الدار وتسير مسرعة اليه ..
واسرع اليها ..
وتلاقيا هناك ، تحت اغصان شجرة السنديان الوارفة الظلال .. ومد ماجد زهران يدا مرتجفة باردة يصافـــح بها ناهدة ..
وشعر باصابعها ترتجف بين اصابعه المرتجفة ..
وحاول ان يتلفظ بكلمة ، بكلمة واحدة.الا انه عجز عن النطق بحرف . لقد تكسرت الكلمات-على شفتيه ...
وحال ناهدة لم تكن افضل من حاله .
لقد حاولت ناهدة الكلام ، حاولت ان تنطق بحرف، الا ان العبرات خنقتها ، فتلاشت الكلمات على شفتيها ..
واغرورقت العيون الاربع بالدموع ..
وارتمت ناهدة على صدر حبيبهـــا ·ماجد واجهشت

بالبكاء ..

ومرت فترة قصيرة وناهدة على صدر ماجد تبكي بدموع غزيرة ملتهبة حمراء ..

واخيرا رفع ماجد رأس حبيبته ناهدة عن صدره وهمس : ناهدة !.. نحن هنا في الطريق العام . تعالي .. تعالي يا حبيبتي نشخص الى هناك ، الى فوق ، الى التلة العالية حيث كنا نجلس دائما بعيدين عن العيون النهمة الجائعة العطشى .. تعالي يا حبيبتي تعالي .

ومسحت ناهدة دموعها بمنديلها الناصع البياض وهمست : ماجد !.. سر امامي ، اسبقني الى فوق ، الى الربوة العالية ، انا لم اعد استطيع ان اسير واياك جنبا الى جنب ، وقد خطبت لسواك . انظر يا ماجد ، انظر .

قالت ناهدة هذا ، ورفعت يمناها الى عيني ماجد .

ووجم ماجد زهران ، وهو يشاهد في بنصر ناهدة المحبس الماسي اللامع.. ناهدة خطبت اذن .. هي مخطوبة الان ؟.

وعض ماجد شفته السفلى حتى كاد يدميها .. وهمس : لا بأس يا ناهدة .. انا سائر امامك الى الربوة. سانتظرك هناك يا حبيبتي .

قالت : سألحق بك بعد قليل يا ماجد .

قالت ناهدة هذا ، وسارت مسرعة الى الدار ..

وتابع ماجد سيره متسلقا السفح الاخضر الى الربوة الهادئة الهاجعة بين اغصان العفص والسرو والسنديـــان والشربين ••

ووصل الى فوق •••

وجلس تحت اغصان الشجرة الباسقة العجوز ، حيث كان يجلس دائما مع ناهدة ••

الفصل الثالث

كانت الازهار البرية قد بدأت تنبت في التلال والوديان • وكانت الحشائش الخضراء قد بدأت تكسو الوهاد والسفوح • فالربيع بدأ يتأهب للبزوغ ، وازهار الحقول وورودها واعشابها بدأت تفرش البساط المتعدد الالوان امام الربيع العاطر الريان •

وراح ماجد زهران يستعرض تلك المناظر الطبيعية الرائعة الفاتنة ، وهو جالس تحت تلك الشجرة العجوز ، ينتظر حضور حبيبته ناهدة ••

وشاهد ماجد حبيبته ناهدة تتسلق الطريق آتية اليه من بعيد ، كأنها زهرة بين تلك الزهور ، فراح يحدق بها متتبعا خطواتها خطوة خطوة •••

واقتربت من الغابة ••

وتوغلت بين الاشجار ، ماضية في سيرها نحوه ، فكانت تظهر لعينيه حينا من خلال تلك الاشجار ، لتختفي

احيانا وراء الاغصان الوارفة الخضراء •

ووصلت اليه بعد مسير قليل • فوقف فاتحا لهما ذراعيه •

وارتمت ناهدة بين الذراعين ، فضمها الى صدره برفق وحنان ، هامسا في اذنها : هكذا سنظل معا أبد الدهر يا حبيبتي • يا ناهدة •

وهمست ناهدة وهي تطوقه بذراعيها : هذه هي المرة الاخيرة التي اراك فيها يا ماجد ••• لقد انتهى كل شيء ••• انتهى كل شيء يا حبيبي •••

قالت ناهدة هذه الكلمات القليلة ، واخذت تجهش بالبكاء كالاطفال ••

وراحت اصابع ماجد تداعب شعر ناهدة الحريري وهمس : ناهدة !• لا تكوني متشائمة يا حبيبتي • نحن لن نفترق• لن نبتعد عن بعضنا يا ناهدة •• سنظل العمر كله معا • سنحيا معا ونموت معا ، سنحيا معا هنا على هذه الارض ، وهناك في العالم الثاني ، في عالم الارواح يا حبيبتي ، حيث لا هم ، ولا ألم ، ولا دموع •

قالت وهي تمسح دموعها بكفها : قد نستطيع ان نحيا معا هناك في العالم الثاني ، في عالم الارواح يا ماجد• اما هنا ، على هذه الارض ، فنحن لن نستطيع ان نحيا معا ••• لقد حكم علينا بالفراق ••• لقد صدر الحكم

علينا بالشقاء وبالعذاب مدى الحياة . انه حكم هائل رهيب يا حبيبي ، حكم مبرم ، لا استئناف فيه ، ولا تمييز .

وامسك ماجد بيدها ليجلس على بساط من الاعشاب ويجلسها قربه ...

وارتاحت يدها بين يديه ... وهمس : ناهدة !... اخبريني ماذا حدث ؟ كيف حدث كل هذا في هذه المدة الوجيزة ؟...

قالت : لقد رويت لك كل شيء في رسالتي يا ماجد. انا لم أخفِ عنك شيئا يا حبيبي .

قال : انت لن تكوني لسوى ماجد يا ناهدة . انت لن تتزوجي من سليم الراشد ، انني لأفضل الموت على ان اراك وانت لرجل غيري .

قالت : وانا ايضا افضل الموت على ان اكون لرجل غيرك يا حبيبي ... لولا خوفي من العقاب ، لكنت تناولت السم ، وارتحت من عذابي الموجع الاليم .

قال : لا. لن تنتحري يا ناهدة ، لن تنتحري يا حبيبتي . نحن سنعيش معا كما قلت لك ..

قالت، والدموع تموج في عينيها النجلاوين : لقد فات الاوان يا حبيبي . ناهدة اصبحت محرمة عليك ... انني لأخالف نداء الضمير ، وانا اخلو بك الان . لم اعد املك حق الخلوة بشاب غير خطيبي ، الا ان اشتياقي وشوقي

وحنيني اليك ، كل هذه الاشياء أهابت بي الى الخلوة بك هنا للمرة الاخيرة • انا ما جئت الى هنا يا ماجد الا لأودعك الوداع الاخير •

فرفع ماجد يدها الى شفتيه ليلثم راحتها ويهمس : لا ••• انت لن تتزوجي من سليم الراشد يا ناهدة ، ونحن لن نفترق ، لن يكون بيننا وداع • ما هناك سوى لقاء خالد سرمدي ••• لقاء دائم ••• لقاء حتى الموت يا حبيبتي •••

فمسحت ناهدة مجبور الدموع المنسابة من مقلتيها على وجنتيها كحبات اللؤلؤ ، بمنديلها الذي كانت الدموع قد بللته ، وهمست : ماجد لنكن واقعيين في الحياة• ليس لنا ان نعيش في الخيال يا حبيبي ، والخيال بعيد صعب المنال • ان الاقدار يا ماجد ترسم لنا الطريق في هذه الحياة • وما علينا الا ان نسير في هذا الطريق •

قال : لا يا ناهدة ، لا يا حبيبتي • الاستسلام للاقدار ضعف وجبن • والانسان الذي يستسلم ويرفع الراية البيضاء في الحياة جبان ضعيف •

قالت : ان الاقدار ، يد الله ، يا ماجد تقذف بنا الى حيث يريد الله عز وجل وتفعل بنا ما يريد الله • ليس لنا ان نتمرد على ارادة الله يا ماجد وهي مقدسة مباركة • لنقل دائما صاغرين : لتكن مشيئتك يا رب •

قال ماجد : ان الله تعالى لا يريد لأبنائه الالام والعذاب والدموع . لا يا ناهدة ، لا يا حبيبتي ، الله لا يريد للانسان الا السعادة والهناء والراحة والسلام والاطمئنان ، الا ان الانسان ، الكافر بنعمة الله يبحث عن الهم والشقاء والتعاسة ويعدو وراءها على هذه الارض الفانية .

وعادت ناهدة الى مسح دموعها المنهمرة على وجنتيها لتقول : حياتنا كلها عذاب ودموع على هذه الأرض يا ماجد. عندما يولد الانسان تغمر الدموع عينيه ، وعندما يموت تغمر الدموع عينيه . الانسان يولد والدمعة في عينه ، ويموت والدمعة في عينه . ويقضي العمر كله في البكاء وفي الدموع . وراء كل بسمة تطفو على شفاهنا الف دمعة تكمن وراء مآقينا يا ماجد . ونحن ، انا وانت، سنقضي ما بقي من عمرنا في البكاء وفي الدموع .

فضمها ماجد الى صدره برفق وحنان ليقول : اطمئني يا ناهدة . نحن لن نبكي ، لن نسكب الدمع لن نشقى يا حبيبتي . لقد قلت لك واعيد القول الان. نحن سنحيا معا ونموت معا يا حبيبتي .

وهمست : لا. لا يا ماجد . لا، نحن لن نعيش معا، لقد كتب الله لنا الفراق الطويل ، كتب لنا العذاب والالام والدموع ... حبيبتك ناهدة ستتزوج من سليم الراشد،

وستنأى عنك الى الابد ... كل ما اطلب من الله يـا ماجد هو ان يضع في سبيلك فتاة طاهرة شريفة نبيلة تليق بك وتستطيع ان تسعدك .

قال : ناهدة !... انا لن اتخلى عنك ، لن ابتعد عنك . ساختطفك واطير بك بين الارض والسماء .

فأجفلت ، وهمست بذعر وخوف : لا. لا، انا لست بالفتاة التي تهرب من دار ذويها مخلفة لهم الذل والدمـع والعار . لا، انني لأفضل الموت الف مرة على الهرب من دار اهلي يا ماجد .

قال : انا ما جئت الى هنا يا ناهدة الا لارسم واياك خطة الهرب . لم يعد امامنا يا حبيبتي الا الهرب ، لم يعد امامنا الا انقاذ قلبينا بالابتعاد عن هذه الربوع .

قالت : لا يا ماجد لا ... انا لن اهرب من دار والدي كما يهرب اللصوص المجرمون . لن أضحي بسمعة والدي وبكرامة اسرتي من اجل قلبي ، لن ابني سعادتي علـى تعاسة اهلي . لا، انا لست من الجريمة عند هذا الحد يـا ماجد .

قال : واين هي الجريمة يا ناهدة ؟.. أترين فـي الدفاع عن قلبينا ، وفي انقاذهما ، جريمة لا تغتفر ؟.. ان الدفاع حق من حقوق الانسان يا حبيبتي ، كل انسان يملك هذا الحق ، المجرم نفسه يملك حق الدفاع عـن

نفسه . انا وانت مظلومان ، وعلينا ان نعمل من اجل رفع هذا الظلم عنا . يجب ان ندافع ، يجب ان نستميت في الدفاع . لن نقف مكتوفي الايدي ، ونحن نشاهد النار تحيط بنا وتلتهم امانينا واحلامنا يا ناهدة .

قالت : وماذا نستطيع ان نفعل يا ماجد ؟..

قال : كل ما اطلب منك الان هو ان تسوّفي اهلك وتماطليهم . لا توافقي على اعلان موعد الزفاف الان . سوّفي وماطلي ريثما ينتهي العام المدرسي وافوز ببراءة الطب . وعندئذ ، عندما افوز ببراءة الطب ، سيكون لكل حدث حديث .

قالت : وماذا سيكون بعد ان تنال شهادة الطب يا ماجد ؟

قال : بعد ان انال شهادة الطب سأغادر لبنان الى فرنسا للتخصص ، ولن اغادر لبنان وحدي ، لا ، بل سأغادر لبنان برفقة عروسي ناهدة ، سأمسك بيدك وأغادر واياك هذه البلاد ، بعد ان يتم زفافنا ، وسنعيش هناك في فرنسا ثلاث سنوات ... ثلاث سنوات نعود بعدها الى لبنان ، وتكون العاصفة قد هدأت ، والرياح قد سكنت ، وانتهى كل شيء .

قالت : لا .. انا لا اوافق على هذه الخطة يا ماجد ... لا اوافق على الهرب .

قال : هل لديك خطة غيرها تضمن لنا العيش معـا مدى الحياة ؟...

فصمتت ناهدة ، وانصرفت الـى التفكير العميق تنغمس فيه .

وعاد ماجد الى الكلام ليقول بعد صمت طويل : قولي لي يا ناهدة . هل لديك خطة غير خطتي هذه ؟..

قالت : اسمع يا ماجد .. انا استطيـع ان اسوف واماطل في تحديد موعد العرس .. ولكن لا لنهرب كما يهرب اللصوص .

قال : وأي فائدة اذن من المماطلة والتسويف ؟

قالت : اسمع ما اقول لك يا حبيبي ، انا سأسـوف واماطل ريثما تفوز ببراءة الطب ، وعندما تفوز بالبراءة ستتقدم وتطلب يدي .. قد تبهر براءة الطب عيون اهلي، فيفضلونك على المغترب الثري ...

فصمت ماجد وانغمس في تفكير بارد سحيق عميق: ترى هل يوافق والده على زواجه من ناهدة ؟ هل يشخص والده معه الى دار حبيب مجبور ويطلب له يد ناهدة ؟.. ان ماجدا ليشك في ذلك . هو يعرف والده تمام المعرفة. والده لن يرضى بان تكون ابنة حبيب مجبور زوجة ابنه. هو يريد لابنه عروسا ثرية غنية من اسرة محترمة نبيلة. يريد للدكتور ماجد عروسا تكون ابنة طبيب، او ابنة محام،

او ابنة مهندس ، وهو لن يوافق على زواج ابنه من ابنة حبيب مجبور •••

ما العمل اذن ؟•••

العمل هو ان يهرب بحبيبته ناهدة الى بلاد بعيدة • وعندئذ ، عندئذ بعد ان يتم زفافه على ناهدة ، فليفعل والده ما يطيب له ويحلو •••

ولكن ••• ولكن ناهدة لا توافق علـــى مشروع الهرب • هي لا ترضى بان تهرب من دار والديها •

ليس يدري ما العمل !•••

وشعر ماجد بدوار شديد ، وهذه الافكار السوداء تدور برأسه •••

واحس بالوهن وبالعياء •••

والتفتت ناهدة اليه لتقول بعد صمت طويل : على ماذا عولت يا ماجد ؟••

قال : ليس امامنا الا طريق الهرب يا ناهدة ••• وانا كما تعلمين لا استطيع ان انفذ هذا المشروع ، مشروع الهرب والزواج قبل ثلاثة اشهر ، قبل انقضاء العام المدرسي، والفوز ببراءة الطب •

قالت ويدها تشد يده : ماجد !•• ليس امامنا الا الفراق الطويل البعيد المر المذاق • هذه هي مشيئة الله يا حبيبي • فلننزل عند مشيئة الله •

ما العمل اذن ؟...

فارتجف ماجد وهمس : لا ... لا يا حبيبتي . لا.. نحن لن نفترق . لن نبتعد عن بعضنا . انت لن تتزوجي من سليم الراشد ، لن تكوني لسوى ماجد زهران . الموت افضل لدي من الابتعاد عنك .

قالت : الحقيقة يا ماجد هي انني افضل الموت ألف مرة على الابتعاد عنك . الا انني افضل الموت الف مرة على الهرب من دار والدي كاللصوص المجرمين .

فأدرك ماجد انه عاجز عن اقناعها . ناهدة لن تهرب معه . هي تحبه الا انها تحب كرامتها وكرامة اهلها ، وسمعتها وسمعة اهلها ، اكثر مما تحبه هو ، او بالاحرى اكثر مما تحب نفسها . هي ستحكم عليه وعليها بالشقاء مدى الحياة ...

ما العمل ؟ ما العمل ؟ ما العمل ؟

وعاد ماجد زهران الى التفكير العميق وينغمس فيه، في حين تشابكت اصابع يده باصابع يد ناهدة .

وعاد الصمت يلفهما باجنحته الباردة السوداء .

وعادت الدموع الغزيرة تنهمر من مقلتي ناهدة على وجنتيها النديتين ...

وهمس ماجد ، بعد صمت وتفكير طويلين : ناهدة! ... حبيبتي ناهدة !... كل ما اطلب منك الان هو ان

تعملي جاهدة على تأجيل موعد العرس مدة ثلاثة اشهر، ومن الان حتى انقضاء الاشهر الثلاثة « سيخلق الله ما لا نعلم » •

قالت : سأنفذ مشيئتك يا حبيبي • انني قادرة على تأجيل موعد العرس ، قادرة على المماطلة والتسويف ، الا انني لست قادرة على طعن اهلي في الظهر • لا تحملني يا ماجد اكثر من طاقتي • ارجوك ، ارحمني يا ماجد !•• ارحمني يا حبيبي !••

وتلاشت ناهدة مجبور في آهاتها ولوعاتها ودموعها•

وضمها ماجد الى صدره برفق وحنان •

وراح يمسح دموعها بمنديله ، هامسا في اذنها كلمات الحب والهوى والحنين •

وطالت جلستهما في تلك الغابة الخضراء •

وكلما حاولت ناهدة النهوض والعودة الى الدار امسك ماجد بيدها يشدها هامسا : اجلسي ••• اجلسي يا ناهدة • دعيني املأ عيني من نور وجهك الجميل •

وكلما حاول ماجد الانصراف امسكت به ناهدة هامسة : «مهلا يا ماجد •• مهلا يا حبيبي دعني اراك دقائق قليلة قبل ان تنصرف • •من يدري يا ماجد ، من يدري يا حبيبي ، قد يكون هذا اللقاء ، اللقاء الاخير بيننا »•

كانا يريدان الانصراف ، ويريدان الجلوس معا ، ولا

يعرفان ماذا يريدان •••

واخيرا ، وبعد خلوة طويلة ، وقفت ناهدة لتقول: وداعاً يا حبيبي ، وداعا يا ماجد ••• هــل ستذكرني اذا وقفت الاقدار بيننا ؟•• قل لي يا ماجد ، هــل ستذكر حبيبتك ناهدة ؟

ووقف ماجد ليضمها الى صدره بقوة وجنون هامسا في اذنها : ناهدة !•• قلت لك وأعيد القول ، نحن لن نفترق يا حبيبتي• سنعيش العمر كله معا ••• علينا ان نصبر الان ثلاثة اشهر ، ثلاثة اشهر فقط • ومن الان حتى انقضاء الاشهر الثلاثة سيحل الله معضلتنا • ان الانسان لا يستطيع ان يحل معضلاته • الانسان يفكر فقط بوسائل حل المعضلات، اما الله فهو الذي يتدبر اموره ويحل تلك المعضلات بوسائل وطرق لا تخطر على بال انسان ••• الانسان بالتفكير يــا ناهدة والله بالتدبير •••

وانسلخت من بين ذراعيه هامسة ، وداعا يا ماجد ••• وداعا يا حبيبي !••

قال : ليس ثمة وداع بيننا يا ناهدة ••• لا ليس هناك وداع • ما هناك سوى اللقاء ••• الى اللقاء يا حبيبتي ••• الى اللقاء هذا الليل، كالعادة يا ناهدة ، في الساعة العاشرة من الليل سأكون في انتظارك عبر الخيال ••• سأغمض عيني واتمتم اسمك واناجيك ••• الى اللقاء يا حبيبتي •

ووثبت اليه تعانقه وتلقي برأسها الواهي على صدره وتجهش بالبكاء .

ثم انسلخت عنه وسارت بقدمين واهيتين في ذلك الطريق البعيد ...

ووقف ماجد يشيعها بنظرات واهية وبعينين تائهتين تغمرهما الدموع .

الفصل الرابع

اقام ماجد زهران على الم وشجن واسى .

فالكارثة النازلة به حملت الى عينيه الدموع وغمرت روحه بالالام والعذاب والهموم .

حبيبته ناهدة مجبور ستفلت من يده ، ستصبح لرجل غيره ، ستكون زوجة سواه ، وكيف لا يتعذب ماجد ؟.

كيف تتخلص عيناه من الدموع والكارثة تحيط به، والمصيبة تقطع عليه سبيل الراحة والسعادة والاطمئنان؟.

وغرق ماجد زهران في دموعه وآهاته وانينه .

الا انه ابى ان يسمح للكارثة الرهيبة بأن تقف بينـه وبين دروسه، فاندفع في الدرس والتنقيب والتحصيل توصلا للفوز ببراءة الطب . والفوز بالبراءة المرجوة معناه الفوز بحبيبة القلب والروح . .

وكان ماجد يشخص صباح كل يوم الى كليّة الطب الفرنسي ، ويقضي طيلة يومه في الكلية

وفي المساء يعود الى غرفته الصغيرة القائمة من حي اليسوعية في الصميم ، وينكب على الدرس وعلى المراجعة، حتى اذا اشرفت الساعة على العاشرة ، اغمض عينيه ليلتقي بحبيبته ناهدة عبر الخيال .

وكان ماجد ، كلما التقى بالحبيبة الولوع عبر خياله، يلمس الم ناهدة ويسمع آهاتها وزفراتها وانينها ، فيتألم لالمها ، ويبكي لبكائها ، ويهمس في سره ، وكأنه يخاطبها وجها لوجه : «ناهدة يا حياتي نحن لن نفترق ، لن تقف الايام بيننا ... اسابيع قليلة وافوز بالبراءة ، واطير اليك لامسك بيدك ، ونحلق معا في سماء السعادة الهانئة الفسيحة الارجاء» .

ويسمع ماجد همسات ناهدة آتية اليه عبر النسيم العليل : ماجد ... نحن لن نعيش العمر معا ... سنقضي حياتنا على هــذه الارض الفانية فــي الشقاء والعذاب والدموع ... اذكرني يا ماجد ، اذكرني يا حبيبي . كلما خطرت في بالك ناهدة ، كلما تذكرتها ، كلما شاهدت تلك الاماكن الجميلة التي كنا نجتمع في حناياها ، قل : «سلام على تلك الايام الهانئة التي قضيناها معا يا حبيبي» قــل معي يا ماجد : «سلام على حبنا الندي الطهور ، الذي كان عمره قصيرا ، كعمر الزهور والورود والرياحين» .

وتنحدر الدموع غزيرة على وجنتي ماجد ، وهــذه

الهمسات تقع منه في الاذنين عبر النسيم العليل ...

ويمسح دموعه بكفه ويهمس : لا. لا. لا، هذا لن يكون . نحن لن نفترق يا ناهدة . لن نفترق يا حبيبتي. عمر حبنا لن يكون قصيرا ، لن يكون بعمر الزهور والورود ، سيكون عمر هذا الحب خالدا كعمر ارز لبنان الخالد الجبار .

ومضت الايام ثقيلة باردة جافة على قلب ماجد زهران ...

وانقضى العام الجامعي كما تنقضي جميع الاعوام في حياة البشر ...

ومثل ماجد امام اللجنة الفاحصة ليجيب على اسئلة الاساتذة الاطباء بكل نباهة ولباقة وذكاء ...

واعلنت اللجنة الفاحصة قرارها : ماجد زهران اجتاز الامتحان بتفوق كبير . فهو من الفائزين ببراءة الطب المشرّفة في المقدمة . لقد اصبح ماجد زهران طبيبا يحمل لقب «دكتور» بكل فخر واعتزاز ...

ووثب كريم زهران الى ولده يعانقه ، ودموع الفرح تموج في عينيه . وهمس : لك تهاني يا ابني . لقد رفعت رأس والدك عاليا وانت تفوز هذا الفوز الباهر الساطع المنير ، لك ان تطلب مني ما تشاء وما تريد . ماذا تريد يا ماجد ؟ سيارة ؟ انا سأقدم لك سيارة فخمة انيقة حديثة

الصنع .. ماذا تتمنى يا ابني ؟.. عيادة في صميم العاصمة اللبنانية ؟.. ستكون عيادتك في افخم وارقى وارحب شوارع بيروت ... قل يا ماجد ماذا تريد ؟.. هل تريد ان تسافر الى اوروبا للتخصص في احد فروع الطب ؟.. ليكن لك ما تريد ...

وصمت ماجد ، ووالده يقدم له هذه العروض السخية التي يتمناها كل طبيب ناشيء ...

وانصرف الى التفكير : بماذا سيجيب والده ؟.. ماذا سيقول له ؟

هو لا يريد سيارة فخمة انيقة ، لا يريد انشاء عيادة، لا يريد السفر الى اوروبا ...

كل ما يريد ويتمنى الدكتور ماجد زهران هو الزواج من حبيبته ناهدة مجبور ...

هل يتقدم من والده بهذا الطلب ؟...

هل يعلن لوالده رغبته في الزواج من ناهدة ؟...

لا ... لا. قد يرفض والده طلبه ويفجعه بأعز امانيه ...

ولكن ، ولكن والده يطلب اليه ان يتمنى ويطلب ما يريد ، والفرصة سانحة الآن للتمني . فليغتنم الفرصة ويبوح لوالده بذلك السر الدفين الكامن في صدره على حمم ونار ...

وطال صمت الدكتور ماجد زهران ، وطال تفكيره...

وامسك والده بيده ليقول : قل لي يا ماجد ، قل يا ابني ماذا تريد من والدك ؟ ماذا تطلب ؟ ماذا تتمنى ؟...

والتفت ماجد الى والده ليقول : هل تعدني يا والدي الحبيب بان تحقق لي امنيتي الوحيدة في هذه الحياة ؟.

فارتسمت على شفتي كريم زهران ابتسامة هادئة بيضاء وهمس : أتكون لديك امنية ، ويتقاعس والدك عن تنفيذها ؟ لا ، يا ابني ، لا ... انا على استعداد لتنفيذ جميع امانيك العذاب. قل ، ما هي هذه الامنية ؟..

وبكل خجل وحياء همس ماجد : ابنك ماجد راغب في الزواج يا والدي .

واتسعت الابتسامة على شفتي ابي ماجد ، وهمس : امنيتك هذه ، هي امنية ابيك يا ابني . كل ما اطلب من الله هو ان يفرحني بك ، وأن اشاهدك قرب عروسك ، وان اشاهد احفادي يدرجون في داري ، ويملأون هذه الدار بهجة وسعادة وحبورا . انا سأختار لك العروس بنفسي يا دكتور !

وهمس ماجد ، والخجل يرتسم على وجهه: لقد ارحتك من عناء التفتيش والاختيار يا والدي ، واخترت العروس بنفسي .

وهمس ابو ماجد : من هي هذه الفتاة المحظوظة التي

وقع عليها اختيارك يا ابني ؟

وتردد ماجد قليلا ، قبل ان يبوح لوالده باسم الفتاة التي اختارها لتكون شريكة حياته ...

وهمس بعد صمت قصير : انها ... انها ناهدة يا والدي .

ــ ناهدة ؟ ... اي ناهدة هي ؟..

قال ماجد : ناهدة ابنة حبيب مجبور .

ووجم ابو ماجد ... وصمت .

ولاح التجهم في وجهه المجعد ، الذي رسمت عليه السنون خطوطها القاسية ...

ووقف ماجد يراقب والده ، وهو واجم واجف .

وساد الصمت برهة بينهما ...

وعاد ماجد الى الكلام ، بعد صمت قصير، ليقول : هذا كل ما اريد منك يا والدي الحبيب .

وهمس كريم زهران بوقار وحزم : الم تستطع أن تختار غير هذه الفتاة يا ماجد ؟..

قال الدكتور ماجد : لست انا الذي اخترتها يا والدي . ان قلبي هو الذي اختارها !..

وعاد كريم زهران الى الصمت ينغمس فيه على تجهم ووجوم .

وهمس ماجد بعد تفكير قصير . ما هو رأيك يا

والدي الحبيب في هذا الاختيار ؟..

قال الوالد : كان بودي ان تختار فتاة تليق بمقامك الرفيع يا دكتور .

قال ماجد : هل يخيل اليك ان ناهدة لا تليق بمقامي؟.

قال كريم زهران متابعا كلامه : كان بودي ان تختار ابنة اسرة محترمة . ابنة محام ، او ابنة مهندس ، او ابنة وزير ، او ابنة مدير ، او ابنة نائب ، او ابنة طبيب مثلك، ولم يخطر في بالي ان اختيارك سيقع على ابنة حبيب مجبور.

فأدرك ماجد ان والده غير راض عن اختياره هذا ...

وخشي ان يرفض طلبه ، فتقدم منه ليقول : الم تطلب الي ان أتمنى اي أمنية يا والدي ؟.. ألم تعدني بتحقيق امنيتي مهما كانت ؟ .. هذه هي امنيتي . انا ليس لي في هذه الحياة الا هذه الامنية ...

ولم يجب الوالد بحرف ، بل هو مضى في صمته البارد المبهم الكئيب ...

وطال صمته ...

واخيرا ، وبعد صمت طويل التفت كريم زهران الى ابنه ليقول : اسمع يا ابني . انا لا اقوى على الوقوف بينك وبين الفتاة التي اختارها قلبك الهائم . ليس لي يا ماجد الا ان ابدي لك رأيي ، رأيي فقط ، وقد أبديت هذا الرأي ، وانت حر في ان تعمل برأيي اولا . أرى ان تتبصر

في الامر ... امامك فرصة اسبوع ، اسبوع واحد فقط، لتفكر بما قال ابوك ، وتجرب ان تنسى ناهدة ، وان تختار ابنة اسرة كبيرة محترمة . اما اذا لم تستطع ذلك،فليس هناك أمامي الا ان انزل عند طلبك يا ابني . انا لا اريد ان اكون السبب في شقائك ، وفي تعاسة قلبك مدى الحياة .

وغمر الفرح قلب ماجد زهران ، ووالده ينفحه بهذا البيان .

ووثب اليه ليقبل يده هامسا : والدي ... لقد فكرت مليا في الامر ، وحاولت مرارا عديدة ان ابتعد عن ناهدة، وان ارغم قلبي على نسيانها ، فعجزت . قلت لك واعيد القول الان : الامر ليس بيدي . انا لست قادرا على الابتعاد عنها . لا استطيع ان اختار اي فتاة، وقد اختارها قلبي. ليس ثمة مجال للتبصر وللتفكير. ارجوك ان توافق الان على طلبي ، وان تشخص معي الساعة الى دار حبيب مجبور وتطلب لي يد ابنته ناهدة .

وعاد الوالد الى الصمت والتفكير ...

والتفت الى ابنه بعد تفكير قصير ليقول : هل اتخذت قرارك النهائي ؟..

قال ماجد بحزم وعزم واصرار : اجل يا والدي ! اجل. لقد اتخذت قراري النهائي ولن اتراجع عنه .

قال كريم زهران ، بعد تفكير عميق : ليكن ما تريد يا ابني • انا سأشخص غدا الى حبيب مجبور واطلب لك يد ابنته ناهدة • تريد ان تتزوج من ناهدة فليكن لك ما تريد•

قال ماجد : لقد قيل يا والدي : لا تؤجل للغد ما تستطيع ان تفعله الان • لماذا لا تشخص اليوم ، الان ، الى حبيب مجبور ؟••

فارتسمت على شفتي الوالد الرصين ابتسامة صفراء، وهمس : اراك مستعجلا يا دكتور ماجد • لا بأس يا ابني سأشخص اليوم الى حبيب مجبور واطلب لك يد ابنته، وارجو ان يوافق والد ناهدة على طلبي •••

واطمأن قلب ماجد كل الاطمئنان ووالده يعلن له موافقته على الذهاب الى حبيب مجبور اليوم •

وامسك بيد والده يقبلها هامسا : لم اكن يوما لأشك بمحبتك لابنك ماجد يا والدي الحبيب • شكرا يا والدي• شكرا لك والف شكر على هذه العاطفة الفياضة الجياشة النبيلة التي غمرتني بها • لو كان جميع الاباء مثلك ، لما وجد على هذه الارض ابناء اشقياء •

وهمس كريم زهران ، وهو ينظر الى الافق : كل ما يهمني في هذه الحياة سعادتك يا ابني ••• في المساء سأشخص الى دار حبيب مجبور • وارجو ان اعود اليك بالنبأ المفرح البهيج •

وبر كريم زهران بوعده •

وشخص الى دار حبيب مجبور ، ليطلب يد كريمته ناهدة لابنه ماجد •

وابى كريم زهران ان يصطحب معه ابنه قال : لا يا ماجد • لا يا ابني • لا يجوز ان ترافقني الى دار العروس سأشخص وحدي الان واطلب لك يد ناهدة ، حتى اذا وافق والدها على الطلب ، عدت واياك غدا او بعد غد اليه •

ونزل ماجد عند طلب والده •

واقام في الدار يرقب عودة ذلـك الوالد، والامال الوارفـة الخضراء تبسط على فؤاده وشاحهـا الواسع الفضفاض : ترى هل يوافق والد ناهدة على الطلب ؟•• من المؤكد انه سيوافق • ليس له ان يرفض زواج ابنته من الدكتور ماجد زهران •

وراح ماجد يدخن ويفكر، وهو ينتظر عودة والده على نار وحمم •

ولم يطل الانتظار •••

ساعة واحدة وعاد والده •••

وشاهد ماجد والده يدخل الى الدار وهو مقطب الحاجبين ، متجهم الوجه • فوجم، واحس بالقلق يعصف بفؤاده وبالنار تكوي مهجته • لماذا يعود والده على تجهم

وعبوس ؟

اتراه اخفق في مهمته ؟•••

هل رفض والد ناهدة الطلب ؟•••

ووثب ماجد الى والده ليقول بقلق واضطراب : ماذا يا والدي ؟ هل وفقت ؟•••

وشخص كريم زهران الى قاعــة الاستقبال. وجلس. والتفت الى ابنه ليقول : اجلس ••• اجلس هنا قربي يا ماجد •

وجلس ماجد قرب والده والقلق يعصف به •

وهمس الوالد : اسمع يا ماجد ••• عليك الان ان تنسى ناهدة • اياك ان تفكر بها بعد الان • هل تسمع ما أقول ؟••

وتحوّل القلق في قلب ماجد زهران الى ذعر ، وكلام والده يقع منه في الاذنين ، وهمس : لماذا ؟!• لماذا يــا والدي ؟••

قال : لقد صفعني والدها باهانة لن انساها مــدى الحياة • أترضى لوالدك بالاهانة يا ماجد ؟

قال ماجد : ولكن ما هي هذه الاهانة يا والدي ؟••

قال : لقد رفض طلبي • اتعلم ماذا قال لي ؟ لقــد قال لي : ان ابنته مخطوبة للمغترب سليم الراشد••• ايكون سليم الراشد افضل منك ، اتكون اسرة الراشد اعرق وانبل

من اسرة زهران ؟• حبيب مجبور رجل قليل الحياء ، يرفض طلب كريم زهران ؟ يأبى ان تكون ابنته زوجة الدكتور ماجد زهران ؟• يا له من رجل متكبر ذميم ابله مجنون •

وصعق ماجد ، وهو يسمع كلام والده • ايكون قد قضى على قلبه وعلى قلب ناهدة بالتعاسة والشقاء مدى الحياة ؟

هل حكم على القلبين النديين الطاهرين بالاعدام ؟•

وصمت ماجد ، واستغرق في تفكير بارد حزين •

وماجت الدموع في عينيه •

وحاول الكلام ، حاول ان يتلفظ بكلمة ، حاول ان ينطق بحرف ، الا انه عجز •••

كان ماجد في حالة مؤلمة مؤسفة دامية رهيبة ، كان ينتفض كأنه عصفور ذبيح •

وادرك الوالد اي مصيبة رهيبة نزلت بماجد •

ادرك اي كارثة رهيبة انقضت على رأس ابنه •

واشفق عليه ، وامسك بيده ليقول : ماجد الحب شيء غال ثمين يا ابني ، ولكنه ليس بأغلى ، ولا هو بأثمن من الكرامة • اذا اضاع الانسان حبه ، استطاع ان يجد حبا غيره جديدا ، اما اذا اضاع كرامته ، فهو لا يستطيع ان يجد كرامة غيرها • الكرامة يا ابني اثمن واغلى ما في الحياة •••

وصمت ماجد ...

ومضى في تفكيره الموجع المؤلم الحزين .

وعاد والده الى الكلام ، بعد صمت قصير ليقول: يا ابني ، يا ماجد ، لا تحزن لضياع ناهدة منك . البنات كثيرات، انهن كالأزهار. لكل زهرة جمالها وعبيرها وشذاها. اذا خسرت زهرة ، وجدت غيرها ألف زهرة . انت تتألم الآن ، انا اعلم عظم وعمق ألمك يا ابني ، الا ان الايام وهي بلسم الالام ، ستتكفل لك بالبرء وستنسيك ناهدة وتغمر جراح قلبك المنكوب بالبلسم الشافي . تشجع يا ابني . تشجع . على الانسان ان يكون شجاعا امام مصائب الحياة وكوارثها .

ولم يجب ماجد بحرف ...

ومضى والده في الكلام ليقول : لقد بسطت لك كل ما حدث يا ماجد ، واطلعتك على الاهانة التي صفعني بها حبيب مجبور ، ولك ان تختار الان ، وان تحكم ... اذا أردت ان اتنازل عن كرامتي ، وان اتناسى الاهانة الكبيرة ، فانا سأتنازل ، وسأتناسى ، وسأعود الى حبيب مجبور اتوسل اليه ، واطلب منه برجاء ، ان يوافق على زواجك من ابنته ناهدة .

وانتفض الدكتور ماجد زهران ، وهو يسمع كلام والده الحنون وهمس : لا !.. لا ... يا والدي . انا لا

ارضى بالاهانة • كرامتك قبل كل شيء • كرامتك قبل حبي . وقبل قلبي ، وقبل سعادتي • كرامتك غالية على قلب ابنك ماجد ، يا والدي الحبيب •

فتأثر كريم زهران شديد التأثر ، وهو يسمع كلام ابنه •

واغرورقت عيناه بالدموع. وهمس : انا لم اكن يوما لأشك بنبل اخلاقك وبشهامتك يا ابني •••

وهمس ماجد: حبيب مجبور اهانك يا والدي الحبيب، وأنا سأعرف كيف اردّ له الاهانة •

وتمتم الوالد : نحن لسنا بحاجة الى رد الاهانة ••• حبيب مجبور ليس في مقامنا يا ابني ، وليس لنا ان تتنازل الى رد الاهانة له ••• ما لنا ولهذا الرجل الوضيع ، انه دوننا مقاماً وكرامة ونبلا •

وعاد الدكتور ماجد زهران الى الصمت ينغمس فيه على شجن وألم ودمع •

وانصرف الى التفكير : ماذا عليه ان يفعل الان ؟

هل يرضى بالهزيمة ويقف مكتوف اليدين حيال النكبة الدهياء النازلة بقلبه وبقلب حبيبته ناهدة ؟•••

لا !•• لا !•• والف لا •• ماجد لن ينام على الضيم • لن يقف مكتوف اليدين ، لن يرضى بالهزيمة •

سيعمد الى انقاذ قلبه الهائم الولوع. والى انقاذ قلب

حبيبته ناهدة .

هو سيختطف ناهدة .

يختطفها من دار والدها ، فيصيب عصفورين بحجر واحد : ينقذ قلبه وقلب ناهدة ، وينتقم لوالده من والد ناهدة المتعنت المتكبر اللئيم ...

واطمأن الدكتور ماجد زهران ، وقد وصل بتفكيره الى هذا الحد .

ونهض ليدخل الى غرفته فيشعل لفافة ويجلس على سريره ليدخنها بصمت وتفكير ، ويرسم خطة اختطاف حبيبة القلب والروح .

الفصل الخامس

طال تفكير الدكتور ماجد زهران ، وهو جالس في غرفته الانيقة الفسيحة الارجاء ، كيف سيختطف ناهدة ؟..

والى اين سيطير بها ؟

وهل توافق ناهدة الحبيبة على خطة الهرب من دار والدها ؟

عشرات الاسئلة طافت في رأس ماجد زهران بدون ان يستطيع الاجابة على سؤال واحد منها .

واخيرا ، وبعد تفكير طويل ، عزم الدكتور ماجد زهران على استشارة ناهدة في الامر .

ليس له ان يتخذ اي قرار قبل ان يقف على رأي الحبيبة الهائمة الولوع .

ونهض ماجد زهران ، وألقى باللفافة المحتضرة من يده.وسار ...

وخرج من الدار ليشخص الى دار حبيب مجبور.

هو سيمر بتلك الدار ، وسيشاهد ناهدة ، ستكون ناهدة امام دارها ، او هي ستكون على الشرفة ، أو في النافذة ... وستوافيه فورا ، كعادتها ، ويتفق واياها على موعد يضمهما معا ، هناك على الربوة العالية الخضراء، حيث كانا يجتمعان ، كلما سنحت لهما الفرص والظروف.

وشخص الدكتور ماجد زهران الى دار حبيب مجبور .

وطاف بتلك الدار دون ان تقع منه العين على ناهدة...

فلا هي امام الدار .

ولا هي على الشرفة .

ولا هي في النافذة .

اين هي اذن ؟..

اين هي ناهدة ؟..

أتكون داخل الدار ؟

أتكون قد خرجت ؟ والى اين خرجت ؟

ليس يدري ... ليس يدري ؟..

واحتار ماجد في امره .

ووقف يسائل نفسه : ماذا علي ان أفعل الان ؟ هل أظل في وقفتي هنا ؟.. هل أعود ادراجي ؟.. هل ادخل الى دار حبيب مجبور ؟

ولم يستطع ان يجيب نفسه على هذه الاسئلة .

لم يكن يستطيع ان يتخذ اي قرار حاسم حازم صريح.
وطالت وقفته امام تلك الدار ...

وشعر بأنفاسه تضيق في صدره . شعر بالنار تلسع قلبه، وتكوي فؤاده ، وتحرق مقلتيه .

وتمنى لو انه يستطيع البكاء ، تمنى لو ان الدموع تنهمر من عينيه لتطفيء تلك النار اللاهبة المتقدة في صدره.

الا ان الدموع ، حتى الدموع ، ابت ان تنجد الدكتور ماجد زهران .

وسار ماجد ...

سار دون ان يعلم الى اين يسير ودون ان يحدد وجهة سيره .

وبعد مسير قليل ، وجد نفسه في دارهم .

ودخل الى غرفته وأقفل وراءه الباب ، ليعود الى التفكير ، والى التدخين ، والى الالم والعذاب ...

وغمر الليل تلك الجبال والوديان والربى والوهاد ليزيد الظلام ، في قلب الدكتور ماجد زهران ، ظلاما قاتما مدلهما .

وابى ماجد ان يخرج من غرفته ...

وعندما جاءت الخادمة عزيزة تدعوه لتناول طعام العشاء مع والده قال : انا لا اريد تناول العشاء يا عزيزة. دعيني ... اريد ان انام ، اريد ان ارتاح .

هكذا قال ماجد للخادمة عزيزة .

ولكن هل نام ماجد ؟ هل ارتاح ؟.. لا .. لا .. هو لم يعرف طعم الراحة ، لم يذق طعم النوم طيلة ذلك الليل ...

وبدا الليل مرا قاسيا طويلا على قلب ماجد ...

ما أطول الليل وما أقساه على قلوب العشاق المتيمين.

لقد قضى ماجد زهران ذلك الليل الطويل المر البعيد ساهرا يدخن ويفكر ويتألم ...

وعندما بزغت انوار الصباح ، غامرة تلك الوهاد والربى والتلال الخضراء بنورها الابيض الجميل ، شعر الدكتور ماجد زهران بالوهـــن وبالتعب وبالعياء ، فألقى بجسده الواهي المرتجف النحيل على السرير ، وأغمض عينيه ...

ونام ، نام نوما قلقا مضطربا تغمره الهواجس والاحلام المؤلمة الرهيبة السوداء .

ولم يلبث ان استفاق ...

ورمق الساعة المشدودة الى معصمه فاذا بها تشير الى الثامنة من الصباح . لقد نام ماجد ساعتين . ساعتين فقط. نام الساعة السادسة واستفاق في الساعة الثامنة .

ووثب من السرير ، فاذا بالصداع يعصب رأسه ، واذا بالعياء يوهن قواه واذا بالتعب وبالعناء يرهقان جسده الضعيف النحيل .

وخرج من الغرفة ليجد والده جالسا على الشرفة يدخن النارجيلة ويتناول القهوة ...

والتفت الوالد الى ابنه ليقول : ما بك يا ماجد ؟... ما بك يا ابني ؟ لقد أطلت النوم . أهكذا يطيل الاطباء نومهم حتى الساعة الثامنة من الصباح ؟

لقد خيل لكريم زهران ان ابنه استغرق في النوم حتى تلك الساعة المتأخرة من الصباح . ماذا عساه يقول لو علم ان ماجدا ظل ساهرا طيلة الليل ، وانه لم ينم الا ساعتين فقط ؟

وجلس ماجد قرب والده وهو ساهم واجم حزين . وجاءته الخادمة بالقهوة فتناولها بسرعة وعجل ... ونهض ...

والتفت والده اليه ليقول : ما بك ؟ الى اين ؟

وهمس ماجد : سأخرج من الدار الان ، وسأعود بعد قليل .

وتمتم كريم زهران : لقد ابيت ان اتناول طعام الصباح قبل ان تستفيق . انا انتظرك لتناول طعام الصباح . لن تخرج من الدار قبل ان تتناول الطعام يا ابني .

قال كريم زهران هذا ثم نادى الخادمة اليه ليقول: أيكون الطعام جاهزا يا عزيزة ؟

قالت عزيزة : اجل يا سيدي .

ونهض الوالد ليمسك بيد ابنه ويدخل به الى غرفة الطعام •

وجلس ماجد قرب والده ليتناول الطعام بدون شهية•

وكان شارد الذهن واجف القلب تائه النظرات •

كان يفكر بحبيبته ناهدة •••

يجب ان يراها ، يجب ان يتحدث اليها ، يجب ان يتفق واياها على خطة الهرب والزواج •••

واتجه توا الى دار حبيب مجبور •••

سيشاهد ناهدة ويتحدث اليها • نصيبه اليوم سيكون افضل منه بالامس • هو سيوفق اليوم في مشاهدة ناهدة•

ستكون ناهدة اليوم على الشرفة وسيراها وستراه وستدلف اليه ويتحدث اليها ويتفقان على الخطة المرسومة المضمونة النجاح •••

ووصل الى امام تلك الدار فاذا بالنوافذ مقفلة، فكأن تلك الدارمقفرة من السكان •••

ووجم ماجد زهران وهو يشاهد النوافذ المقفلة •

لماذا اقفل اهل تلك الدار نوافذهم ، وقد كان من عادتهم ان يتركوا تلك النوافذ مشرعة ؟•

لماذا ؟•

أيكون حبيب مجبور وزوجته واولاده قد رحلوا عن تلك الدار ؟

لا ، لا ، مستحيل ...

ولكن ... ولكن قلبه ينذره بوقوع كارثة جديدة...

ما هي تلك الكارثة ؟

ليس يدري ...

وهم ماجد بالاقتراب من باب دار حبيب مجبور . سيطرق الباب ويدخل الى تلك الدار وليتكل على الله . يجب ان يقف على كل شيء . يجب ان يعلم كل شيء ...

وقبل ان يصل الى الباب بخطوات قليلة فتح ذلك الباب وخرج منه حبيب مجبور والد ناهدة ...

وتراجع الدكتور ماجد زهران الى الوراء ليختبىء وراء الاشجار الباسقة الوارفة الاغصان . فكأنه مجرم يهرب من وجه العدالة ، كأنه متهم يختفي من وجه مطارده ...

ومر به حبيب مجبور دون ان ينتبه اليه . ووقف ماجد حائرا ، وقد توارى حبيب مجبور في الطريق الطويل البعيد المحفوف بالاشجار . وانصرف الى التفكير : ماذا عليه ان يفعل الان ؟. هل يدخل الى الدار بعد ان توارى صاحب تلك الدار عنها ؟.

لا !.. لا يجوز ان يدخل الى تلك الدار ... لقد اصبحت تلك الدار محرمة عليه . يجب ان يتحدث الى حبيبته ناهدة في مكان قصي بعيد . سيعود ادراجه الان الى داره ثم يكتب للحبيبة ناهدة رسالة يشرح لها فيها كل

شيء . ويبسط لها كل شيء .

وراقته الفكرة الموفقة .

وعاد ادراجه الى الدار وهو دامع العين كسير الخاطر جريح الفؤاد .

ودخل الى غرفته ليجلس الى المنضدة الصغيرة ويبدأ بكتابة الرسالة المقتضبة : «حبيبتي ناهدة !.. لقد حاولت عبثا ان اراك لأتحدث اليك في امر مستقبلنا الذي بات مجهول القرار . لذلك فقد عمدت الى هذه الرسالة اطلب اليك فيها ان توافقي على الهرب معي . لم يعد ثمة امامنا الا الهرب يا ناهدة . انا سأعد كل شيء وأهيىء كل شيء . وسيكون كل شيء جاهزا للهرب خلال ثلاثة ايام...

«ناهدة !.. حبيبتي !.. يجب ان اراك اليوم كي نرسم معا خطة الهرب والزواج . ارجو ان تحددي مكان وزمان اللقاء . واسلمي في قلبي الى الابد ، يا حياة ماجد» .

وطوى ماجد الرسالة ، واشعل لفافة وجلس يفكر : يجب ان يرسل هذه الرسالة الآن الى ناهدة . ولكن ... ولكن من عساه يحمل الرسالة اليها ؟. من هو هذا الرسول المخلص الوفي الامين ؟

من هو ؟ ليس يدري من هو ؟

وطافت في رأس الدكتور ماجد زهران عشرات الاسماء ، دون ان يستطيع التوقف عند اسم واحد من تلك

الاسماء العديدة • عليه ان يختار رسولا امينا وفيا كتوما•

من هو هذا الرسول ؟ من هو ؟

ولمع في رأسه اسم ••• اسم وداد جبران •••

ووداد رفيقة ناهدة وصديقتها المخلصة الوفية • هي ستحمل الرسالة اليها وتعود اليه بالجواب • ما له الا وداد تفض معضلته وتريح قلبه ، وتعبد الطريق امامه وامام ناهدة ، الى الهرب والزواج •

واخفى الرسالة في جيبه وخرج من الدار ليشخص توا الى دار وداد جبران •

ودار وداد ليست بعيدة عن دار كريم زهران • ولا هي ببعيدة عن دار حبيب مجبور •

وجميع منازل ودور القرية الصغيرة الوادعة الهانئة متقاربة •

ووصل ماجد الى دار وداد جبران فاستقبلته وداد بالترحيب الشديد ••• واقبلت ام وداد ترحب به ايضا • وجلس ماجد قرب وداد هامسا في اذنيها : وداد لي معك حديث سري • هل استطيع ان ادلي اليك به الان ؟

فهمست وداد : مهلا ريثما تخرج والدتي يا ماجد• مهلا •••

قالت وداد هذا ، والتفتت الى والدتها تشير اليها بتهيئة القهوة •

ونهضت الام العجوز ودخلت الى المطبخ لتهيىء القهوة للضيف الكريم ...

والتفتت وداد الى ماجد لتقول : تريد ان تحدثني بشأن ناهدة . أليس كذلك يا ماجد ؟

قال : اجل يا وداد . اجل ، اريد ان اتحدث اليك بشأن ناهدة . انت واقفة على اسرارنا كلها يا وداد . وانا اعلم ان ناهدة لا تخفي عنك شيئا . انت صديقتها المخلصة الوفية . لذلك فقد اخترتك انت للقيام بهذه المهمة .

قالت : ما هي هذه المهمة يا ماجد ؟

قال : اريد ان تحملي لها هذه الرسالة . وتعودي الي منها بالجواب .

فارتسمت على شفتي وداد جبران ابتسامة اشفاق ورثاء ، وهمست : يخيل الي يا ماجد ان لا فائدة من تبادل الرسائل بعد الان . لقد انتهى كل شيء ، كل شيء.

وهمس ماجد بوجل وقلق ووجوم : ماذا حدث ؟ اريد ان اعلم ماذا حدث يا وداد ؟. هل تستطيعين ان تقولي لي ماذا حدث وماذا جرى ؟

قالت وداد جبران ، وابتسامة الاشفاق لا تفارق شفتيها : ليلة امس كنت عند ناهدة . لقد سهرت معها حتى ساعة متأخرة من الليل يا ماجد . كانت ناهدة بحاجة الى من يوآسيها ويخفف عنها وطأة المصاب الاليم . فلم ابتعد

عنها الا والساعة تعلن انتصاف الليل • لقد قضت ليلها ساهرة تذرف الدموع الغزيرة الحمراء • مسكينة ناهدة يا ماجد • انها ضحية • وانت ، انت ايضا ضحية يا ماجد• اتما ضحيتان • انتما الحطب المعد للمحرقة ، فليأخذ الله بايديكما كي تستطيعا المضي في طريق الحياة المظلم الرهيب •

قال ماجد ، والقلق يعصف به ويهزه هزا : اين هي الان اين هي يا وداد ؟

قالت : انها في دارها يا ماجد هي سجين في الدار، جميع النوافذ والابواب موصدة في وجهها • لقد اقفل والدها عليها النوافذ والابواب ، ومنعها من تخطي عتبة الدار •

قال : ارجوك يا وداد ان تحملي لها هذه الرسالة وان تساعديها على الهرب • يجب ان اقابلها يا وداد ، يجب ان انقذ قلبي وقلبها من النار المحدقة بهما • ارجوك يا وداد ان تمدي لنا يد المساعدة.ليس ثمة من يستطيع ان يمد لنا يد المساعدة الآك • انت وحدك قادرة على انقاذ صديقتك ناهدة يا وداد •

قالت : وماذا عساني ان افعل يا ماجد ؟ قل • ماذا تريدني ان افعل ؟ انني على استعداد للقيام بكل ما تطلب مني •

قال : احملي لها هذه الرسالـــة الان وعودي الي بالجواب . ساقيم هنا على انتظارك . لا تطيلي غيبتك يـا وداد .

وسلمها الرسالة . فنهضت وداد لتقول : انا شاخصة اليها . ساسلمها رسالتك واعود اليك بالجواب . لن اطيل الغياب . ساعود قبل ان تنتهي من رشف قهوتك .

قالت وداد جبران هذا ، واخفت الرسالة في صدرها، وخرجت من الدار لتشخص الى دار جارتها ناهدة مجبور.

واقام الدكتور ماجد زهران يرقب عودتها بفـــارغ صبـــر ...

ولم تلبث ان دخلت ام وداد حاملـة له القهوة ... ودهشت الام وهي ترى ماجدا وحده في القاعة . وسألته: اين وداد ؟

قال : لقد خرجت ، وقالت لي انها عائدة فورا ..

وقدمت الام له القهوة ، وجلست قربه لترشـــف القهوة معه .

وكان ماجد في قلق وحيرة واضطراب : ترى هـل توفق وداد في مهمتها ؟.هل تستطيع ان تسلم ناهـــدة الرسالة وان تعود اليه بالجواب ؟

ليس يدري ، ليس يدري .

وراح ماجد يرمق الباب بنظرات سريعة وهو يتناول

القهوة •• وراح يرقب عودة وداد بفارغ صبر •

ولم يطل انتظاره • فقد برّت وداد بوعدها ، وهـا هي قد اقبلت قبل ان ينتهي من رشف قهوته •

ووثبت الام اليها تسألها : اين كنت يا وداد ؟ اهكذا تتركين ضيفنا وحده وتخرجين من الدار ؟

وابتسمت وداد وهمست : ها انا قد عدت يا امي ••

قالت الام ، وهي تقدم فنجان القهوة لابنتها: خذي•• اشربي قهوتك •

وتناولت وداد فنجان القهوة مـــن يد امها وراحت ترشفه على مهل وهي ترمق الدكتور ماجد زهران بنظرات سريعة ، تنم عما في صدرها من اسرار ••

واقترب ماجد منها هامسا : ماذا يا وداد ؟• هــل سلمتها الرسالة ؟

واشارت وداد برأسها دلالة الايجاب •

قال : وهل عدت الي بالجواب ؟

وعادت وداد الى هز رأسها • الا ان الهزة كانت هذه المرة دلالة النفي ••

ووجم ماجد وهمس : ماذا قالت لك ناهدة يا وداد؟•

ولم تجب وداد جبران ، بل التفتت الى امها وكأنها تخشى ان تسمع الام حديثهما، واقتربت من ماجد لتهمس: مهلا ريثما تخرج امي من الغرفة •• سأخبرك كل شيء ••

واقام ماجد على قلق وحيرة ووجوم •

واقام يرقب انصراف الام ليقف من ابنها على كل شيء••

ولم يطل انتظاره • فقد نهضت الام بعد قليل لتحمل فناجين القهوة الفارغة وتخرج بها الى المطبخ ••

والتفتت وداد الى ماجد ، وقد نأت امها عنهما لتقول: ماجد •• يجب ان تنسى ناهدة •• لقد انتهى كل شيء••

فاشتد الذعر والوجوم بماجد زهران ، وهمس : ماذا تقولين يا وداد ؟

قالت : لقد سلمتها الرسالة وقرأتها وقالت لي : «قولي لماجد ان ناهدة ستظل تذكرك حتى الموت • هي ستعيش العمر كله في ذكراك » • وعندما قلت لها : ماجد يريد ان يراك ، قالت : «ان الرقابة شديدة علي يا وداد • ساجرب ان اتسلل من الدار غدا •فلينتظرني غدا الساعة العاشرة من الصباح عندك في دارك • قد استطيع ان اهرب لدقائق قليلة لأتودع منه بنظرة اخيرة»• هذا كل ما قالت لي ناهدة يا ماجد •

وترقرقت الدموع في عيني الدكتور ماجد زهران وهمس : شكرا يا وداد • سأكون هنا ، عندك في تمام الساعة العاشرة من صباح غد •

ونهض ليودع وداد ، ويعود الى الدار على حسرة ولوعة وشجن ودمع وحنين •

الفصل السادس

وصل ماجد الى الدار والالم الروحي الشديد يعصف به ..

كان ماجد يفكر بمصير قلبه وبمصـير قلب ناهدة . مصير القلبين مجهول. فهو لا يستطيع الان ان يعلم ماذا سيكون مصير هذين القلبين الهائمين المعذبين .

وتمنى ماجد لو انه يستطيع البكاء .

تمنى لو انه يستطيع سكب الدموع ، لعل الدموع تطفىء ذلك اللهيب المتقد في فؤاده الهائم الولوع .

وحاول البكاء ، الا انه عجز عن البكاء .. ودخـل الى الدار . فاذا بوالده يستقبله بابتسامة صافيـة زاهية . وقال الوالد : انا ساشخص اليوم الى بيروت يا ابني . هل ترافقني اليها ؟

قال ماجد : لا يا والدي . انني متعب اريد ان ارتاح.

قال الوالد : هل تريد ان احضر لك معي شيئا مـن

بيروت ؟

قال : لا . شكرا يا والدي ..

وخرج كريم زهران من الدار . واستقل السيارة الى بيروت .

ودخل ماجد الى غرفته ليدخن ويفكر ويتألم ..

وضاقت الغرفة به على رحبها ، فخرج من الغرفة الى الشرفة .

وكانت الشرفة تطل على تلك الوديـــان والوهاد ، والتلال الخضراء الرائعة الجمال ، الا ان جمال تلك المناظر الطبيعية الفاتنة كان سوادا فيعيني الدكتور ماجد زهران.

وعاد الى الدار ..

ثم خرج الى الحديقة .

ثم شخص الى البستان ..

وكان يتنقل من مكان الى اخر دون هدف ودون ان يعلم لماذا يسير ولماذا يتنقل من البستان الى الحديقة ومن الحديقة الى البستان ، الى الدار ، الى الشرفة ، الـــــى الغرفة ..

وظل ماجد زهران على تلك الحال طيلة ذلك النهار دون ان يذوق طعاما ودون ان يستقر على حال ..

وفي المساء عندما عاد والده من بيروت حاملا له بعض الهدايا استقبله بتجهم وعبوس ..

وسأله والده : ما بك يا ماجد ؟

واجاب ماجد : انني متعب يا والــــدي •• اريد ان ارتاح •

ونفحه والده بالهدايا فتقبلها بالشكر • ثم دخل الى غرفته ليستلقي على سريره وينصرف الى التدخين والـــى التفكير •

ولم يذق ماجد زهران لذة النوم طيلة ذلك الليل •• فهو قد ظل يتقلب في سريره الوثيروكأنه يتقلب على ابــر وشــوك •

وعندما بدأت انوار الفجر البعيد تغمر جبال لبنــان الشماء، وثب ماجد من السرير ليخرج الى الشرفة، ويجلس ليمضي في التدخين والتفكير •

وظل في جلسته على الشرفة حتى الساعة السابعة من الصباح •• وفي تلك الساعة ، في الساعة السابعة ، اقبل والده ليجلس على الشرفة ، كعادته كل صباح •

ودهش كريم زهران وهو يشاهد ابنه جالسا على تلك الشرفة •

وتقدم منه متمتما : ماجد !•• ما بك ؟• ليس مــن عادتك ان تنهض من النوم في مثل هذه الساعة المبكرة من الصباح ؟

وهمس ماجد : لقد اردت ان استقبل الصباح على

هذه الشرفة يا والدي .

قال الوالد : الصباح جميل يا ابني في لبنان . انظر الى هذه الروابي والوهاد والوديان الباسمة الخضراء، وهي تستقبل الصباح على بسمة طافحة بالامل والرجاء .

قال كريم زهران هذا وجلس قرب ابنه ..

ولم تلبث ان اقبلت الخادمة عزيزة حاملة لهما القهوة فجلسا يرشفانها ويتحدثان .

وراح ماجد يرمق الساعة المشدودة الى معصمه بنظرات سريعة حيرى : الساعة الآن تشير الى السابعة والنصف . امامه ساعتان ونصف الساعة ليجتمع بحبيبته ناهدة .

وعندما اشرفت الساعة على الثامنة اقبلت الخادمة عزيزة كعادتها لتدعوهما الى تناول الطعام .

ونهضا .. وجلس ماجد قرب والده الى مائدة الطعام، وهو يفكر بألم وحزن وارتباك .

ولم يستطع ان يتناول إلاّ القليل من الطعام .

والتفت والده اليه ليقول : ما بك يا ماجد ؟ لماذا لا تتناول طعامك يا ابني ؟

ونهض ماجد ليقول : لقد تناولت ما استطعت يا والدي ؟

قال ماجد هذا ، وخرج من قاعة الطعام ، ليدخل الى

غرفته فيرتدي ثيابه ويخرج من الدار ••

وكانت الساعة قد اشرفت على التاسعة من الصباح•• ساعة كاملة تفصله عن لقاء ناهدة • بعد ساعة سيجتمع بها في دار صديقتها وداد • هل يشخـــص الان الى دار وداد ؟

لا • لا يجوز ان يقيم في دار وداد ساعة كاملـــة سيشخص الى البستان ، ثم يصعد الى الربوة ، ثم يعود الى الكرم ، ثم •• ثم يذهب الى دار الصديقة وداد ••

وسار ، سار على غير هدى •

سار ليجد نفسه فجأة في دار وداد •

وكانت الساعة تشير الى التاسعة والنصف عندمـــا وصل الدكتور ماجد زهران الى دار وداد جبران •

واستقبلته وداد بتجهم ووجوم• وهمست: ماجد !•• انني لأخشى ان يكون قد فات الاوان !••

ووجم ماجد وهمس : ماذا تقولين يا وداد ؟••

وأمسكت وداد بيده هامسة : تعال معي ••

قالت هذا وسارت به الى الشرفة ••

وكانت الشرفة تطل على دار حبيب مجبور ، فأشارت وداد بيدها الى تلك الدار لتقول : انظر يا ماجد ••

ونظر ماجد •

نظر الى دار حبيب مجبور ليشاهد جمهورا غفيرا في

تلك الدار •
والتفت الى وداد ليقول : ماذا جرى يا وداد • لماذا يزدحم هذا الجمهور الغفير في دار حبيب مجبور ؟
وهمست وداد : اليوم عرس ناهدة يا ماجد !••
ـ عرس ناهدة ؟•• اليوم عرس ناهدة ؟ ماذا تقولين يا وداد ؟
وهمست وداد : تشجع يا ماجد ، تشجع يا صديقي• هذه ارادة الله !••
وشعر ماجد زهران بألم روحي شديد يعصف به •
واصطكت ركبتاه فكاد يسقط على الارض •
واستطاع بعد جهد ان يتمتم : اريد ان اراها • اريد ان اراها •
قالت : اخشى ألّا تستطيع ذلك يا ماجد •
قال : ولكنها ضربت لي موعدا في الساعة العاشرة • والساعة الان لم تشرف على العاشرة بعد •
قالت : يبدو انهم قدموا موعد العرس ، كان الموعد بعد الظهر ، وها انا اراهم يستعدون الان للخروج بالعروس من الدار •
واشتد الذعر والوجوم بماجد زهران •
واخذ يرتجف كأنه ريشة في مهب الرياح •
وحاول الكلام ، حاول ان يطرح الاسئلة على وداد،

حاول ان يطلب اليها ان تشخص الى ناهدة وتطلب اليها الحضور اليه ، حاول النطق بحرف ، الا انه عجز عن الكلام .

وشاهدته وداد يرتجف فتقدمت منه تمسك بيده الباردة المرتعشة لتقول : ما بك يا ماجد ؟ تشجع يا اخي تشجع ..

وأسند ماجد يده الى حاجز الشرفة الى «الدرابزين» وراح يحدق بالجماهير المزدحمة في دار حبيب مجبور بعينين تغمرهما الدموع . وكانت الفرحة تطل مع الجماهير في دار والد ناهدة ..

وبدأت السيارات المزينة بالورود وبالزهور تفد الى امام تلك الدار .

وبدأت الاغاني والاهازيج تتصاعد منها لتنزل في قلب ماجد زهران كقصف المدافع وكدوي الرعود .

وعادت وداد الى الاقتراب من ماجد لتقول : ماجد ! تعال . تعال معي الى داخل الدار .

كانت وداد جبران تريد ان تبتعد به عن ذلك الجو الرهيب .

كانت تريد ان تبعده عن الشرفة لتبعده عن مشاهدة ناهدة وهي تخرج من دار والديها مع عريسها . الا ان ماجدا لم يلتفت اليها ولم يجبها بحرف . فكأنه لا يسمع ما

تقول .

ووقفت وداد قربه وقد اشفقت عليه . كان منظـــره يثير الشفقة والرحمة والحنان .

كان ماجد زهران كعصفور ذبيح ينتفض من الالم ، كان كشجرة باسقة عرّتها رياح الشتاء وعبثت بأغصانهـــا فحطّمتها وبعثرتها اشلاء فوق الصخور ..

واذا بالجماهير تخرج من دار حبيب مجبور ...

واذا بالعروس تسير بين تلك الجماهير الى السيارات الجاثمة امام الدار . وصعد الجميع الى السيارات المزينة ، فانطلقت تلك السيارات وهي تطلق صوت مزمارها فكـــاد يغمى عليه .

ووقف يشيع ناهدة وكأنه يشيع قلبه الى المقر الاخير.

وعندما توارت سيارات موكب العرس عن عينـــي الدكتور ماجد زهران همس ماجد ، وهو ينظر الى الافق البعيد بعينين حمراوين : ناهدة !.. ناهدة !.. ناهدة !..

وخرجت الكلمات الثلاث من بين شفتيه كالاهـــات وكالانين .

خرجت تلك الكلمات من بين شفتيه وكأنها تخرج من قلبه ...

ومسح دموعه بمنديله الناصع البياض وتراجع الـــى الوراء على وهن وألم وتعب وعياء .

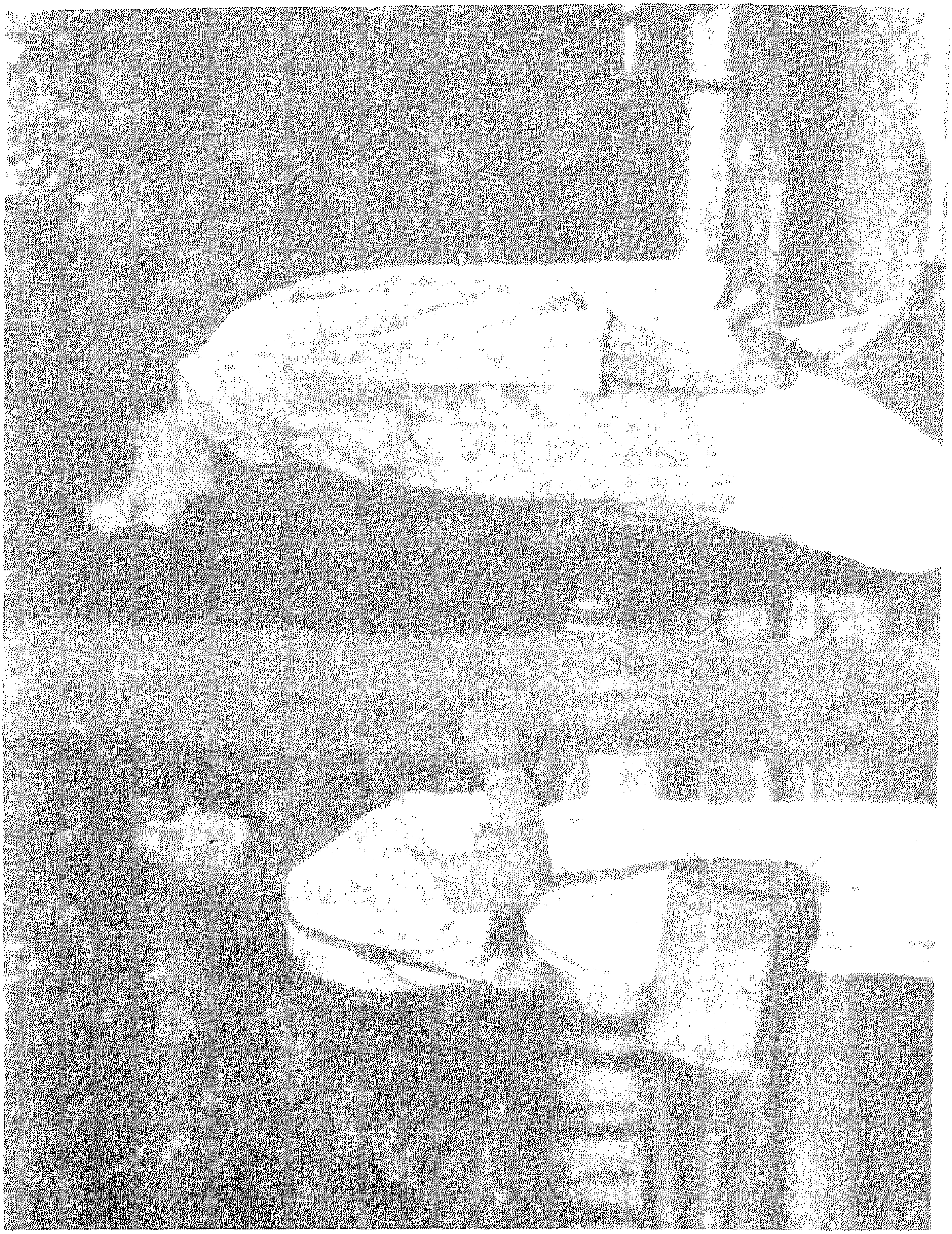

وامسكت وداد جبران بيده هامسة : ماجد !.. علينا ان نذعن ابدا ودائما لمشيئة الله . يا اخي هذه هي مشيئته تعالى . وليس لنا ان نثور ولا ان نتمرد عليها .

قال ماجد : لتكن مباركة مشيئة الله يا وداد . الا انه تعالى ، عز وجل القى على عاتقي بمصاب اليم ، هيهات ان استطيع حمله .. ماجد زهران انتهى يا وداد . مات . هو لا يعيش على هذه الارض. لقد خسرت ناهدة وبخسارة ناهدة خسرت كل شيء .

قالت وداد : اطلب لها من الله التوفيق يا ماجد .

فهمس ، وهو ينظر الى الافق البعيد بعينين تغمرهما الدموع : فليوفقها الله !.. فليوفقها الله ...

وحاولت وداد ان تدخل به الى داخل الدار لتقدم له القهوة والمنعشات ، الا انه ابى ان يتناول شيئا .

وخرج من دار وداد جبران يجر رجليه جرا ليعود الى داره ويدخل الى غرفته فيستلقي على سريــــره ويجهش بالبكـــاء .

كان الدكتور ماجد زهران يبكـــــي كالنســـاء . كالاطفال ..

كان في حالة مؤلمة مؤسفة دامية رهيبة تفتت الاكباد.

وشعر ماجد بالالام الجسدية تعصف بجسده الواهي النحيل بعد ان عصفت الالام الروحية بروحه الهائمة الولهى.

وبدأت الحمى تنهش ذلك الجسد الطري الشباب ، فراح يتقلب في سريره كأنه يتقلب على نار وحمم •

وذهبت الحمى برشده ، ودهمه كابوس شديد فأخذ يثرثر ويتمتم كلمات متقطعة مبهمة حيرى : «ناهدة •• اجل احبك •• لا •• لا تبتعدي عني •• نحن سنظل معا •• لن نفترق •• يا حياتي •• ناهدة •• لماذا لا تنظرين الي ؟•• اين انت؟•• ليلة امس اتصلت بك•• في الساعة العاشرة•• لم تردي علي •• اين كنت ؟•• اجل •• انا احبك يـــا ناهدة •• الربوة الخضراء ؟•• هناك •• الشجرة الباسقة تنتظرنا •• ناهدة •• هاتي يدك •• يا حبيبتي •• هكـــذا سنظل معا •• مدى الحياة •• يا •• يا •• ناهدة» •

وطال هذيان ماجد زهران •

وطالت ثرثرته ، وهو ملقى على سريره ، والحمـــى تنهش جسده النحيل •

وحان موعد الغداء ، فأقبلت الخادمة عزيزة تقرع باب الغرفة لتدعوه الى تناول الطعام ، الا انها لم تلق جوابا •

وراحت الخادمة تنادي سيدها : سيـــدي ماجد !•• ماجد بك !•• دكتور ماجد !••

الا ان ماجدا لم يجب •

وفتحت عزيزة الباب ودخلت لتقف على ذعر ووجوم•
كان ماجد فاقد الرشد ، وهو يتمتم كلمات لا معنى

لهـا ..

وهرولت الخادمة الى سيدها ابي ماجد ، والذعـــر يطل من عينيها .

ووقفت امام كريم زهران لتقول : يا سيدي اسرع. اسرع !..

وهمس ابو ماجد : ما بك يا عزيزة ؟

وتمتمت : سيدي ماجد .. لا اعلم ما به .. انه في حال تفتت الاكباد .

وذعر كريم زهران .. وهرول وراء الخادمة الـــى غرفة ابنه .

واشتد الذعر به وهو يشاهـد ماجد على تلـــك الحال .. واسرع الى الهاتف يستنجد بالطبيب ..

وما هي دقائق قليلة حتى وصل الطبيب وانصرف الى معالجة زميله الدكتور ماجد زهران ..

ووقف ابو ماجد قرب ابنه على قلق وذعر وهلـــع ووجوم .. وانهال على الطبيب باسئلته : ماذا يا سيدي ؟ ايكون ماجد في خطر ؟.. اتريد ان ننقله الى المستشفى؟.. هل هو بحاجة الى علاج سريع ؟ هل يفرض داؤه السفر به الى اوروبا ؟.. انا على استعداد لانفاق ثروتي كلهـا علـى معالجته . ارجوك . ارجوك يا سيدي الطبيب . ارجوك.

والتفت النطاسي الى كريم زهران ليقول : اطمئن يا

ابا ماجد •• ابنكم بألف خير •• بعد قليل سيعود الـــى رشده ، ان جسده سليم من اي داء •

قال الطبيب هذا ، وانصرف الى معالجة ماجد والى مده بالادوية وبالمصول ••

وراح ابو ماجد يتمشى في الغرفة ذهابا وايابا وهو يفرك راحتيه على الم وقلق واضطراب ••

ومضى زهاء نصف ساعة كانت على قلب كريم زهران كالسنين الطوال ••

واخيرا ، بعد زهاء نصف ساعة فتح ماجد عينيـــه ليهمس : اين انا ••؟

ووثب والده اليه يضمه الى صدره برفق وحنـــان ويهمس : ابني •• حبيبي !•• ما بك يا ماجد ؟ مـــاذا اصابك يا ابني ؟•• ماذا دهاك ؟••

وتقدم الطبيب من كريم زهران ليهمس فـــي اذنه : ارجو ان تبتعد عنه يا سيدي ، يجب ان نوفر له الراحـــة والهدوء ••

وامسك الطبيب بيد ابي ماجد وخرج به من الغرفة• ثم عاد الى ماجد ليجلس قربه مبتسما له •

وهمس ماجد : ماذا حصل ؟ ماذا جرى ؟ ما بي ؟ ماذا اصابني ؟ وامسك الطبيب بيده ليقول : اطمئن يا ماجد • انت بالف خير •

وتذكر ماجد كل ما جرى .

تذكر كل شيء ، وشاهد ناهدة بعين الخيال تخرج من دارها وهي ترتدي ثوب العرس ، فذعر واخذ يرتجف ...

وانهمرت الدموع غزيرة على وجنتيه .

وادرك الطبيب ان ماجدا مصاب بصدمة نفسية شديدة فهمس : ماجد ! على الانسان ان يكون اقوى واشد من المصائب والكوارث . قل لي الان ما بك يا ماجد ؟ ماذا اصابك ؟ بماذا تفكر ؟. ما هي هذه الكارثة التي حلت بك ؟..

واغمض ماجد عينيه على دموعه الحمراء وهمس : لا شيء .. لا شيء .. انا الان بالف خير .

وهمس الطبيب : اجل . انت بالف خير يا ماجد . كل ما اطلب منك الان هو ان تفكر بصحتك وبمستقبلك وبوالدك . كن شجاعا في مجابهة المصائب والكوارث والنكبات ..

وعاد الطبيب الى مد ماجد بالادوية وبالمصول .

ثم خرج من الغرفة الى حيث يجلس والد ماجد ليقول له : ماجد الان بخير يا سيدي . يبدو انه اصيب بصدمة نفسية . ليس ثمة اي خطر عليه . يجب ان توفروا له الراحة والهدوء ، وسينهض من السرير معافى باذن الله ،

غدا او بعد غد .

وخرج الطبيب من دار كريم زهران .

وعاد ابو ماجد الى غرفة ابنه ليجلس قرب سريـــره وينصرف الى الاهتمام به والى رعايته .

وصحت نبؤة الطبيب .

فقد نهض ماجد من السرير في اليـــوم التالي .. وارتدى ثيابه وخرج من الدار يجر رجليه جرا في الطريق الى الربوة الباسمة الخضراء ..

وهناك على تلك الربوة الباسمة الخضراء ، هناك على تلك الربوة تحت الشجرة الباسقة الوارفة الاغصان ، جلس الدكتور ماجد زهران ليفكر ويبكي : هنا ، على هـــذه الصخرة الوادعة كانت تجلس ناهدة .. هناك عند تلك الشجرة الصغيرة ضمها الى صدره برفق وحنان .. هنالك عند المنحنى قبلها .

انها ذكريات مؤلمة دامية رهيبة ...

وعاد ماجد الى المسير .

وراح يستعرض في مسيره الامكنة التي كان يجلس ويسير فيها مع حبيبته ناهدة ، والدموع تغمر عينيه والالم الشديد يعصف بروحه الهائمة الولهى الحنون ..

ولم يعد الى الدار الا والشمس تتأهب للغروب ...

وكان ماجد زهران في حال مؤسفة مؤلمـــة تفتت

الاكباد ٠

كان يشاهد حبيبته ناهدة اين اتجه وانى سار ٠٠٠

كان يراها في الماء الذي يشربه ، وفي الهواء الـذي ينشقه ، وفي النور الذي يكحل عينيه ٠

وكلما آوى الى غرفته واستلقى على سريـره ، راح يناجيها ويردد اسمها بتقى وخشوع ، وكأنه يردد اسمـا مقدسا طهورا ٠٠

وانقضت الايام ٠٠٠

انقضى زهاء شهر وماجد زهران يتألم ويتعـذب ويبكي ٠

لقد قيل : «ان كل شيء يبدأ صغيرا ثم يكبـر الا المصيبة ٠ فهي تبدأ كبيرة ثم تصغر» ٠

هذا ما قيل ، الا ان هذا المثل لم يكن لينطبق على ماجد زهران ٠ فقد كانت مصيبته بفقد حبيبته ناهدة تكبر في رأسه يوما بعد يوم ٠٠٠

وكان والده يتألم لألمه ٠٠٠ كان كريم زهران قد بدأ يدرك سبب عياء ابنه ووهنه ٠ فقد علم ابو ماجد ان سبب عياء ابنه كان فراق حبيبته ناهدة ٠

وخيل اليه ، الى الوالد الحنون ، ان ماجدا سينسى ناهدة وينسى حبها الهائل العظيم ٠٠

ورأى كريم زهران ان يمهد امام ابنه سبيل النسيان

فوثب اليه ليقول : ماجد •• قل لي يا ابني ماذا تريد ؟ هل تريد الزواج ؟•• ان الاسر الكبيرة تتمنى مصاهرتك يـــا ابني •• ماذا تريد يا ماجد ؟ تريد مالا ؟ انا ساشتري لك من السيارات احدثها وافخمها ؟ تريد ان تنشيء عيادة ؟ انا على استعداد للبذل وللسخاء في سبيل انشاء عيادة كبرى على الطراز الحديث يا ابني •• قل يا ماجد ، اطلب مــاذا تريــد ؟

وهمس ماجد : لي عنــدك طلب واحد يا والـــدي الحبيب • لا • انا لا اريد الزواج ، ولا اريد مالا ، ولا اريد سيارة ولا اريد عيادة • لي عندك طلب واحد فقط••

وهمس ابو ماجد : قل يا ابني • قل يا حبيبي • مــا هو هذا الطلب ؟ انني على استعداد لاجابة طلبك فورا ، دون اي تردد •

وهمس ماجد ، وهو ينظر الى الافق البعيد من خلال زجاج النافذة : اريد ان اسافر الى اوروبا لأتخصص فـي احد فروع مهنة الطب المشرفة •

ووجم كريم زهران • لم يكن ينتظر من ابنه ان يتقدم بهذا الطلب •

كان يخيل لابي ماجد ان ابنه سيطلب انشاء عيـــادة كبيرة في بيروت ، او ان يطلب الزواج من فتاة حسنـــاء لينتقم من حبيبته ناهدة التي غدرت به وتزوجت من سليم

الراشد .

كان يخيل لابي ماجد ان ابنه سيطلب اي طلب غير السفر .. الا ان ماجداً خيب الامل وابدى رغبته في السفر الى بلاد نائية بعيدة ..

وانصرف كريم زهران الى التفكير قبل ان يجيب ابنه الى طلبه : لماذا يريد ماجد السفر ؟. لماذا يريد ان يبتعد عن لبنان ؟..

وتوصل كريم زهران الى الجواب دون عناء ..

والجواب معروف : ماجد يريد السفر ليهرب من حبه ، ليبتعد عن ذكرياته المؤلمة الدامية الرهيبة . يريد ماجد ان يهرب من ناهدة ومن حب ناهدة ومن ذكريات ناهدة ..

فهل يجيبه الى طلبه ؟.

هل يوافق على سفره ؟.

واذا وافق ، اذا سافر ماجد الى اوروبا ، اذا ابتعد عن لبنان ، هل يستطيع ان يبتعد عن ذكرياته ؟.

هل يستطيع ان ينجو من آلامه المبرحة ومن عذابه الاليم ؟.

الا تستطيع الذكريات ان تلحق به الى هناك ؟ الى البلاد القاصية النائية البعيدة ؟..

لا . لا . ماجد لن يستطيع ان يتخلص من ذكرياته

بالسفر .

هذا الدواء الذي وصفه ماجد لنفسه ليس بالـدواء الناجـع .

الدواء الوحيد هو الزواج . اذا تزوج ماجد مـــن فتاة جميلة استطاع ان ينسى حبيبته ناهدة ، وان يتخلص من الذكريات .

لقد قيل : ان الحب الجديد يطرد الحب القديم مـن القلب . والمثل الفرنسي يقول: «الواحدة تطرد الاخرى». هذا هو الدواء الناجع الفعال . فليجرب ماجد هذا الدواء.

وطال الصمت بين كريم زهران وبين ابنه ماجد .

واخيرا وبعد صمت طويل ، التفت ابو ماجد الـــى ابنه ليقول : لماذاتريد السفر يا ابني ؟ لماذا تريد ان تبتعد عني يا ماجد ؟ لقد قضيت السنوات الطوال على مقاعـد الدراسة حتى توصلت الى الفوز ببـــراءة الطب . انت طبيب الان ، انت دكتور . الا يكفيك هذا اللقب ؟. الم تتعب من الدرس ، ومن التحصيل ، ومن العلوم ؟. اسمع مني يا ابني وعش معي هنا في هذه البلاد الرائعة الفاتنـة الجميلة .

قال ماجد : العلم كالبحر يا والدي الحبيب . كلما غاص الانسان فيه اكتشف مجاهل جديدة . ومهما اقتبس الانسان من العلوم يظل بحاجـــة الى البحث والدرس

والتنقيب . ليس للعلم حدود ولا سدود . انه صحـــراء شاسعة واسعة بعيدة ، مهما سار الانسان فيها يظل بعيدا عن الهدف . انا اصبحت الان طبيبا احمل لقب دكتور . هذا صحيح . الا ان براءة الطب لا تجعل من حاملهـــا طبيبا . ان شهادة الطبيب المفتاح للدخول الى الدار .. اما الاقامة في الدار فتحتاج الى درس وتنقيب وتحصيـل . ويخطىء الاطباء الذين يكتفون من دنياهـــم بشهادة الطب وينامون على امجادها .. كل يوم يكتشف علماء العالـم داء جديداه كل يوم يبتكر المنقبون الكيميائيون المخترعون في العالم دواء جديدا . كل يوم تنقلب مفاهيم الطب رأسا على عقب . واذا لم يواصل الطبيب الدرس والمطالعة يظل بعيدا عن الهدف المنشود . على الطبيب ان يتابع انباء الطب ويقف على كل اختراع جديد ، كي يستطيـع ان يواكب ركب العلم ، ويعالج مرضاه ويكافح الاوبئة والامراض .

قال ابو ماجد : الا تستطيع يا ماجد ان تتابع المطالعة وتقف على خفايا الاختراعات الطبية الجديدة وانت فـــي لبنان ؟

قال ماجد : انا اؤمن بالاختصاص يا والدي . اريد ان اتخصص في فرع واحد من الطب . والتخصص يقتضي السفر ..

وحاول كريم زهران صرف ابنه ماجد عن فكرة السفر الى اوروبا الا انه اخفق • فقد اصر الدكتور ماجد على موقفه لا يتزحزح ولا يحيد عنه •

واخيرا قال ماجد لوالده : لقد وعدتني بتحقيق اماني العذاب ، وعدتني باجابة اي طلب ابديه يا والدي • طلبي الوحيد هو السفر • امنيتي الوحيدة هي التخصص •• فهلا حققت امنيتي ؟ هل اجبتني الى طلبي ؟

قال الوالد : انا ما زلت عند وعدي يا ابني • لن اصدمك في امانيك• لن ارد طلبك• الا انني اخشى الا تعود الي يا ماجد ، اخشى ان اموت وانت بعيد عني •

قال ماجد : اطمئن • انا لن اغيب عنك يا والدي اكثر من ثلاث سنوات • ثلاث سنوات فقط ، واعود اليك حاملا براءة التخصص ، مرفوع الرأس ناصع الجبين ••

وهمس الوالد ، وهو يمسح دمعة ترقرقت في مقلتيه : ليكن ما تريد •• ليكن ما تريد يا ابني •

لقد وافق كريم زهران اخيرا على سفر ابنه ماجد الى اوروبا ، والالم يحز في نفسه ، والدموع تترقرق في عينيه •

وسافر ماجد •••

سافر الدكتور ماجد الى فرنسا، تاركا في لبنان قلبه وروحه وشوقه وحنينه ••

الا انه لم يستطع ان يترك في ربوع هذه الجبـــال والتلال والوديان والوهاد ذكرياته ...

فقد حمل معه ذكرياته المؤلمة الدامية الرهيبة ، الـى هناك ، الى فرنسا .. او بالاحرى ، لقد لحقت به ذكرياته الى تلك البلاد لتجثم فوق صدره وتعذب روحه وتغمـــر عينيه بالدموع القانية الاحمرار .

الفصل السابع

اقامت العروس ناهدة مجبور ، زوجة سليم الراشد، على حزن وألم ودمع وعذاب •

فهي دائمة الاسى ، دائمة الشجن ، دائمة الوجوم •

ولم تكن ناهدة لتستقر على حال •

كانت تفكر بذلك الماضي الآفل ، يوم كانت بين السعيدات في المقدمة ••

يوم كانت قرب حبيب القلب والروح ماجد زهران•

يوم كانت تلك الربى والوهاد والتلال دنياها الرائعة الفاتنة البيضاء ••

وتخلو ناهدة بنفسها من حين الى اخر ، لتستعيد ذكرياتها الرهيبة وتفرغ كل ما في عينيها من دموع •

وكانت تخفي آلامها في صدرها وتحجب دموعها عن عريسها ، الا ان العريس ، لمس في عروسه الحسناء الالم والقلق والاضطراب • فخيل اليه ان انتقال عروسه من

دار والديها ، وشوقها الى اهلها ، يهيبان بها الى الحـزن والحنين ..

وكان سليم الراشد قد سافر مع عروسه الى عواصم العالم لقضاء شهر العسل ، فهما حينا في روما ، وتارة في لندن ، وطورا في جنيف .. وفي مدريد ، وفي وشنطن، وفي باريس ..

ويتنقل سليم الراشد بعروسه الحسناء من بلد الى بلد ، ومن مدينة الى مدينة ، ومن عاصمة الى عاصمة، وهو يحاول اقصاءها عن الامها وحزنها وهمومها .

الا ان ناهدة لم تكن الا لتزداد حزنا واسى ودموعا .

كانت تلك المناظر الرائعة التي تشاهدها في سياحتها سوداء في عينيها .

الدنيا كلها كانت سوادا في عيني العروس الفاتنـة الحسناء .

وانصرف العريس سليم الراشد الى توفير الراحـة والسعادة لزوجته الحبيبة .

ونثر المال بين يديها .

وغمرها بالهدايا الثمينة ...

الماس والذهب والجواهر فدى العينين النجلاويـن الفاتنتين ..

ما لناهدة الا ان تطلب حتى يستجيب سليم الطلب .

ولم تكن ناهدة تطلب شيئا من عريسها •

لم تكن تهتم لشيء •••

لم يكن ثمة ما يحلو في عيني ناهدة مجبور ، بعد ان خسرت حبيبها ماجداً •

المال لا قيمة له عندها •••

الجواهر الكريمة لا وزن لها عندها •••

الحلى ؟•• وما هي قيمة الحلى ؟••

الماس ؟•• وماذا يفيدها الماس ؟••

نظرة من عيني ماجد تساوي لديها كل ما في العالم من جواهر وحلى وماس وذهب •

وبدت ناهدة لعريسها حزينة القلب ، كسيرة الخاطر، دامعة العين •

وقلق سليم الراشد على عروسه الحسناء كل القلق، فوثب اليها ذات صباح ، وهما في الفندق الفخم في سويسرا ، ليقول : ناهدة ما بك يا حبيبتي ؟•• انني لأراك ابدا دامعة العين حزينة الفؤاد • قولي لي يا حبيبتي ما بك ؟••• قولي لي لماذا انت هكذا ساهمة واجمة حزينة القلب ؟•• هل هناك ما يشجيك ويعذبك ويثير من عينيك الدموع ؟•• روحي فداك يا ناهدة !••

وهمست ناهدة ، وهي تنظر عبر زجاج النافذة الى الافق البعيد البعيد : انا بألف خير يا سليم •

قال : ولكنني اراك على غير ما تقولين . انني لأراك ابدا في تجهم وعبوس . أتكونين نادمة على الزواج من سليم الراشد يا ناهدة ؟.. أأكون انا سبب آلامك وحزنك ودموعك ؟.. قولي لي الحقيقة يا حبيبتي ، صارحيني بكل ما في قلبك الطاهر الحنون من اسرار . وثقي يا حبيبتي انني سأتوارى عنك ، اذا ما بدا لي انني سبب حزنك واكتئابك .

قالت : لا يا سليم ، لا. انت لست سبب حزني ، انت لست سبب اكتئابي !؟.

فضمها الى صدره برفق وحنان هامسا : ناهدة !.. انت كل املي في الحياة ، انت كل ما يملك سليم الراشد من سعادة على هذه الارض ، وبالرغم من كل ذلك فانا على استعداد للابتعاد عنك ، اذا لاح لي منك انك تريدين الابتعاد . انا على استعداد لان اتخلى عن املي وعن سعادتي اذا كان في ذلك احياء الامل في قلبك وتوفير السعادة لك . أملك ولا املي ، سعادتك ولا سعادتي يا حبيبتي ، حياتك ولا حياتي . فليغيبني القبر اذا كان في ذلك حياة لك .

واكبرت ناهدة في زوجها هذا النبل الواسع الرحيب .

وامسكت بيده تشدها هامسة : لا يا سليم ، لا فلتسلم

حياتك ولتعش عمرك في سعادة وغبطة وهناء • المـــوت ليس لك يا سليم • الموت لي ، لي انا !••

وهمس سليم الراشد بذعر وارتعاش : لماذا تطلبـين الموت وتتمنينه يا ناهدة ؟•• ايكون الموت افضل لديك من الحياة مع زوجك ؟•• ايكون القبر اشهى عندك من الحياة في داري ؟••

فهمست ناهدة ، وهي تمسح دموعها : لا يا سليم ، لا • ما هذا قصدت • انت لم تسيء الي بشيء • انت لـم تؤذِ ناهدة • انت لم تكن ، ولن تكون السبب في حزني ، وفي ألمي ، وفي دموعي •

قال : وما هو السبب يا حبيبتي ؟•• هل استطيع ان اعلم من او ما هو السبب ؟••

وادركت ناهدة انها اخطأت التعبير • ادركت انهـا اوقعت نفسها في مأزق حرج •

لقد اعترفت لزوجها صراحة بأنها تعسة شقية ، دون ان تدري • قالت له : «انت لست السبب في ألمي ، وفي حزني ، وفي دموعي» • فماذا يعني هذا ؟•• انه ليعني انها تتألم وتحزن وتبكي •• وها ان زوجها يسألها : «من ؟•• او ما هو السبب ؟••»

فماذا ستقول له ؟ بماذا سترد عليه ؟•

هل تطلعه على الحقيقة الناصعة البياض ؟•

هل تعترف له •

هل تبوح له باسرار قلبها الموجع ، المرهق المعـــذب الاليم ؟••

هل تقول له : «انا احب ماجدا زهران ، وقد ارغمت على الزواج منك ؟• »

لا • لا • هذا لا يجوز •• لا يجوز ان تبوح لزوجها بمثل هذه الاسرار العميقة ••

البوح بهذا السر سيقضي على سليم الراشد وسيحطم حياتها الزوجية مدى العمر •

فلتنسَ الماضي ، فلتدفنه ، ولتعش بحاضرها •

يجب ان تنسى ماجدا وحب ماجد ، ولتقنع بالواقع، ولترضخ لمشيئة الله •

هكذا اراد الله لها ، فلتكن ارادته مقدسة مباركـة مقبولة •

وطال صمت ناهدة •••

وطال تفكيرها •••

واخيرا ، وبعد صمت طويـل ، عاد العريس الــى الكلام ليقول متسائلا : ماذا يعذبك يا ناهدة ؟ قولي لي يا حبيبتي لماذا تتعذبين وتشقين وتبكين ؟••

وكان على ناهدة ان تجيب على السؤال المحرج دون تردد •

واحتارت بماذا تجيب • عليها ان تستنبط الجواب • عليها ان تخترع جوابا مقنعا ترد به على سؤال زوجها ••

وتمكنت بعد تفكير قصير من ان تجيب على سؤال سليم قالت : ان بعادي عن اهلي ، وعن لبنان ، يثير في قلبي الشوق والحنين ، ويبعث الى عيني الدموع يا سليم •

وتنفس سليم الراشد الصعداء : الحمد لله • ليس ثمة ما يعذب ناهدة الا بعادها عن الاهل والوطن •••

وعاد يضمها الى صدره بشوق واسع رحيب ويهمس في اذنها : اهذا كل ما يعذبك ويشجيك ويؤلمك يا حبيبتي ؟•• فلنعد اذن فورا الى لبنان •

قالت : كما تريد يا سليم •

قال : سنغادر سويسرا صباح غد الى الوطن • لن نقيم يوما واحدا هنا ، ما دامت الاقامة هنا تؤلمك ، يا روح سليم !••

واطمأنت ناهدة : الحمد لله • لقد كان جوابها مقنعا • جازت الحيلة على زوجها ••• لقد قرر ان يعود الى لبنان اكراما لها ، وهو يجهل ان الالم والشوق والهموم والاحزان ستلاحقها وتحتل صدرها انى اتجهت ، وكيف سارت ، واينما حلت •

ومع مطلع صباح اليوم التالي كان سليم الراشد يمسك بيد عروسه الحسناء ، ويقف واياها في مطار جنيف، ليستقلا الطائرة الى بيروت .

وعاد العروسان السعيدان بالسلامة الى لبنان قبل انقضاء شهر العسل..

جميع الشهور ستكون عند سليم الراشد من عسل ، ما دامت حبيبته ناهدة قربه ، تغمره بالعطف وبالحب وبالشوق وبالحنين ...

ووصلا الى بيروت وشخصا توا الى القرية ..

عليهما ان يزورا اهل ناهدة قبل كل شيء ..

ناهدة في اشتياق الى اهلها ، ويجب ان تراهم ، وتطمئن الى سلامتهم ..

هذا ما خيل لسليم ...

ولو انه ترك لعروسه الاختيار ، لاختارت البقاء في بيروت ...

فهي لا تريد ان تعود الى القرية ، وفي القرية ذكرياتها المؤلمة الموجعة الرهيبة ..

ووصل العروسان الى القرية فجأة ، فهب الاهل والاصدقاء الى استقبالهما بالترحيب الشديد ..

ولم تأبه ناهدة للاهل ، ولا هي أعارت الاصدقاء أقل اهتمام ...

لقد كانت العروس في حالة نفسية تفتت الاكباد .

كلما وقع نظرها في القرية الباسمة الخضراء على طريق او منعطف . او على منحنى ، او على ربوة ، خيل اليها ان ماجدا هناك في انتظارها .

وعاودتها الذكريات عاصفة مرعبة ..

هنا على هذا الطريق كانت تسير مع ماجد ..

وهنالك عند المنعطف كانت تقف قربه ..

وهنالك عند المنحنى ، او فوق الربوة الباسمة ، كان ملتقاهما ..

في كل ذرة تراب من تراب تلك القرية ذكريات مؤلمة لناهدة زوجة سليم الراشد ...

وفيما كان العريس يقدم لاهل العروس الهدايا التي حملها لهم معه من اوروبا ، وهي هدايا رائعة نادرة ثمينة، كانت ناهدة تخرج من الدار لتشخص الى تلك الربوة الباسمة الخضراء التي كانت تحنو عليها وعلى حبيبها ماجد كلما ضمهما الهوى بجناحيه .

ووصلت ناهدة الى تلك الربوة ، وقد انهكها التعب واحرقت الدموع مقلتيها ... وهاجت بها الذكريات ، وقد شاهدت تلك الصخرة الصغيرة المتواضعة التي كانت تجلس مع ماجد فوقها .

وارتمت على تلك الصخرة لتجهش بالبكاء

كالاطفال ...

وشاهدت ماجداً بعين الخيال يجلس على تلك الصخرة ، تماما كما كان يجلس منذ مدة قريبة ، عندما كانا يبنيان معا قصور الاماني الهانئة والاحلام العذاب ..

وافرغت العروس الحسناء كل ما في عينيها من دموع ..

ونهضت ، وقد اعياها الدمع ، وأدمت فؤادها الذكريات ، لتعود الى الدار ، وهي في حالة مؤلمة مؤسفة رهيبة ..

ووصلت الى غرفتها ، الى تلك الغرفة التي كانت تأوي اليها عندما كانت طليقة من كل قيد ..

واستقلت على سريرها ، على ذاك السرير الذي كانت تنام فيه قبل ان تصبح عروسا .

والقت برأسها على الوسادة البيضاء ، على تلك الوسادة التي طالما القت برأسها الواهي عليها كل ليلة لتفكر بماجد وتناجيه عبر الخيال ..

كل شيء في القرية ما زال على حاله ...

كل شيء في دارها ما زال على حاله ...

كل شيء في الربوة ما زال على حاله ...

لم يتغير شيء ، لم يتبدل شيء ، هي فقط تغيرت . هي وماجد ، هي لم تعد تملك حق التفكير بماجد ، لم تعد

لتملك حق الذكريات .

حتى الذكريات اصبحت محرمة عليها . يا لصدمة الزمن ، يا لظلم القدر ، ويا لقساوة الايام .

وغرقت ناهدة في دموعها وآهاتها وشوقها وحنينها..

واذا بالباب ، باب الغرفة يفتح ويطل منه زوجها ..

وذعر سليم الراشد وهو يشاهد زوجته الحبيبة على تلك الحال .

ووثب اليها ليمسك بيدها المرتجفة الباردة هامسا : ناهدة !.. ما بك يا حبيبتي ؟.. ماذا دهاك ؟.. ماذا اصابك ؟.. ماذا حل بك ؟..

ومسحت ناهدة دموعها وهمست : صداع .. صداع بسيط يا سليم .

قال : اتتألمين وتخفين الملك عن زوجك الحبيب يا مجنونة ؟.. انا سادعو الطبيب حالا !..

قالت : لا . لا تدعُ الطبيب يا سليم ، ليس ثمة ما يقلق ، ولا هناك ما يوجب استدعاء الطبيب .

قال : يجب استدعاء الطبيب . لن يطمئن لي بال الا وقد استعدت هدوءك وصحتك وابتسامتك الزاهرة الزاهية البيضاء .

فامسكت بيده ، وقد اكبرت فيه تلك العاطفة النبيلة لتقول : اطمئن . اطمئن يا سليم . انا بالف خير .

قال : بالف خير وتتألمين ؟.. وتبكين ؟.. وتذرفين الدموع الغزيرة الحمراء ؟.. اليس كذلك ؟..

فتظاهرت بالارتياح .

وارتسمت على شفتيها ابتسامة واهيـــة كالضباب ، صفراء كجبينها ، مرتجفة كاعصابها ..

وحاولت ان تبدد بابتسامتها ذلك الوهم والظـــن والقلق عن رأس زوجها ، الا ان تلك الابتسامة جاءت تثبت المها وعذابها واضطرابها .

وهمس سليم الراشد : ناهدة ! قولي لي ما بك يـا حبيبتي !..

قالت : قلت لك .. صداع بسيط !..

قال : يلوح لي ان هناك اكثر من صداع . اراك تتألمين وتتعذبين وتبكين يا حبيبتي . اريد ان اعلم كل شيء ، كل شيء يا ناهدة !..

وهمست ناهدة ، ويدها تشد يد ذلك الزوج الحنون:
اطمئن . اطمئن . زوجتك بالف خير يا سليم .

قالت هذا ، ونهضت من السرير لتمسك بيد زوجها هامسة : تعال معي .

وسار معها ، دون ان يبدي اي اعتراض .

وخرجت به من الغرفة الى الشرفة ...

ووقفت قربه على الشرفة تستعرض معه تلك الوهاد

والربى والتلال ..

وعاد طيف حبيبها ماجد يلوح لها عبر الخيال في تلك الربوع ..

وخشيت ان تعود الى الدمع والالم والاضطراب فيفضح امرها هذه المرة .. فعادت تمسك بيد زوجها هامسة : تعال معـي .

وسار معها ...

ودخلت به الى الدار لتجلس بين امها وابيها واقاربها.

وجلس سليم قربها ، وهو ينظر الى عينيها النجلاوين ويعب منهما السعادة غبا ..

كان سليم الراشد سعيدا بزواجه من ناهدة .

كان يرى الدنيا كلها في عينيها ..

اذا ابتسمت ابتسم لابتسامتها ، واذا ادمعت بكـى لدموعها ..

كل ما كان يهمه هو ان تكون ناهدة بخير .

وناهدة الحبيبة لم تكن بخير .

كانت ناهدة دائمة الحزن ، دائمة الشجن ، دائمـة الدمع ..

وهذا ما كان يعذب زوجها سليم الراشد ويقـض مضجعه ويحرمه لذة وسعادة الحياة .

وناهدة لم تكن تحب زوجها سليم الراشد ، وهنـاك

ماجد يحتل من قلبها وروحها الصميم .

الا انها لم تكن تكره ذلك الزوج .

كانت ناهدة قد بدأت تركن الى زوجها بعد ان لمست فيه النبل والشهامة والكرم والعطف والحنان .

وكان سليم يغدق على زوجته المال والحب والحنان بدون حساب .

فهو قد اشترى بناية باسمها في محلة رأس بيروت . وبنى لها دارا فخمة انيقة في القرية الوادعة الخضراء . ووضع ثروته كلها بين يديها .. لها ان تغرف من تلك الثروة ما تشاء وتريد ..

كان سليم الراشد يريد ان يوفر لزوجته الحبيبة السعادة والراحة والهناء والاطمئنان .

وشعرت ناهدة بالدفء وبالاستقرار في دار الزوجية.

شعرت بحنان زوجها الشهم النبيل يبعث في نفسها الراحة والاطمئنان .

الا ان ذلك الحنان لم يستطع ان يلهب في قلب ناهدة ، ابنة حبيب مجبور ، العاطفة والشوق والحنين .

لم يستطع حنان سليم الراشد ان ينتزع من قلب ناهدة حب الدكتور ماجد زهران ، ولا هو استطاع ان يبعد عن رأسها تلك الذكريات الرهيبة ..

فكانت ناهدة تظهر امام زوجها البهجة والفرحة

والسرور ، حتى اذا خلت بنفسها ، انصرفت الى ذكرياتهـا المؤلمة الدامية تجمعها حفنات من دموع وأسى وشـوق وحنين ..

كانت ناهدة تقضي فصلي الشتاء والخريف في دارها العامرة ، في بنايتها الشاهقة في بيروت ، حتى اذا اطـل الربيع بعطره وزهره وعبيره ووروده ، انتقلت مع زوجها الى دارها الفخمة في القرية الهانئة الباسمة الخضراء ..

الفصل الثامن

كانت ناهدة تعيش مع زوجها حياة غنى ومال وثراء .
لها سيارتها الخاصة الفخمة الانيقة .
ولها الخدم .
ولها كل ما تطمع به امرأة من حلى وجواهر وثياب..
والتف حولها وحول زوجها الاصدقاء والصديقات.
ولمع اسمها في الاندية الاجتماعية ، وفي الجمعيات الخيرية ، ولها على تلك الاندية ، وعلى تلك الجمعيات ، الايادي السخية البيضاء .

اما زوجها سليم الراشد فقد لمع اسمه بين اسماء رجال المال والصناعة والتجارة والاقتصاد . فهو من المساهمين الكبار في بعض المصارف والشركات في بيروت . وله صفقات تجارية كبيرة . وهو عضو بارز في مجالس ادارة بعض المصانع ، والمال يتدفق عليه من كل حدب وصوب .

ولم يكن ينغص على سليم الراشد صفو الحياة الا حرمانه نعمة الاولاد .

كان سليم الراشد يتمنى ان يصبح ابا .

كان يريد ان يسمع كلمة : بابا .

كان يشتاق ان يرى طفله يدرج في داره ، ويملأ تلك الدار بهجة وسلاما .

الا ان الامنية الغالية لم تتحقق .

وظلت دار سليم الراشد بلا زهو ، ولا بهجة ، ولا اطفال .

وراح سليم الراشد يوزع ارباحه على المياتم ، وعلى المآوي ، وعلى دور الحضانة ، وعلى الاطفال المحرومين من حنان الاباء والامهات .

كان سليم الراشد يرى في كل طفل طفله ، وفي كل ولد صغير ابنه ...

كان يحن ويعطف ويسخو على جميع الاطفال ..

ورضي سليم الراشد بقسمته من الايام ، هذه هي مشيئة الله . فلتكن تلك المشيئة مباركة مقدسة .

ومضت الايام ...

مضت سنوات خمس على زواج ناهدة مجبور من سليم الراشد ...

وكان الزوجان يعيشان حياة هانئة مطمئنة مستقرة ، اقرب الى السعادة ، منها الى الشقاء .

وبدأ النسيمان يطل على قلب ناهدة مجبور ، وقد انقضت السنوات الخمس دون ان تشاهد الدكتور ماجداً زهران ، ودون ان تسمع شيئا عنه ...

وكان يخيل اليها انها سائرة في طريق النسيان ، وان الايام تكفلت بتضميد جراح قلبها ، وبلسمة جراح روحها الهائمة الولهى الحنون ...

الا ان الايام طلعت على ناهدة بمصيبة لم تكن تنتظرها . مصيبة انقضت عليها فجأة دون انذار ، ودون تهديد ، ودون وعيد ...

وكان انقضاض الكارثة ذات مساء من ايام الصيف الملتهب الانفاس .

كان سليم الراشد وعقيلته ناهدة مدعوين لحضور حفلة خيرية في صوفر ...

وكان سائق السيارة مريضا ، فاضطر سليم الراشد الى ان يقود سيارته بنفسه ...

وجلس سليم الى مقود السيارة الفخمة الانيقة ، وجلست ناهدة قربه ...

وادار المحرك ، فسارت السيارة بهما على بركات الله ، من القرية الوادعة الباسمة في قضاء المتن ، الى صوفر ...

وقال سليم الراشد لزوجته وهو يقود السيارة : منذ ثلاث سنوات لم اجلس الى مقود سيارة يا ناهدة • لقد كدت انسى كيف تقاد السيارة • ارى ان اعود الى قيادة سيارتي بنفسي ، مرة او مرتين كل اسبوع ، لئلا يطل يوم اصبح فيه عاجزا عن قيادة السيارة •

وهمست ناهدة : انتبه يا سليـم ، فالطريق وعر ، والمنعطفات متعددة ، والسيارات التي تجتاز هذا الطريق كثيرة •

وابتسم سليم الراشد وهمس : اتكونين خائفة يـا ناهدة ؟••

وهمست ناهدة مازحة : أأكون قربك واخاف ؟••

قال : ما دمت قربي يا ناهدة ، فانا استطيع ان اقود صاروخا ، لا سيارة فحسب •••

وضحكت ناهدة ••• وضحك سليم •

وقبل ان تنقشع الضحكة عن شفاههما صرخ سليم الراشد : ناهدة !•• ناهدة !•• ناهدة !••

واذا بالسيارة تجنح بهما عن الطريق ، وهي تجتاز منعطفا ضيقا ، وتتدهور بهما ، وتتدحرج الى قعـر واد سحيق •••

وفقدت ناهدة رشدها •••

وعندما استفاقت وجدت نفسها ممددة على سرير ناصع

البياض في غرفة بيضاء . وحولها فتاة ترتدي ثوبا ابيض...

كل ما حولها كان بياضا في بياض ...

وحاولت النهوض ، فعجزت ...

وشعرت بآلام مبرحة في ساقها وفي يدها ، فالتفتت الى الفتاة ذات الثوب الابيض تسألها : أين انا ؟..

وابتسمت الفتاة لها ، وهمست : انت في المستشفى يا سيدتي ... الحمد لله على السلامة ...

وتذكرت ناهدة ...

تذكرت الحفلة في صوفر ...

والسيارة الفخمة الانيقة ، وهي تجتاز بها وبزوجها الطريق الطويل البعيد المتلوي ...

وتذكرت زوجها وهو يقود السيارة ويمازحها ويضحك .. و.. والمنعطف.. والسيارة وهي تتدحرج بها وبزوجها.

وماذا بعد ؟ ..

هي لم تعد تذكر شيئا ...

والتفتت الى الممرضة تسألها بذعر وقلق ووجوم : زوجي ؟ ماذا حل به ؟.. اين هو سليم ؟..

وطفت على شفتي الممرضة الحسناء ابتسامة زاهية ، وهمست الممرضه ، وهي تمسك بيد ناهدة : اطمئني

يا سيدتي ، ان السيد سليم هنا ، في المستشفى ، انه في الغرفة المجاورة ، وهو بألف خير •

وتنفست ناهدة الصعداء : الحمد لله • سليم بخير •• هو لم يصب بما يقلق البال •• ولكن !•• ولكن ماذا حل به ؟•• وماذا اصابه ؟•• اتكون جراحه وكسوره خطرة ؟••

والتفتت ناهدة الى المرضة تسألها بقلق وحيرة واضطراب : ايكون سليم في خطر ؟••

وابتسمت المرضة وتمتمت : لا • اطمئني يا سيدتي• انه بالف خير •

قالت : اريد ان اراه • اريد ان اطمئن الى سلامته•

قالت المرضة : سترينه • وستطمئنين الى سلامته ايتها السيدة ناهدة • ولكن ليس الان •

فتساءلت ناهدة : لماذا ؟

قالت المرضة : لا انت تستطيعين الان مغادرة السرير، ولا هو •

قالت ، وقد عاد القلق الى عينيها : اصدقيني الخبر• قولي لي بكل صراحة ايكون زوجي في خطر ؟••

قالت : لا• ان الخطر بعيد عنه بعد الارض عن السماء، الا انه لا يستطيع مغادرة السرير ، فهو مثلك يا سيدتي، مصاب بجراح وكسور ورضوض عدة

واذا بالطبيب يطل عليها ، والابتسامة الوضاحة تسبقه

اليها •••

واقترب النطاسي من سريرها هامسا : الحمد لله على السلامة ايتها السيدة ناهدة •

قالت : شكرا يا سيدي الطبيب • شكرا •

قال : بعد ايام قليلة ستستطيعين النهوض من هذا السرير • جراحك وكسورك بسيطة ، والحمد لله •

وصمت الطبيب برهة ليقول : لا اخفيك ايتها السيدة ناهدة ان زوجك لن يستطيع مغادرة السرير قبل اسابيع ، وربما لن يستطيع النهوض قبل شهرين او ثلاثة اشهر •

فارتسم الخوف الشديد في عينيها وهمست : ايكون ثمة خطر على حياته ؟••

قال الطبيب : لا• ليس ثمة اي خطر على حياته يا سيدتي • ولكن •••

فقاطعته بذعر : ولكن ماذا ؟••

قال : ولكن اصابته غير اصابتك انت مصابة بكسور وجراح ورضوض بسيطة ، اما زوجك ••

فعادت تقاطعه بخوف ووجل : ما به ؟•• ما به زوجي؟•

قال : زوجك مصاب بكسور خطرة • اننا نخشى الا يستطيع النهوض من السرير قبل عام •• وربما قبل عامين •

فاشتد الذعر بها وتمتمت : هل يصبح زوجي مقعدا؟

لا تخف عني شيئا . انا استطيع ان احتمل المصاب مهما كان كبيرا اليما .

فجلس الطبيب علــى المقعــد الجلدي الوثير قرب سريرها ليقول : اسمعي ايتها السيدة ناهدة ، انا لن اخفي عنك شيئا . سأخبرك كل شيء . ساطلعك على كل شيء ، لانه يجب ان تعلمي الآن الحقيقة الناصعة البياض .

قالت : ما هي هذه الحقيقة ؟..

قال : ان زوجك مصاب بكسور ،كما قلت لك ، الا ان معظم تلك الكسور بسيط . ما هناك سوى كسر فــي اسفل السلسلة الفقرية . هذا الكسر قد يحكم على زوجك بالشلل .

فلمع الخوف جليا في عينيها النجلاوين وهمست بخوف وهلع : هل اصبح سليم مشلولا ؟..

قال : لا .. انا لم اقل لك ذلك ، الا انني اخشى ان يصبح عاجزا عن المسير ، اذا لم نوفق في تجبير هذا الكسر تجبيرا دقيقا .

فهدرت ناهدة : ارجوك يا سيدي ان تعيد الى زوجي العافية ، ولك منا ما تشاء . ان ثروتنا كلها بين يديك .

قال الطبيب : الطب لا يتعرف الى المال يا سيدتي . اطلبي لنا من الله ان يأخذ بيدنا ويوفقنا في القيام بما

يقتضيه الواجب المقدس المفروض .

ونهض الطبيب يسير داعيا لناهدة الجريح بالشفاء العاجل الوشيك .

وتحققت مخاوف الطبيب ..

واصبح سليم الراشد مشلولا ..

وعادت ناهدة الى الدار سيرا على قدميها ، وعاد زوجها محمولا على نقالة .

وذعر سليم الراشد وهو يشاهد نفسه عاجزا عن النهوض لا يقوى على المسير .

وادمعت عيناه ...

واستدعى اليه كبار الاطباء عارضا عليهم كل ما يملك من ذهب ومال وعقار .

فليأخذ الاطباء ثروته كلها ويعيدوا اليه العافية .

ماذا تفيده امواله ؟ ماذا يفيده عقاره ؟.. ماذا يفيده الذهب ، وهو عاجز عن النهوض ، وعن المسير ؟..

الا ان الاطباء في لبنان وقفوا عاجزين عن اعادة العافية الى سليم الراشد ..

واعلنوها بكل صراحة : قد يستطيع زملاؤنا في الغرب التوفيق حيث اخفقنا نحن ، لا سيما والمعدات الحديثة متوفرة لديهم .

وقالت ناهدة : سنسافر الى الغرب وسيرافقنا احد

اطباء لبنان •

وقال سليم : لا يا ناهدة • لا ، انا اخشى السفر الى خارج لبنان • قلبي يحدثني بانني لن اعود الى هذا الوطن الحبيب ، ان انا ابتعدت عنه •

فامسكت بيده هامسة : دعك من هذه الاوهام يا سليم • سنسافر الى الغرب ، سنعود وانت تتمتع بالصحة والعافية •

قال : لن اسافر الان • اذا كان لا بد من السفر فليكن ذلك بعد عام • من يدري ، قد نجد خلال هذا العام طبيبا لبنانيا يستطيع ان يشفيني •

واصر سليم الراشد على موقفه لا يتزحزح عنه •

واقام في داره في بيروت على لوعة واسى وشجن •

واقامت زوجته ناهدة قربه توآسيه وتخدمه وتغدق عليه العطف والاهتمام • فقد رأت ناهدة ان ترد لسليم الجميل ، وهو الذي احاطها بعطفه وبحبه وحنانه ، والذي اغدق عليها الهدايا والذهب والمال •

وازداد حب سليم الراشد لزوجته ، وهو يلمس فيها النبل والشهامة والعطف والحنان ، ناهدة مثال الزوجة الفاضلة المخلصة الوفية المصون • انها ملاك هبط عليه من السماء •

وكان سليم يشير على ناهدة بالخروج من الدار ، الى

السينما او الى المنتزهات او الى زيارة الاهل والاصدقاء لتروّح عن نفسها . الا ان ناهدة كانت تأبى ان تخرج من الدار . ليس لناهدة ان تخرج من دارها ، وزوجها المقعد يعاني الالام والحرمان ..مكانها هنا قربه . وهي لن تبتعد عنه .

وكان الاطباء يعودون سليم الراشد من حين الي اخر . ومنهم من كان يصف له اخر ما توصل اليه الكيماويون الاختصاصيون من ابتكارات واختراعات في ميدان الادوية والمصول والعقاقير ..

ويتناول سليم تلك الادوية آملا ان تمكنه من الشفاء، الا ان الامل لا يلبث ان يخمد ويخبو في صدره ، وهو يشاهد نفسه مشدودا الى سريره ، عاجزا عن النهوض وعن المسير ...

وذات يوم ، اقبل الدكتور فريد نجار الى دار سليم الراشد ، والبسمة تطفو على شفتيه .

واستقبله سليم بالاسئلة المعهودة : ماذا يا دكتور ؟.. اهكذا سأظل العمر كله ممددا في سريري ؟.. الم يتوصل الطب الى ايجاد الدواء الشافي ؟..

واتسعت الابتسامة على شفتي الدكتور نجار، وامسك بيد سليم الراشد ليقول : لك عندي بشرى سارة يا صديقي العزيز .

ووثبت ناهدة الى الطبيب تسأله بالحاح : ما هي هذه البشرى يا سيدي الطبيب ؟..

قال : هناك طبيب لبناني شاب تخصص في باريس بجراحة العظم . هذا الطبيب صديقي ، وقد عاد من فرنسا منذ شهور قليلة . انه بارع ماهر في جراحة العظم .. منذ ايام اجرى هذا الطبيب عملية جراحية لرجل مشلول . حالة ذلك الرجل المشلول لا تختلف عن حالتك يا صديقي سليم . وقد كان نصيب هذه العملية الجراحية النجاح التام . جميع الاطباء شهدوا لهذا الطبيب الشاب بالتفوق والبراعة .

قال سليم الراشد : واين هو صديقك هذا يا دكتور ؟.. اين هو ؟..

قال الدكتور نجار : لقد حدثته عنك امس ، قلت له: هناك صديق عزيز علي بحاجة الى فنك وخبرتك ، واتفقت واياه على ان يعودك هنا في دارك ، في الساعة العاشرة من صباح غد ، ليفحصك ويقرر ما يراه موافقا .

فتمتمت ناهدة : لماذا الانتظار الى الغد يا دكتور ؟.. فليتفضل صديقك الطبيب البارع بالحضور الان الينا !..

قال الدكتور نجار : لا . هو لا يستطيع الحضور اليوم . غدا في تمام الساعة العاشرة سأكون واياه هنا .

قال سليم الراشد ، وقد تعلق بذلك الامل الواهي

الضئيل : أيخيل اليك ان صديقك الطبيب هذا سيتمكن من شفائي ؟..

قال : ان ثقتي به كبيرة ، والامل بالله . اذا لم يستطع صديقي الدكتور الشاب شفاءك ، فلا يعود ثمة امامك الا السفر الى اوروبا .

قال سليم : لن اسافر .. انا متشائم من السفر يا صديقي . يخيل الي انني سأموت اذا ابتعدت عن لبنان .

فضحك الدكتور نجار وهمس : التشاؤم وهم يا سليم . ليس لنا ان ننظر الى الحياة بمنظار التشاؤم . الحياة للمتفائلين وليست للمتشائمين . على كل انا آمل ان يتمكن صديقي الطبيب من شفائك ، فتنجو من السفر الى خارج لبنان .

واقام الدكتور فريد نجار زهاء ساعة قرب صديقه سليم الراشد .

وعندما نهض مودعا وسار نحو الباب ، لحقت به ناهدة لتقول : سنكون بانتظار زيارة صديقك الطبيب غدا يا دكتور . ارجو ان يفي صديقك هذا بوعده .

قال : اطمئني ايتها السيدة ناهدة . مواعيد الاطباء غير مواعيد جميع الناس ، ان الطبيب يفي بوعده اذا وعد.

واقام سليم الراشد وزوجته ناهدة ينتظران حلول الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي بفارغ صبر .

وتساءل سليم الراشد في سره : ترى هل ينجح هذا الطبيب الناشىء الجديد ، حيث اخفق كبار الاطباء ومشاهيرهم ؟..

وأجاب سليم الراشد نفسه على السؤال : ان شاء الله .

اما زوجته ناهدة ، فقد لجأت الى الصلاة ، فجثت على ركبتيها وراحت تصلي بحرارة الى الله عز وجل ليمن على زوجها بالشفاء على يد ذلك الطبيب المجهول ..

وعجبت ناهدة من نفسها كيف لجأت الى الصلاة .

وتساءلت : لماذا ابتهل الى الله بهذه الحرارة ؟..

ولم تستطع ناهدة ان تجيب على هذا السؤال .

هي لا تعلم لماذا تلجأ الى الصلاة .. اتكون مقدمة على خطر ؟..

ليست تدري . ليست تدري ..

وعادت ناهدة الى غرفة زوجها لتجلس قربه توآسيه وتسايره وتسامره وتتبادل واياه أحاديث شتى .

وسهرت ناهدة قرب سرير زوجها .

ولم تدخل الى غرفتها ، ولم تندس في سريرها ، الا والساعة تشير الى منتصف الليل .

وحاولت ناهدة النوم .

حاولت ان تجذب الكرى الى عينيها ، الا انها

عجزت ...

فهي لم تستطع الى النوم سبيلا .

كانت تفكر بزوجها : ترى هل يتمكن ذلك الطبيب من شفاء سليم ؟..

ان شاء الله . ان شاء الله !..

وتقلبت ناهدة في سريرها الوثير ، وكأنها تتقلب على نار وحمم . ولم تستطع ان تستسلم للرقاد الا والفجر يبسط جناحه الوضاح على بيروت .

واستغرقت ناهدة في النوم ، ولم تستفق من رقادها الا والساعة تشير الى التاسعة من الصباح ...

ووثبت من السرير لتسرع الى غرفة زوجها ..

وكان سليم قد استفاق واستوى في سريره يطالع صحف الصباح .. وجلست قربه على السرير هامسة : كيف حالك اليوم يا سليم ؟..

قال : الحمد لله يا حبيبتي . ما دمت انت قربي ، فانا بالف خير .

قالت : لقد استغرقت في النوم . الساعة تشير الى التاسعة من الصباح . ليس ثمة ما يفصلنا عن موعد حضور الطبيب الا ساعة واحدة .

قال: هل يخيل اليك ان حظي مع هذا الطبيب سيكون بأفضل منه مع كبار الاطباء يا ناهدة ؟..

قالت : قلبي ينبئني بأنك ستنال البرء على يد هــذا الطبيب يا سليم .

قال : ارجو ان تصدق نبوءة قلبك يا ناهدة !..

وجاءتهما الخادمة بالقهوة ، فجلسا يرشفانها على مهل ويتحدثان ..

ولم تلبث ان نهضت ناهدة لترتدي ثيابها وتعود الى غرفة زوجها ، فتتناول طعام الصباح معه في غرفته ، ثــم تجلس قربه بانتظار حضور الطبيب الناشيء الضليع ..

وانقضت الدقائق ثقيلة سوداء على القلبين ، على قلب ناهدة وعلى قلب زوجها ...

وبدأ عقربا الساعة يقتربان من العاشرة ، والزوجان يراقبانهما بصمت وتفكير : ترى هل يبر ذلك الطبيــب بوعده ؟..

من يدري ؟.. قد يضطر للأخلاف بالوعد ، نـزولا عند ضرورة شديدة ملحاح .

ودقــت الساعــة دقاتهــا العشرة فتبــادل الزوجان النظرات ...

وهمس سليم : ها هي الساعة تعلن العاشرة .

قالت : هو سيحضر . من المؤكد انه سيحضر يا سليم.

واذا بجرس الباب يقرع ...

واسرعت الخادمة الى الباب تفتحه .

والتفتت ناهدة الى زوجها لتقول : الم اقل لك انــه سيحضر ؟..

قالت ناهدة هذا ، وهرولت وراء الخادمة نحو الباب..

وكانت الخادمة قد فتحت الباب عندما وصلت ناهدة اليها ...

وشاهدت الدكتور فريد نجار يدخل ، ثم يدخل وراءه الطبيب الناشىء .

ووقفت ناهدة ترتجف ، وقــد وقعت عيناها على الطبيب .

وذعرت ...

وجحظت عيناها ..

وارتجفت شفتاها ..

ووهنت قواها .. واصطكت ركبتاها ..

فتهادت ، وكادت تقع على الارض ..

واقتربت من الجدار تستند اليه ، وتهمس في سرها: ماجد ؟ ماجد زهران ؟ اهذا هو الطبيب ؟..

اجل ... كان ذلك الطبيب الدكتور ماجد زهران ...

وما اصاب ناهدة اصاب ماجدا .

وما حل بها حل به . فأخذ يرتجف كأنه ورقة فــي مهب الرياح العاصفة العاتية الهوجاء .

وتقدم الدكتور فريد نجار من عقيلة سليم يصافحها

متمتما : ماذا ايتها السيدة ناهدة ؟ هل آمنت الان بوعود الاطباء ؟•• لقد وفى صديقي الدكتور ماجد زهران بوعده •

وصافحت ناهدة الدكتور فريد نجار بيد باردة مرتجفة صفراء وهمست : اهلا وسهلا •

وتمتم الدكتور نجار : انني اقدم لك الجراح الكبير الدكتور ماجد زهران •

وهمست ناهدة ، وهي تمد يدها الباردة الواهية الى ماجد : تشرفنا يا دكتور ••

ولم ينبس ماجد بحرف •••

لم يستطع ان ينبس بحرف ، لم يستطع ان ينطق بكلمة •

فالمفاجأة عقدت لسانه واضاعت تفكيره، وهدت قواه••

انه الان وجها لوجه امام ناهدة • امام حبيبته ناهدة• ناهدة التي احبها ملء قلبه وروحه • ناهدة التي غمرت عينيه بالدموع ، واثخنت قلبه بالجراح • ناهدة التي وهبها قلبه وحبه وعاطفته وشعوره وحنينه •

ناهدة امامه الان ؟•• ايكون في اليقظة ام تراه في حلم هانىء باسم جميل ؟••

وصافح ماجد ناهدة بيد مرتجفة باردة دون ان ينطق بحرف ••

والتفت الدكتور نجار الى زميله الدكتور زهران

ليقول : اقدم لك السيدة ناهدة عقيلة السيد سليم الراشد يا ماجد •

وهمس ماجد : من هو المريض يا فريد ؟••

قال : المريض زوجها • السيد سليم الراشد ••

وهمس الدكتور ماجد زهران وهو يصافح ناهدة : تشرفنا يا سيدتي •

وسار الدكتور فريد نجار الى غرفة سليم الراشد ••

وسار الدكتور ماجد زهران وراءه وسارت وراءهما ناهدة ، وهي تهمس في سرها : يا رب •• ساعدني يا رب•• ارحمني يا رب • قوني يا رب •• رحمتك يا رب •• قوتك يا رب •••

وكانت ناهدة ، وكان ماجد ايضا ، في حال مؤسفة مؤلمة دامية دامعة رهيبة •

ودخل الثلاثة الى غرفة المريض ، الى غرفة سليم الراشد •

وتقدم الدكتور فريد نجار من سرير صديقه المقعد ، والابتسامة تطفو على شفتيه ، وهمس : لقد بر صديقي الدكتور ماجد زهران بوعده ايها السيد سليم • وحضر اليك في الموعد المضروب • الدكتور زهران من مشاهير الاطباء ، لقد تخصص في جراحة العظم في باريس • انني لآمل ان تنال البرء على يديه •

قال الدكتور نجار هذا ، والتفت الى الدكتور زهران ليقول : اقدم لك صديقي السيد سليم الراشد ، يا ماجد !..

وتقدم الدكتور ماجد من سرير سليم ... وصافحه هامسا : تشرفنا .

وتمتم سليم الراشد : اشكرك يا سيدي الطبيب على هذه الزيارة ، تفضل ... تفضل بالجلوس .

وتفضل الدكتور ماجد بالجلوس ، فجلس على مقعد رجراج وثير قرب سرير المريض .

وجلس الدكتور فريد نجار قربه ، اما ناهدة فقد اسرعت بالخروج من الغرفة قبل ان تفضحها دموعها ..

لقد كانت ناهدة ترتجف كأنها ريشة تتلاعب بها رياح الشتاء الهوجاء .

كانت كنور شمعة واه ضئيل ، وقد بدأ يخبو وينطفىء ...

كانت كوردة تناثرت اوراقها الندية بين ايدي رياح تشرين ...

ودخلت ناهدة الى غرفتها لتستلقي على سريرها وتجهش بالبكاء كالاطفال .

وانصرف سليم الراشد الى مسايرة الدكتور ماجد زهران وسأله : يلوح لي ان الدكتور زهران لم يغب طويلا عن لبنان !..

واجاب ماجد : لا .. لقد اقمت في فرنسا سنوات قليلة حيث تخصصت في جراحة العظم ثم عدت الى وطني.

قال سليم : اسرة زهران اسرة عريقة في لبنان . هناك بعض الزهرانيين عندنا في القرية ... هناك حسيب زهران وفؤاد زهران ونجيب زهران . هل تعرفهم ؟..

واحتار ماجد في امره : بماذا يجيبه . هل يعلن له الحقيقة . هل يقول له : ان حسيبا ابن عمي ، وفؤادا نسيبي ونجيبا عمي ؟.. اجل .. سيقول له كل شيء ، لن يسلك معه سبيل الكذب والنفاق من اول الطريق ... وهمس : اجل جميع هؤلاء من انسبائي .

وتمتم سليم الراشد : صحيح ؟ اتكون انت من قريتنا يا دكتور ؟..

قال : اجل يا سيدي !..

قال سليم : ابن من انت ؟..

قال : انا ابن كريم زهران

فتمتم سليم الراشد : انت ابن المرحوم كريم زهران؟.. رحم الله والدك يا دكتور ماجد . كان رجلا نبيلا .

قال ماجد : لقد توفي والدي وانا في باريس . لم استطع ان اودعه الوداع الاخير ، وهذا ما ينغص علي لذة الحياة .

قال سليم : انا لم اتشرف بمعرفتك قبل الان . لقد

قضيت الشطر الاكبر من حياتي في المهجر • عندما سافرت انا الى المهجر كنت انت لا تزال طفلا •

وهمس الدكتور فريد نجار : اذن لم يعد لي اي فضل الان • وارى ان وجودي لم يعد له اي فائدة • فانتما من بلدة واحدة ، وصديقان حميمان •

وضحك سليم الراشد ، وحاول الدكتور ماجد زهران الضحك ، فعجز •

كانت الدموع قد بدأت ترقرق في عينيه • وكان القلق الشديد قد بدأ يستبد به ، وكانت الافكار الثائرة تعذبه وتذري خياله في مهب الرياح •

وهمس سليم الراشد مازحا ايضا : انت صاحب الفضل الاكبر علينا يا دكتور فريد • لولاك لما تم التعارف بيننا •

قال الدكتور نجار : ارجو ان يكون هذا التعارف خيرا عليكما •

قال الدكتور نجار هذا والتفت الى صديقه الدكتور زهران ليقول : سأروي لك الان قبل ان تكشف على سليم، المراحل التي مر بها منذ وقوع الحادث حتى الان • لقد كان الحادث تدهور سيارة ، كما قلت لك ، وقد اصيب سليم بكسور ورضوض وجراح عدة ، فنقل الى المستشفى حيث اجريت له الاسعافات اللازمة ، وجبرت كسوره ، وضمدت جراحه•••وكنت انا بين الاطباء الذين عالجوه•••

واتضح لنا : ونحن نجبر كسوره ان هناك كسرا في اسفل العامود الفقري • وانت تعلم يا ماجد ان كسر العامود الفقري صعب التجبير وان اقل خلل في تجبير ذلك الكسر يقضي على صاحبه بالشلل مدى الحياة • هناك آلات خاصة نادرة يستعان بها على تجبير مثل هذه الكسور ، وهذه الالات غير موجودة الان في لبنان . كما ان الاختصاصيين في تجبير مثل هذه الكسور لم يكونوا موجودين في لبنان قبل حضورك • لقد حاولنا جاهدين انقاذ سليم من الشلل فعجزنا • اشرنا عليه بالسفر الى اوروبا فرفض • من يدري قد يكون الله عز وجل ألهمه البقاء في لبنان ريثما تصل انت •

وهمس الدكتور ماجد زهران : فلتكن مشيئة الله مباركة مقدسة • هذه هي مشيئته ، وليس لنا الا ان نرضخ لها •

وتابع الدكتور نجار كلامه ، قال : اخذنا للكسر صور عدة •

قال ماجد : هل استطيع ان اطلع على هذه الصور ؟••

وقال سليم : بكل تأكيد • جميع هذه الصور عندي• سأعرضها عليك •

قال سليم هذا ، ومد يده الى الزر الكهربائي يشده، فيقرع الجرس ••

واقبلت الخادمة لتقول : بماذا يأمر سيدي ؟
قال : اين هي سيدتك ؟..
قالت : انها في غرفتها .
قال : قولي لها ان سيدي يريد الصور ، جميع الصور التي اخذت لكسره .
وذهبت الخادمة .
وشخصت الى غرفة سيدتها ، ووقفت امام باب الغرفة تقرعه .
وكانت ناهدة لا تزال مستلقية على سريرها تبكي بدموع غزيرة قانية الاحمرار ، فمسحت دموعها على عجل وتمتمت: مـــن ؟..
وتعالى صوت الخادمة : انا سليمة يا سيدتي .
قالت : ما بك يا سليمة ؟
قالت سليمة : سيدي يريد الصور التي اخذت لكسوره
قالت ناهدة : ها انا مقبلة اليه .
قالت ناهدة هذا ، ووثبت من السرير لتغسل وجهها وترش وجنتيها بالبودرة فتخفي آثار الحزن والالم والاسى، ثم تحمل الصور ، وتشخص الى غرفة زوجها بقدمين واهيتين مرتجفتين .
ودخلت الى غرفة زوجها .
ودفعت بالصور الى الدكتور نجار وهي تتحاشى النظر

الى ماجد •

وتناول الدكتور فريد نجار الصور ليعرضها على زميله شارحا له كل ما في تلك الصور : هذه الصورة اخذت بعد الحادث مباشرة ••• ها هو الكسر فيها واضحا كل الوضوح ••• وهذه الصورة اخذت بعد تجبير الكسر • انظر ••• ان التجبير لم يكن سليما ••• وهذه الصورة اخذت منذ ثلاثة اشهر •

وراح الدكتور ماجد زهران يستعرض مع زميله الدكتور نجار تلك الصور ، وهو واهي القوى شارد الذهن تائه النظرات ، في حين وقفت ناهدة بعيدا تنظر الى ماجد من خلال دموعها المترقرقة في عينيها النجلاوين الجميلتين •

والتفت الدكتور نجار الى ماجد ليقول له ، وقد انتهيا من استعراض تلك الصور : ما هو رأيك الان يا ماجد ؟••

قال ماجد : سأكشف الان على السيد سليم قبل ان اعلن رأيي •

وخرجت ناهدة من الغرفة لتعود الى غرفتها وهي في حال تفتت الاكباد •

كانت ناهدة كعصفور مهيض الجناح •

كانت دامعة العين ، كسيرة الخاطر ، واهية القوى، ترتجف وترتعش ، وتحاول خنق الانين على شفتيها ، فتعجز

وتكبو ، وتخرج الانة من الشفتين النديتين كحفيف الاوراق بين ايدي النسيم العليل .

وانصرف الدكتور ماجد زهران الى فحص سليم الراشد فحصا دقيقا ...

والتفت الى صديقه الدكتور نجار ليقول ، وقد انتهى من فحص المريض : ان شفاء السيد سليم امر مستطاع يا فريد .

وارتسمت الابتسامة على شفتي سليم الراشد ، وقد سمع ما يقول الدكتور ماجد زهران ، وهمس : صحيح ؟ هل ان شفائي مستطاع يا دكتور ؟..

قال ماجد : ان شاء الله .

قال سليم : متى ؟ .. متى سأكون قادرا على النهوض من هذا السرير يا دكتور ؟.. لقد سئمت هذه الحياة . تعبت من الاستلقاء على هذا السرير ، الدنيا باسرها اصبحت في عيني ظلاما في ظلام . أرجوك يا دكتور ، اشفني ولك مني ما تشاء . لك ثروتي كلها .

وادمعت عينا سليم الراشد ، وهو يخاطب الدكتور ماجد زهران ..

واشفق ماجد عليه شديد الاشفاق . وتذكر ، وهو يشاهد سليما في توسله ورجائه واستعطافه ، ذلك القسم الذي اقسمه يوم فاز ببراءة الطب ..

واغمض عينيه وهمس في سره : ساعدني يا رب في شفاء هذا المريض •

وتقدم الدكتور نجار من زميله ليقول : ماذا يا ماجد؟

قال ماجد : يجب ان ينقل السيد سليم الى المستشفى، ويخضع لمعالجة بسيطة ثم تجرى له عملية جراحية •

قال الدكتور نجار : سينقل اليوم ، اذا شئت ، الى المستشفى •

قال ماجد : لا •• انا سأعين ذلك اليوم • دعني افكر مليا بالامر يا فريد •

قال الدكتور فريد نجار : ليكن لك ما تريد •

وكانت الخادمة قد اقبلت حاملة لهم القهوة • فجلس الطبيبان قرب سليم الراشد يرشفان معه القهوة ويتحدثون•

وما ان انتهوا من رشف القهوة ، حتى نهض الدكتور ماجد زهران قائلا : يجب ان اذهب الان ، لانني مرتبط بموعد مع احد مرضاي •

قال سليم الراشد : هل تتفضل بتناول طعام الغداء معنا يا دكتور ؟!•

قال ماجد : شكرا يا سيدي • انا مضطر للعودة الى عيادتي الان •

ونهض الدكتور فريد نجار ايضا ليقول : وانا ايضا مضطر للعودة الى المستشفى الان •

قال سليم : ومتى ستعود الينا يا دكتور ماجد ؟
قال ماجد : سأعود اليك يـا سيدي خلال هـذا الاسبوع .

قال هذا وصافحه . واسرع بالخروج من تلك الدار، مع صديقه الدكتور فريد نجار، وهو في حال تفتت الاكباد.

وراح ماجد يعمل جاهدا على اخفاء عاطفته الثائرة عن صديقه ...

ووفق ...

وما ان وصل الى داره حتى اسرع بالدخول الـى غرفته ليجلس على مقعد رجراج وثير ، ويلقي برأسه بين يديه ويستسلم للتفكير ، والدموع تترقرق في مقلتيه ..

وانتصبت امامه الذكريات المؤلمة الرهيبة تمعن فـي تعذيبه ، وتثخن قلبه بالجراح ... فتذكر ...

تذكر حبيبته ناهدة ...

تذكر خلواته بها في الغابة الخضراء .

تذكر الربوة الباسمة ... والسنديانـة ، والصخرة التي كان يجلس عليها معها ...

تذكر همساتها وقبلاتها وبسماتها وعينيها ، وشعرها ..

تذكر كل كلمة همست بها شفتاها .

ومضى في ذكرياته الدامعة فتذكر دموعها ..

دموع ناهدة يوم خلا بها واعلنت له رغبة اهلها في

اجابة طلب سليم الراشد ..

وتذكر يوم العرس ،

تذكر كيف شاهد ناهدة في ذلك الثوب الناصع البياض ، تسير قرب عريسها وهي تجهش بالبكاء ..

وتحول الالم في صدر الطبيب اللامع الى ثورة لاهبة عاصفة حمراء ..

سليم الراشد سلبه حبيبته . وهو الان تحت رحمته .

هل يشفيه ؟. هل يدفع عنه الشلل ؟ هل يساعده على النهوض من السرير ؟.

المجال فسيح امامه الان للانتقام . فلينتقم !..

فلينتقم لقلبه ، ولقلب ناهدة ، ولجميع القلوب المعذبة البائسة المتألمة على هذه الارض .

وطال تفكير الدكتور ماجد زهران .

وطال قلقه .

وطال وجومه واضطرابه .

وشعر الطبيب اللامع بالعاصفة تهب حوله عاتية هوجاء .

كانت تلك العاصفة تتقاذفه ، وتلعب به وتهزه هزا .

وتذكر الدكتور ماجد زهران ، وهو جالس في غرفته الفسيحة الارجاء يدخن ويفكر .

تذكر القسم الشريف ، الذي أقسمه يوم فاز ببراءة

الطب .

لقد اقسم يومذاك على ان يخلص لمهنته ، وعلى ان يكفر بنفسه ، وعلى ان يبتعد عن الانانية ، وعلى ان يعمل بوفاء وتجرد واخلاص من اجل نجدة المرضى المعذبين.

لقد اقسم الدكتور ماجد زهران ، يوم فاز ببراءة الطب . وتعهد بنجدة المعذبين وبمعالجة المرضى الموبوئين بكل امانة وتجرد ونزاهة . فكيف يخون الامانة التي تعهد بصونها ؟..

وكيف يحنث بالقسم الشريف الذي أقسمه امام اللجنة الفاحصة ، وأمام ضميره وأمام الله ؟..

وهمس الدكتور ماجد زهران في سره ، وقد وصل بتفكيره عند هذا الحد : لا ... لا ... لن اخون الامانة، لن احنث بالقسم ، لن اكون مجرما حيال ضميري ، وامام رب السماء والارض . لا .. لا ... لا ... لن أغوص في الوحل ، لن ارتكب الاثم ، لن اقترف الجريمة .. انـا سأعالج سليماً الراشد ، وسأشفيه ، وأعيش العمر مطمئن البال ، ناصع الجبين ، مرتاح الضمير .

ونفث دخان اللفافة الفاخرة في الفضاء ، وأطلق زفرة محرقة، ومسح دمعة تدحرجت على وجنتيه وهمس: ساعدني يا رب !..

ثم ، ثم عاد الى التفكير مجددا ، فتذكر ناهدة،

وجنح به الخيال الى البعيد ، ورجعت به الذاكرة الى الوراء فتذكر ... تذكر تلك الايام والليالي التي كان فيها قرب حبيبته ناهدة .

ومضى في ذكرياته ، فراح يتذكر جلساته واياها في الحرج ، وفي الحديقة ، وفي الكرم ، وفي البستان .

ويتذكر ... يتذكر الربوة الباسمة الخضراء ، والسنديانة العجوز الوارفة الاغصان ، الدائمة الاخضرار، والصخرة الوادعة ، والشمس ، وهي تقف على شرفة الافق البعيد ، متأهبة للانحدار في اليم الواسع الرحيب ...

ويرن ، مع الذكريات ، صوت ناهدة الحبيبة في اذنيه : «متى يا ماجد نجتمع اجتماعا بدون فراق ؟.. متى يتاح لي ان اظل هكذا قربك فلا انفصل ولا ابتعد عنك؟.. متى يا حبيبي تجمع الايام بين جسدينا كما جمعت بين قلبينا وبين روحينا ؟..»

وتتدحرج الدموع غزيرة على وجنتيه . ويعود همس ناهدة الى الانسياب في أذنيه مع الذكريات : « ماجد !.. يا حبيبي انني في اشتياق رحيب اليك .»

ويمسح دموعه الغزيرة بكفه ، وينهض ليقترب من النافذة ، محاولا الابتعاد عن تلك الهمسات .

الا ان الهمسات الشجية العذبة الحلوة تأتي اليه عبر النافذة مع النسيم العليل : «ماجد !.. نحن لن نعيش

العمر معا ، سنقضي حياتنا على هذه الارض الفانية في الشقاء والعذاب والدموع . اذكرني يا ماجد . اذكرني يا حبيبي .. كلما شاهدت تلك الاماكن الجميلة التي كنا نجتمع في حناياها قل : سلام على تلك الايام الهانئة التي قضيناها معا يا حبيبي » .

وتتكسر الأنة على شفتيه ، وتقف الغصة في صدره.

ويشاهد بعين الخيال حبيبته ناهدة ترتدي ثوب العرس الناصع البياض ، وتسير قرب عريسها سليم الراشد، وهي تبكي . فيثور ،ويتمتم في سره : لا... لا... لن أشفيه . لن أعالجه . هذا هو عدوي ، هذا هو من سلبني حبيبتي ، وقضى علي بالشقاء مدى الحياة . هل أساعد عدوي ؟.. هل أمد يدي الى قاتلي؟. لا... لا ... لا ..

وتهب عليه العاصفة من كل حدب وصوب .

وتبعثر العاصفة الهوجاء احلامه وااماله وامانيه في الفضاء .

ويضيع عن حقيقته ، وتنهمر الدموع غزيرة على وجنتيه ، فيلقي بنفسه على السرير ، وهو في حال تفتت الاكباد .

ولم يستطع الدكتور ماجد زهران ان يحدد موقفه النهائي من سليم الراشد .

هل ينصرف الى معالجته ، ويشفيه ويعيد اليه

العافية ؟..

هل يتنكر له ، ويبتعد عنه ، ويتركه يعاني الالام ، محروما من العافية والنشاط ؟..

هل يتسامح ؟..

هل ينتقم ؟..

ليس يدري . ليس يدري .

وانقضى ذلك النهار ثقيل العبء على الدكتور ماجد زهران ..

ولم يشخص ذلك اليوم الى عيادته ، ولا هو قام بزيارة مرضاه في المستشفى ، بل هو سجن نفسه في داره يفكر ويدخن ويبكي ..

ودعته الخادمة لتناول الطعام. فثار في وجهها، وصرخ بها : من قال لك انني اريد ان اتناول الطعام ؟..

ودهشت الخادمة ، فهي لم تشاهد سيدها الطبيب في مثل تلك الثورة الجامحة الهوجاء .

وعادت الى المطبخ والحيرة والدهشة تطلان من عينيها.

وانقضى النهار ، وسكب الليل ظلامه على بيروت . فخرج الدكتور ماجد زهران الى الشرفة ليدخن ، ويراقب النجوم ، ويناجي حبيبته ناهدة .

ونظر من خلال الدموع المترقرقة في عينيه الى نجمة لامعة تسطع في الظلام وهمس : اينها النجمة التائهة في

الفضاء : هل تشاهدين حبيبتي ناهدة الان ؟•• هـل ترينها ؟•• هل تعلمين اين هي ؟•• اذا شاهدتها قولي لها : ان ماجدا يسلم عليك •

وحول نظره الى نجمة ثانية ليهمس : وانت ، انت ايتها النجمة اللامعة ، ماذا تعرفين عـن ناهدة ؟•• هـل تشاهدينها الان ؟•• اذا شاهدتها احملي لها دموعي ، وانقلي اليها اشواقي وحنيني • قولي لها ايتها النجمة ان ماجدا يشتاقك ، ويحبك ، ويحن ابدا اليك •

وغرق الدكتور ماجد زهران في آهاته ولوعاته ودموعه•

ولم يدخل الى غرفته الا وقد انقضى الشطر الاول من الليل واشرفت الساعة على الثانية في الفجر ••

ودخل الى غرفته لينزع عنه ثيابه ويرتدي ثياب النوم ويستلقي في سريره وهو شارد الذهن ، دامع العين ، كسير الجناح •

ولم يستطع الرقاد •

كان طيف ناهدة قربه في السرير ، وكانت همساتها الشجية العذبة ترن في أذنيه •

وتقلب الدكتور ماجد زهران في سريره الوثير وكأنه يتقلب على جمر ونار •

وعندما بدأت انوار الفجر الوردية اللون تتسرب الى الغرفة عبر زجاج النافذة ، كان التعب والنعاس والالم

والعياء قد تآمرت عليه ، فهدت قواه ، وألقت به بين ايدي سلطان الكرى القوي القدير •••

واستغرق الدكتور ماجد زهران في نوم عميق ، الا انه لم يستطع ان يرتاح من طيف ناهدة ومن همساتها ومن ابتساماتها ، ومن تجهمها وعبوسها ، حتى وهو مستسلم للنوم •

فقد تراقص طيفها في مخيلته وهو غارق في نومه•

وسمع همساتها ووشوشتها وآهاتها آتية اليه ، عبر الاحلام ، تناجيه حينا ، وتعاتبه احيانا ، وتتوسل اليه تارة، وتشكو له مرارة البعد والصد والهجران طورا ••

وبكى ماجد ، وبلل وسادته بالدموع وهو مستسلم للرقاد •

وعندما استفاق كانت الساعة تدق معلنة الثامنة من الصباح •

وكانت خيوط الشمس الذهبية اللامعة تنسج فوق سريره وشاحها الاصفر الوهاج •

ووثب من السرير ليغسل وجهه ، ويرتدي ثيابه ، ويخرج من الغرفة الى الشرفة •

وجاءته الخادمة بقهوة الصباح فجلس على الشرفة يدخن ويتناول القهوة ويفكر •••

ودعته الخادمة الى تناول طعام الصباح ويدها على

قلبها •

فهي تخشى ان يثور عليها كما ثار امس عندما دعته الى تناول الطعام •

الا ان ماجدا لم يثر بل هو نهض ليسير الى غرفة الطعام باتئاد خطى •

وتناول طعام الصباح دون شهية •

واسرع بالخروج من الدار ليستقل سيارته ويطير بها الى العيادة ••

وكشف على مرضاه في العيادة ، ثم شخص الى المستشفى ليعالج المرضى ، وهو بحاجة الى من يعالجه ويداويه ••

واستطاع العمل المتواصل ان يخفف بعض احزانه وآلامه وشجونه •

الا ان الالام والاحزان والشجون عادت تعصف به ، وقد عاد الى داره ، وعادت الذكريات المؤلمة الدامية الرهيبة الى رأسه •

وعاد يسائل نفسه : ماذا ؟•• هل اشخص الى دار سليم الراشد ؟••

واحتار بماذا يجيب نفسه •

هل يجيب بأجل ، ام تراه يجيب بلا ؟•

ليس يدري ••• ليس يدري •••

ولم يستطع ان يتخذ قرارا حاسما .

فلا هو قرر الذهاب الى دار سليم ، ولا هو قرر الانصراف عن تلك الدار .

وعادت الساعات تمر ثقيلة باردة سوداء على قلب الدكتور ماجد زهران ، لا يخرج عن قلقه وحيرته ووجومه واضطرابه ..

ومرت ايام ثلاثة كانت عند الدكتور زهران كثلاثة شهور ، او بالاحرى كانت تلك الايام الثلاثة ثلاث سنين ..

وفي صباح اليوم الرابع ، في الساعة الثامنة من صباح اليوم الرابع ، فيما الدكتور ماجد زهران يهم بالخروج من داره الى عيادته ، رن جرس الهاتف في الدار .

وتناول الدكتور ماجد سماعة الهاتف ، وقد خيل اليه ان صوت الممرضة في العيادة سيرن في اذنه طالبا اليه ـ كالعادة ـ الاسراع في الحضور ، لان هناك مريضا في خطر . وهمس الدكتور ماجد : الو !.. من؟..

وارتجف ، وكادت السماعة تسقط من يده ، وهو يسمع ذلك الصوت آتيا اليه عبر الاسلاك : الو !.. من؟ الدكتور ماجد زهران ؟..

لقد كان ذلك الصوت ، صوت ناهدة .

ناهدة حبيبته •••
ناهدة زوجة سليم الراشد ••
ناهدة تتحدث اليه ؟
ناهدة تتلفظ باسمه ؟

وخشي الدكتور زهران ان يقع على الارض وقد اصطكت ركبتاه ، وتراخت قواه ، فأسند ظهره الى الحائط وهمس : اجل !•• انا الدكتور زهران !

وهمست ناهدة عبر اسلاك الهاتف : الدكتور ماجد !•• ارجوك ان تشفي زوجي !••

وارتجف ماجد •••

وارتجفت يده القابضة على سماعة الهاتف حتى كادت السماعة تسقط من يده •

واحتار بماذا يجيب •

وحاول الكلام ، الا ان الكلمات تكسرت على شفتيه قبل ان ينطق بها ••

ومرت فترة قصيرة ساد السكوت فيها بين الحبيبين• فلا ماجد تكلم ، ولا ناهدة ••

واخيرا ، وبعد صمت قصير ، عادت ناهدة الى الكلام لتقول : ارجوك يا دكتور !•• ارجوك ان تعود إلينا !•• نحن بحاجة اليك !•• لا تتقاعس عن نجدة من يطلب النجدة منك !••

واغمض ماجد عينيه ، وهمس : سأحضر اليكم غدا يا سيدتي .

وهمست : لماذا تؤجل حضورك الى الغد ؟.. ارجو ان تحضر اليوم ، الان ، في هذه الساعة !.. ان زوجي يلح عليك بضرورة الحضور اليوم ، اليوم لا غدا يــــا سيدي !..

وكان في لهجتها توسل ورجاء .

كانت الدموع تخنقها ، وهي تطلب اليه ان يشفــي زوجها .

وشعر ماجد بعاصفة عاتية ، عاصفة هوجاء تجتــاح كيانه ، وهو يسمع كلماتها .

واحس بالالم العنيف الهائل يغمر روحه ، وبالعذاب الشديد يثخن قلبه بالجراح .

وتذكر كلماتها الآفلة وهو يسمــع ذلك الصوت . تذكر ، وهو يسمع صوت ناهدة ، يوم كان ذلك الصوت يسكب في اذنيه كلمات الحب والهوى والشوق والحنين. يومذاك كانت تناديه «يا حبيبي» . اما الان فهي تقــول له : «يا دكتور ماجد» !.

اي فرق شاسع بعيد بين كلماتهــا بالامس وبــين كلماتها الان ؟.

الكلمات فقط تغيرت ، اما الصوت ، فما زال هــو

هـو .

وعاد ذلك الصوت الشجي الحنون يرن في اذنيه : دكتور ماجد ، ارجوك ان تحضر الان .

قال : الان ؟.. انا لا استطيع الحضور الان يا سيدتي !..

قالت : ان زوجي يريد ان يتحدث اليك يا دكتور . انه هنا قربي . تفضل .

واذا بصوت سليم الراشد يرن في اذنيه : صباح الخير يا دكتور !..

وهمس : صباح الخير يا سيدي !..

قال سليم الراشد : انا ما زلت انتظر وعدك يا سيدي الطبيب ، لقد وعدتني بالعودة ، ووعد الحر دين .

قال : انا ما زلت عند وعدي يا سيدي . ساحضر اليكم غدا ان شاء الله .

قال سليم الراشد : لا .. انا لا استطيع ان اصبر الى الغد . ارجوك يا دكتور ان تحضر الان . انني في انتظارك .

قال : الان ؟.. مستحيل . لدي اشغال كثيرة الان. انا مضطر للذهاب الى عيادتي الان يا سيدي .

قال سليم الراشد : اذن تستطيع ان تحضر بعد ساعة ، بعد ساعتين ، بعد ثلاث ساعات .

قال : لا ، انا لا استطيع ان احضر بعد ثلاث ساعات، لانني مضطر الى ان امر بالمستشفى قبل الظهر ايها السيد سليم •

وألح سليم الراشد في الدعوة قال : بعد ان تنتهي من عملك في المستشفى ، ستحضر الينا •

فحاول التملص والاعتذار ، قال : لا يا سيدي • لن استطيع ذلك لانني •••

فقاطعه قائلا : اسمع يا سيدي الطبيب ، اذا كنت على يقين من ان شفائي مستحيل ، فلا تعذبني ، ولا تعللني بالامال • قل لي الحقيقة • انا استطيع ان احتمل النبأ • لا تحاول ان تتهرب من الحضور الي ، ولا تتذرع باسباب واهية • قل لي بصراحة : «انت لن تشفى • لقد حكم عليك ان تقضي ما بقي من عمرك مقعدا مشلولا» •

فاشفق الدكتور ماجد زهران على هذا المريض •

وتحركت عاطفة الطبيب في قلبه ، وهمس : لا يا سيدي •• لا •• لا تفكر بمثل هذه الافكار • ان الامل كبير ، وكبير جدا في شفائك •

قال : لقد بدأ اليأس يتسرب الى قلبي ، يا سيدي الطبيب ، بعد ان رأيتك تتهرب من معالجتي •

وادمعت عينا ماجد •

وهمس في سره : اعني يا رب !••

ثم تمتم عبر اسلاك الهاتف : اسمع يا سيدي ، انـا سأكون عندك عند الظهر .

قال : انني في انتظارك على احر من الجمر ..

وألقى ماجد بالسماعة من يده .

والقى بجسده المضطرب المرتجف على المقعـد الرجراج الوثير وهو على قلق وحيرة ووجوم واضطراب .

وعاد الى التفكير ينغمس فيه ، والالم يعصف بـه ويهزه هزا .

وطال جلوسه على ذلك المقعد . لم يعلم الدكتـور ماجد كم مضى من الوقت وهو جالس على ذلك المقعد..

ولم يستفق من تفكيره الموحش البـارد الكئيب الا على رنين الهاتف يعود الى القرع ..

ورفع السماعة الى اذنه وهمس : الو .. من ؟.

وسمع صوت الممرضة في عيادته تقول : دكتور ماجد ان المرضى في انتظارك هنا . لقد تأخرت .. مـاذا ؟.. الن تحضر اليوم الى العيادة ؟..

وهمس بألم وبتعب وبعياء : انني قادم ..

قال هذا ، والقى بالسماعة من يده ، ونهض ليسير بخطوات متئدة واهية بطيئة ، ويخرج من الدار ويدلف الى سيارته فيستقلها ويطير بها الى العيادة .

ووصل الى عيادته .

وانصرف الى معالجة مرضاه ، وهو يفكر بناهدة وبزوجها ، وبموقفه الحرج الدقيق .

وانتهى من عمله في العيادة في الساعة الحادية عشرة. فشخص الى المستشفى حيث كشف على بعض المرضى .

وفي تمام الساعة الثانية عشرة استقل سيارته الفخمة الانيقة ليطير بها الى دار سليم الراشد ..

ووصل الى تلك الدار .

واوقف سيارته . وترجل منها ليدخل الى الحديقة بقدمين واهيتين مرتجفتين .. ووقف امام الباب يقرعه ..

وفتح الباب . واطلت منه الخادمة ترحب به، وتدعوه للدخول الى غرفة سيدها ..

وسار ماجد الى غرفة سليم الراشد .

وما ان شاهد سليم الدكتور ماجد حتى راح يرحب به ترحيبا شديدا .

وكانت ناهدة جالسة على مقعد رجراج وثير قرب سرير زوجها تحيك الصوف . فوقفت ترحب به ايضا .

ومدت له يدا باردة مرتجفة واهية تصافحه بها .

وصافحها . والتقت العيون الاربع من خلال الدموع، في نظرة حالمة هائمة ملتهبة حمراء ..

واخفضت ناهدة عينيها الى الارض .

وعادت الى الجلوس على مقعدها ، والى حياكة الصوف بصنارتيها ، وهي تعض شفتها السفلى حتى تكاد تدميها •

وتقدم ماجد من سرير سليم الراشد يصافحه •

وراح سليم يعاتبه : اهكذا تتخلى عن صديقك، وابن بلدتك المريض ، ايها الدكتور ماجد ؟•• لماذا تأخرت في العودة الينا ؟••

وهمس ماجد ، وهو يجلس على المقعد القريب من السرير ، تجاه مقعد ناهدة : انت تعلم ، ايها السيد سليم، ان الاعمال كثيرة لدي ، وان الوقت لا يسمح لي بالابتعاد عن العيادة ، وعن المستشفى ، ساعة اريد وأشاء •

قال : انت تعمل من اجل مرضاك ، من اجل المتألمين المعذبين !•• اليس كذلك ايها الدكتور ماجد ؟••

وهمس ماجد ، وهو يرمق ناهدة بنظرة سريعة عاجلة : اجل يا سيدي •

قال سليم : وانا ايضا من مرضاك يا سيدي الطبيب• ارجو ان تهتم بي ، كما تهتم باي مريض من اولئك المرضى الكثيرين •

قال ماجد : ثق يا سيدي انني سأوليك كل عنايتي واهتمامي • وانني لأرجو ان اتمكن من القيام بالواجب المقدس المفروض •

قال سليم : قل لي يا سيدي الطبيب هل سأستطيع يوما النهوض من السرير ؟••

هل استطيع ان اسير ، كما ينهض ، وكما يسير جميع البشر ؟

قال : ان شاء الله ••• ان شاء الله !••

قال سليم : ولكن متى ساستطيع ذلك يا سيدي ؟•• متى ؟•• متى ؟••

قال : قريبا ان شاء الله !••

قال ماجد هذا ، ونهض ليتقدم من سرير سليم، ويبدأ بفحصه فحصا دقيقا شاملا •

وكانت ناهدة قد خرجت من الغرفة هاربة من ماجد•

كانت ناهدة تريد ان تهرب من ماجد لتهرب من دموعها ، الا ان دموعها لحقت بها ، وأبت ان تبتعد عنها •

وخرجت الى الشرفة لتفرغ كل ما في عينيها من دموع •

وطال وقوفها على الشرفة ••

واذا بها تستفيق من ذهولها وآلامها ودموعها على صوت الخادمة تناديها : سيدتي !•• ان سيدي يدعوك لتناول القهوة معه ومع الطبيب •

وهمست : انني قادمة ••

وعادت الخادمة ادراجها •

ومسحت ناهدة دموعها ، ودخلت الى الدار لتشخص الى غرفة زوجها ، متظاهرة بالسكينة والبهجة والهدوء •

وكان ماجد جالسا قرب سرير زوجها يرشف القهوة على مهل ، بعد ان انتهى من الفحص والتدقيق •

وكان سليم ايضا يرشف القهوة ، وهو جالس في السرير •

وكانت الخادمة قد وضعت لها فنجان القهوة على المنضدة الصغيرة امام المقعد الرجراج • فجلست ناهدة على المقعد ، وراحت ترشف القهوة وتدخن •

والتفت زوجها اليها ليقول : اسمعي يا ناهدة ماذا يقول الدكتور ماجد •

قالت : وماذا يقول ؟••

قال سليم : يبدو ان صديقنا الدكتور ماجد متفائل جدا • هو يقول ان شفائي مستطاع ، وان الطب لن يعجز عن دفع الشلل عني •

وهمست ناهدة بفرح مزيف : صحيح يا دكتور ؟••

وعادت النظرات تلمع في العيون الاربع على سرعة وعجل •••

وهمس الدكتور : اجل يا سيدتي !••

قالت : وهل سيستطيع سليم ان ينهض يوما من السرير ؟••

فهمس : ان شاء الله !..

قالت : ومتى ؟.. متى سيستطيع ذلك يا سيدي ؟..

فرشف ماجد قهوته ، ونفث دخان اللفافة في الفضاء، وهمس : بعد شهور قليلة اذا اراد الله . انا ساعالجه الان معالجة دقيقة ، وسامده بالادوية وبالمصول وبالعقاقير لمدة شهر .. شهر واحد فقط ... ثم اعمد الى اتخاذ صورة للكسر .. فاذا اتضح لي ان العظم اصبح صالحا للعملية ، اجريت له العملية فورا ، والا كان علي ان اعود الى معالجته مجددا لمدة شهر اخر .

قالت : ومتى ستبدأ هذا العلاج يا سيدي ؟..

قال ، وهو يتحاشى النظر اليها هذه المرة : غدا ان شاء الله !..

وكان ماجد قد انتهى من رشف قهوته .

ونهض يهم بالمسير . فما كان من سليم الراشد الا انه نفحه بورقة نقدية كبيرة هامسا : تفضل يا سيدي الطبيب ، ولك شكري وامتناني .

وابى الدكتور ماجد زهران ان يتناول تلك الورقة وهمس : لا .. انا لن اتقاضى منك ليرة واحدة يا سيدي قبل ان انهي العلاج .

وألح سليم الراشد ، وأصر الدكتور زهران على موقفه .

وابتعد عن السرير وهو يتمتم : ارجو ان تحتفظ لي بالمال الان معك ريثما انهي العـلاج • الى اللقاء يـــا سيدي •

وتمتم سليم الراشد : لا • انت لـن تذهب الان • انني لادعوك الى تناول طعام الغداء عندنا اليوم •

وحاول الدكتور ماجد زهران الاعتذار، الا ان سليما اصر على موقفه • وقرع الجرس يدعو الخادمة اليه ليقول لها : اعدي مائدة الطعام • ان الدكتور ماجد سيتنـــاول الطعام مع سيدتك •

ووقف ماجد حائرا لا يعلم ماذا يفعل •

هو سيجلس الى مائدة الطعام مع ناهدة •

سيتناولان الطعام وحدهما •

سليم الراشد لا يستطيع الجلوس معهما الى المائدة•

ايجوز له ان يجلس قرب زوجة سليم الراشد ؟ هل يمكن هذا ؟•• لا ••• لا ••• هو لن يرضى بذلك •

وعاد الى محاولة الاعتذار •

وعاد سليم الى الاصرار ••

اما ناهدة فقد وقفت حائرة ، مثل ماجد ، لا تنبس بحرف •

واخيرا التفت سليم الراشد الى زوجتـــه ليقول : ناهدة •• ما بك تسكتين ؟•• ساعديني عليه !••

وهمست ناهدة : ارجو ان تستجيب دعوتنا يـــا دكتور !..

واستجاب الدكتور الدعوة ..

وما هي دقائق قليلة ، حتى كان ماجد يجلس قـرب ناهدة ، الى مائدة الطعام ، في دار سليم الراشد ..

وساد الصمت ارجاء القاعة ..

وجاءتهما الخادمة بالطعام .. الا انهما لم يمـــدا اليه يدا ..

كانا في جلستهما يتبادلان النظرات من خلال الدموع الحمراء التي تموج في عيونهما .

كانت ناهدة تنظر الى ماجد وتبكي .

وكان ماجد ينظر الى ناهدة ويبكي بدموع ملتهبـة قانية الاحمرار .

وطال صمتهما ..

وحاول الدكتور ماجد زهران ان يتكلم . حاول ان ينطق بكلمة ، ان يهمس بحرف ، الا انه لم يستطع ذلك.

كانت الدموع تقطع عليه سبيل الكلام ..

وكانت ناهدة تريد ان تتكلم .

كانت تريد ان تخاطب ماجدا ، ان تكلمـــه ، ان تتحدث اليه الا ان العبرات كانت تحطم الكلمات علـــى شفتيها ..

وراحت ناهدة تحدق بحبيبها ماجد من خلال دموعها بنهم وجشع وارتعاش •

كانت تريد ان تلتهمه بعينيها • تريد ان ترشف كل ما في عينيه من شوق وهوى وحب وحنين •••

وكان ماجد يغرز عينيه في عينيها النجلاوين الجميلتين •

كان يريد ان يعب الحب المتراقص بين أهدابهما على رفة وعطف وحنان ••

وأخيرا ، وبعد صمت طويل تراقصت الشفاه الاربع ونطقت •• كل شفتين نطقتا باسم في لحظة واحدة :

ـ ماجد !••

ـ ناهدة !••

وارتفعت اليدان ، يد ماجد ، ويد ناهدة • كل يد تمسح الدموع المنهمرة على الخدين ••

وهمست ناهدة وهي تقدم الطعام للدكتور ماجد زهران : تفضل يا دكتور !••

ووضعت في الطبق بعض الطعام •

وهمس ماجد : شكرا يا سيدتي •

ووضعت ناهدة الطعام في الطبق امامها وراحت تحاول تناول الطعام •

كما ان ماجدا ايضا راح يحاول تناول الطعام •

الا ان الاثنين اخفقا في المحاولة .

فلا ناهدة استطاعت ان تتناول الطعام ، ولا ماجد ..

وعادت الذكريات المؤلمة الدامية الرهيبة تنتصب امام العيون الاربع .

كان كل منهما يستعيد في مخيلته تلك الذكريات الآفلة الجميلة وهو جالس الى مائدة الطعام .

وتناول كل منهما القليل من الطعام .

ونهض ماجد ...

ونهضت ناهدة ...

وهمس الدكتور ماجد وهو ينهض عن مقعده في قاعة الطعام : شكرا يا سيدتي ...

قال ماجد هذا ، وأسرع بالخروج من القاعة ..

ولحقت به ناهدة ، واقتربت منه هامسة : لا تدخل الى غرفة سليم . ان اثر الدموع لا يزال في عينيك الحمراوين .. تعال معي .

قالت ناهدة هذا وتقدمته سائرة امامه الى قاعة الاستقبال .

ولحق ماجد بها ..

ودخلا الى قاعة الاستقبال ...

وجلست ناهدة على مقعد رجراج وثير ، ودعت ماجدا الى الجلوس قربها .

وجلس ماجد حيث اشارت اليه بالجلوس •• قربها على المقعد الرجراج الوثير ••

وقدمت له لفافة ، وألقت بلفافة بين شفتيها •

وأشعل ماجد اللفافتين • لفافته ولفافة ناهدة •••

وراحا يدخنان بصمت بارد مؤلم موجع كئيب ، وهما يتبادلان النظرات اللاهبة من خلال الدموع ••

وأخيرا ، وبعد صمت طويل ، همس ماجد : يجب ان اعود يا سيدتي •

وارتعشت شفتا زوجة سليم الراشد وهمست : لا •• يجب ان تظل هنا الان اريد ان اشبع عيني من عينيك •

قال : ان الخلوة اصبحت محرمة علينا الان يا سيدتي • ليس من حقي ان اخلو بك بعد ان اصبحت زوجة سليم الراشد •

وهمست : كل شيء مباح لنا الا الخطيئة • ثق يا سيدي الطبيب ان ناهدة مجبور لا ولن تقع في الخطيئة •

قال وهو ينفث دخان اللفافة الفاخرة في الفضاء : ان خلوتنا هذه خطيئة يا سيدتي • ليس لأمرأة متزوجة ان تخلو بشاب غير زوجها ، حتى ولو كان القصد من خلوتهما التضرع والصلاة •

وانفجرت الدموع الغزيرة في عيني ناهدة مجبور ، وهمست بثورة وغضب : لا • لا • ان الزواج لا يستطيع

ان يكبل الروح يا سيدي الطبيب • الزواج يقيد الجسد. انه ليكبل اللحم والدم، ولكنه عاجز عن السيطرة على الروح • ان الروح حرة طليقة الجناح • تطير الى حيث تريد : وتستقر حيث تشاء •

فنهض ، وهم بالمسير هامسا : قد تكونين على حق يا سيدتي • ان الروح طليقة الجناح : حرة ، غير مقيدة. لذلك ارجوك ِان تدعي روحي تعانق روحك عبر المسافات البعيدة • اما لقاء جسدينا فمحرم علينا ••• الى اللقاء •

ووثبت اليه تعترض سبيله ، وقد بلغت ثورتها حدها الاقصى ، وتمتمت : ماجد !•• لا تعذب قلبي وروحي • لا تثخن صدري بالجراح يا ماجد • حرام عليك • انا ما حلمت يوما بسوى هذه الخلوة • ما تمنيت مرة الا هذا اللقاء • اجلس • اجلس يا ماجد ، اجلس يا •••

وكادت تقول له : «يا حبيبي ••» الا انها ارغمت شفتيها على الصمت •

وعضت شفتها السفلى حتى كادت تدميها •

وألقت بجسدها المضطرب المرتعش النحيل على المقعد ، وأخفت وجهها براحتيها وأجهشت بالبكاء •

وتقدم ماجد منها بخطوات واهية ، متئدة ، مرتعشة، ووقف قربها هامسا : ناهدة !•• كفى ، كفى يا ناهدة ، لا تعذبيني ولا تعذبي نفسك • لقد اصدر الله عز وجل

حكمه علينا ، وما لنا الا ان نمتثل لهذا الحكم . ان اللـه سبحانه وتعالى حكم علينا بالفراق ، وليس لنا ان نعترض على حكمه العادل الرهيب .

فانتفضت زوجة سليم الراشد ، ورفعت نظرها الى ماجد لتقول : ان الله عز وجل ، الذي حكم علينا بالفراق هو نفسه مهد امامنا سبيل هذا اللقاء يا ماجد .

قال : انها التجربة يا ناهدة . ان الله تعالى يجـرب خائفيه ، والويل ثم الويل لذاك الذي يقع في التجربة .

قالت بلهجة حازمة آمرة : اجلس ..

وجلس ماجد زهران .

لقد جلس قرب ناهدة ...

ومسحت ناهدة دموعها لتهمس : ماجد !.. هـــل تستطيع ان تنسى ماضينا الآفل الجميل ؟.. هل تستطيع ان تنزع من قلبك رسم ناهدة ؟ هل تستطيع ان تدفــن احلامنا وامانينا وآمالنا الهائمة في مجاهل النسيان ؟.. هل تستطيع ان تنسى الكرم والحقل والبستان ؟ والربـــوة الخضراء ؟ والصخرة الوادعـة ؟ والسنديانة الدائمـــة الاخضرار ؟ هل تستطيع ان تنسى كل هذه الاشياء الغالية على قلبينا ؟..

قل يا ماجد ، هل تنسى همساتنـــا ، ووشوشاتنا ، ودموعنا ، وآهاتنا ، ونجوانا ؟..

اذا كنت تستطيع ان تنسى كل هذا فانا لا ولـــن استطيع النسيان • كل همسة همست بها شفتانا ما زالت تردد في خاطري حتى الان • كل كلمة نطقتَ بها فـــي مسمعي ما زالت تتماوج في اذني حتى هذه الساعة •

لا تسلني كم بكيت ، وكم نحت ، وكم تألمت ، وكم تعذبت يا ماجد • لا تسلني انا بل سل نجوم الليل البهيم تخبرك كل شيء •

وهمس ماجد : كل ما حل بك حل بي يا ناهدة ، وكل ما اصابك اصابني •• لن اقول لك ماذا فعلت ، ولا كـم تعذبت ، ولا كم سكبت من الدموع ، لا ، لن اقول لـك شيئا من هذا •• لقد اصبحت لرجل غير ماجد يا ناهدة ، اما ماجد فما زال لك انت • وهو سيظل لك مدى الحياة•

وامسكت ناهدة بيد ماجد تشدهـا دون ان تنبس بحرف •

وساد الصمت بينهما •

كانت دموعهما وحدها تتكلم •

كانا يبكيان واليد باليد والعينان بالعينين •

ولم يستفيقا من ذهولهما ووجومهما الا على وقـع خطوات الخادمة مقبلة نحوهما حاملة لهما القهوة •

والتفتت ناهدة الى الخادمة لتقول : خذي القهـوة الى غرفة سيدك يا سليمة • سنتناولها معه في غرفته •

وسارت الخادمة سليمة الى غرفة سيدها .

وتناولت ناهدة المنديل الناصع البياض مـن جيب ماجد تمسح به دموعها ، ثم تعيده الى الجيب هامسة: تعال يا ماجد . تعال تتناول القهوة مع سليم .

ومسح ماجد دموعه ونهض ليسير مع ناهدة الـى غرفة زوجها . وجلسا قرب سرير الزوج المشلول يرشفان القهوة معه ويدخنان .

وراح سليم الراشد يتحدث الى الدكتور ماجـد زهران ويمازحه ، ويروي له الاخبار والقصص المضحكة.

وما ان انتهى ماجد من رشف القهوة ، حتى نهـض يودع سليم الراشد مستأذنا بالانصراف .

ومد سليم الراشد يده الى الدكتور ماجد زهـران يصافحه بحرارة ويهمس : متى سنبدأ العلاج يا دكتور؟..

قال الدكتور : غدا ان شاء الله . سأعود اليك غدا حاملا لك معي الدواء والمصل . وسأمدك انا نفسي بالمصل وأجرعك الدواء .

وتمتم سليم الراشد : شكرا لك يا سيدي الطبيب . سأحمل جميلك في عنقي مدى الحياة .

وهمس الطبيب : ليس ثمة اي جميل يا سيدي . وانا لن اقوم حيالك بسوى الواجب المقدس المفروض .

وصافح ماجد سليما ، ومد يده يصافح ناهدة ثم سار

نحو الباب •

وحاولت ناهدة الجلوس على المقعد قرب سرير زوجها ، الا ان سليما التفت اليها هامسا : رافقي الدكتور الى الباب الخارجي يا ناهدة •

ونزلت ناهدة عند طلب زوجها • ورافقت الدكتور الى الباب الخارجي •

وهناك امام الباب امسكت ناهدة بيده لتهمس: ماجد!••

وشدت اصابع ماجد اصابع ناهدة وهمس: ناهدة!••

وتشابكت الاصابع ، والتقت العيون الاربع من خلال الدموع المترقرقة في المقل ، في نظرة حالمة هائئة سمحاء •

وهمست ناهدة بعد صمت قصير : اي ساعة ستعود الينا غدا يا ماجد ؟••

وتمتم : لست ادري يا ناهدة لست ادري ••

قال ماجد هذا ، وانتزع يده من يد زوجة سليم الراشد ، وأسرع بالهرب ••

ووصل الى سيارته وهو يتلفت وراءه كأنه هارب من خطر داهم شديد •

واستقل سيارته ، واطلق لها العنان •

ووقفت ناهدة تشيع سيارة الطبيب والدموع تموج في عينيها النجلاوين الجميلتين •

الفصل التاسع

الليل صافي الاديم ، هادىء النسمات ، خاشع الحنايا .

والنجوم تتبختر على مسرح الفضاء الرحيب ، ترصع كبد السماء ، وتلمع من خلال الظلام الدامس البهيم ، رامقة الارض وابناء الارض بنورها اللامع الوهاج .

والدكتور ماجد زهران جالس على شرفة داره في بيروت يدخن ويراقب النجوم في سيرها الحثيث في الفضاء من خلال دموعه المترقرقة في مقلتيه ويفكر ..

انه ليفكر بحبيبته ناهدة .

ناهدة وحدها تشغل تفكيره .

ناهدة وحدها تعذب قلبه وتؤلم روحه وتغمر عينيه بالدموع .

اين هي ناهدة الان ؟

ماذا تفعل ؟

اتراها نائمة تستسلم للاحلام ؟..

ام انها مثله ساهرة حتى مطلع الفجر البعيد ، تراقب النجوم ، وتسكب في اذن الليل ، الهادىء الصافي البهيم ، همساتها وأناتها وشوقها وحنينها !..

وطال تفكير الدكتور ماجد زهران ، وهو جالس على الشرفة الفسيحة الارجاء ، يدخن ، ويبكي ، ويناجي النجوم الساطعة في الفضاء .

وعجب الدكتور زهران من نفسه كيف يسمح لتفكيره بأن يجنح به الى ناهدة ، وناهدة لم تعد ملكا له .

ان ناهدة زوجة سليم الراشد ، الرجل الشهم النبيل المشلول ، فهل يحق له ان يفكر بامرأة متزوجة ، تريد ان تعيش العمر مخلصة لزوجها ، امينة لسر الزواج المقدس؟.

هل يحق له ان يناجي ناهدة ، بعد ان اصبحت لرجل سواه ؟.

لا ... لا .. وألف لا ..

ومسح الدكتور ماجد زهران الدموع التي كانت قد بدأت تتأهب للانحدار على وجنتيه .

ونفث دخان اللفافة في الفضاء .. ومع الدخان نفث أنة دامية جريح ..

ونهض ، والساعة تدق معلنة الثانية من الفجر .

ودخل الى غرفته ليتمدد على السرير محاولا النوم ، الا

انه لم يستطع ان يجذب الكرى الى عينيه • لم يستطع ان ينـام •

وتقلب في فراشه الوثير وكأنه يتقلب على ابـــــر وشوك •

واذا بجرس الهاتف يرن ، ممزقا سكون الليــل البهيم ، ومخدشا الهدوء والصفاء •

وخيل اليه ان هناك مريضا يريد ان يستنجد به ، فمد يده الى سماعة الهاتف يرفعها الى اذنه ويهمس : «آلو !•• من ؟ »

وارتعش وهو يسمع الصـوت الحنون الشجـي ينسكب في اذنه على رقة وحنان : «آلو •• ماجد ؟•• الا تزال ساهرا يا ماجد ؟»

كان الصوت صوت ناهدة • صوت حبيبته ناهدة••

وهمس : اجل • انا ما زلت ساهرا يا ناهدة •

وهمست : لماذا لا تنام يا ماجد ؟ لماذا تعذبنـي وتعذب نفسك يا •••

وتكسرت كلمة يا «حبيبي» على شفتيها ، وأجهشت بالبكاء •

وأدمعت عينا الدكتور ماجد زهران وهو يسمع ، عبر اسلاك الهاتف ، انين ناهدة ونحيبها •

وحاول الكلام فلم يستطع الى الكلام سبيلا •

لقد تحطمت الكلمات على شفتيه ، وبدأت الدموع تتدحرج على وجنتيه بغزارة •

وعادت ناهدة الى الكلام لتقول ، وهـــي تبكي : ماجد • استسلم للرقاد ، لا تقضِ ليلتــك ساهرا تفكر ماجد !•• لا تعذبني يا ماجد • ارجوك ان تنام • نم يـــا ماجد • استسلم للرقاد ، لا تقضِ ليلكساهرا تفكـــر وتتألم وتبكي •

واستطاع الدكتور ماجد زهران ان يتكلم بعد جهد قال : كيف أعذبك يا ناهدة ؟ ومن قال لك انني اقضي ليلي ساهرا افكر واتألم وابكي ؟

قالت : لم يقل لي احد ذلك يا ماجد ، انا شاهدتك• لقد رأيتك الان تدخن وتبكي وتفكر وتتألم •

فدهش الدكتور ماجد زهران • ماذا تقول ناهدة؟•• هل جنت ؟•• كيف تشاهده ، وهي في دارها ، وهو فـــي داره ؟ والداران بعيدتان عن بعضهما ؟••

وكأن ناهدة لمست الدهشة في كلماته المنسابة فـــي اذنها عبر الاسلاك ، فهمست : ماجد !•• لا تسلني كيف شاهدتك ؟ كل ما ارجوه منك هو ان تؤمـــن بما اقول • اجل يا ماجد • انا شاهدتك امامي • فكأن روحي طارت اليك ، لتشاهدك وتعلم انك تتعذب •

قال : انه حلم مزعج يا ناهدة •

قالت : انت لم تفهمني يا ماجد ••• لا • انا لم اكن

في حلم . لم اكن نائمة عندما شاهدتك. كنت في اليقظة. كنت ساهرة على الشرفة افكر بك عندما شعرت بأنـــك قربي ، او بالاحرى شعرت بانني قربـــك . وشاهدتك ، شاهدتك الان امامي مستلقيا في سريرك تفكر بألم وشجن وحزن ودموع . وتعذبت وانا اشاهدك تتعذب . وبكيت وانا اراك تبكي . وادركت انك بحاجة الي ، او بالاحرى ادركت انني بحاجة اليك ، فأمسكت بسماعة الهاتف لأتصل بك واستمع الى صوتك العذب الحنون . هذا الصـــوت الذي حرمت منه طيلة هذه السنوات الماضية .

وهمس ماجد : ماذا تقولين يا ناهدة ؟ هل يمكـــن هذا ؟ هل يمكن ان تشاهديني وانا بعيد عنك ؟

قالت : في الحياة اسرار هائلة يا ماجد لم يتوصـــل العلم بعد الى اكتشافها . اسرار رهيبة مروعـــة ما زال البشر يجهلون كنهها .ومن هذه الاسرار سر الارواح الذي اراد الله عز وجل ان يحجبه عن ادراك لبشر وعن عيونهم وعقولهم . للارواح قوة هائلة عاصفة لا حدود لهـا ولا سدود . والارواح المعذبة الطاهرة تملك قوة عظيمة ، قد لا تملكها الارواح الهانئة السعيدة. ان الروح التي تحمل على عاتقها جسدا معذبا تصبح مرهفة الحس شديـــدة الشعور . وينعم الله عز وجل على تلك الروح بقوة رهيبة مخيفة ، قوة لا تستطيع قوة على هذه الارض الوقـــوف

امامها .

والمحبون المعذبون ينعمون بمثل هذه الارواح. وانا، وانت يا ماجد ، ألم تعذب ؟.. نحن ما زلنا نتعذب حتى الان ، وسنظل نتعذب حتى يقدر لروحينا ان تنطلقا من هذين الجسدين الترابيين وتحلقا في الفضاء ، وتنطلقا الى السماء . ان روحي المعذبة انطلقت الان لتعانق روحك المعذبة . وشاهدتك روحي . اجل يا ماجد ان ما شاهدك الان كان ببصيرة روحي لا بصر عيني .

قال : ناهدة !.. قد تكونين على حق في ما تقولين، ولكن من تراه يستطيع ان يصدق ان الانسان يستطيع ان يشاهد اخاه الانسان عبر المسافات القاصية البعيدة ؟

فهمست : انت لا تستطيع ان تنكر هذه الحقيقة الراهنة يا ماجد . قل لي ألم تجتمع روحانا عبر المسافات البعيدة من قبل ؟.. الا تذكر يا ماجد يوم كنا نلتقي عبر الخيال . في الساعة العاشرة كل ليلة ، وانت في بيروت ، وانا في القرية الجاثمة بين احضان الجبال والوديان الباسمة الخضراء ؟

عد بالذاكرة الى الوراء سنين قليلة يا ماجد وتذكر.. الا تذكر كيف كنت اشاهدك ، وكيف كنت تشاهدني كل ليلة ؟ وكيف كانت روحانا تلتقيان وتتهامسان وتتعانقان وتتناجيان ؟..

ووجم الدكتور ماجد ، وهو يستعيد في ذاكرته تلك الليالي الهانئة التي كان يجتمع فيها بحبيبته ناهدة ، يوم كان ما زال طالب طب في بيروت •

وهمس : اجل يا ناهدة • انت على حق • ليس ثمة قوة على هذه الارض تستطيع ان تقف دون ارادة الروح• ان الروح الطاهرة تستطيع ان تفعل كل ما تشاء عندما تشاء •

قالت: هل آمنت الان بانني شاهدتك، وبأنني رأيتك؟

قال : اجل • اجل يا ناهدة • لقد آمنت وصدقت•

قالت : كل ما اطلب منك يا ماجد الانهو ان تخلد الى الراحة والسكينة والهدوء • نم يا ماجد • وانا ايضا سأجرب ان انام • اسعد الله صباحك يا ماجد •

قال : فليسعد الله صباحك يا ناهدة •

قالت : سأكون بانتظارك يا ماجد • لا تنس انك وعدت زوجي بالحضور اليوم اليه للبدء بالعلاج • الى اللقاء يا ماجد •

قال وهو يمسح دموعه : الى اللقاء يا ناهدة •

وهم بالقاء السماعة من يده الا انه وجم ، واخذ يرتجف وقد احس بشفتين تطبقان على خده بقبلة طويلة•

وادرك ان تلك الشفتين هما شفتا ناهدة• او بالاحرى هما شفتا روح ناهدة •

وراحت انامله تتحسس موضع القبلة من الخـــد ، وهمس : لقد قبلتني ناهدة ••

وألقى بالسماعة من يده ، وعاد الى الاستلقاء فـي سريره ليستغرق في نوم هادىء عميق •

ولم يستفق الدكتور ماجد زهران من نومه، الا ورنين جرس الهاتف يمزق اذنيه •

وفتح عينيه ، واستوى في سريره ليرفع سماعة الهاتف الى اذنه ويهمس : آلو •• من ؟••

وسمع صوت الممرضة في العيادة تقول : ما بك يـا دكتور ؟ لقد اقلقت بالنا عليك • الساعة تشير الى التاسعة من الصباح ، وانت لم تحضر الى العيادة • وقد كان من عادتك ان تكون هنا في تمام الساعة الثامنة •

وهمس باستفهام ودهشة : ماذا تقولين ؟• الساعـة تشير الى التاسعة ؟

قالت: اجل يا سيدي • والمرضى بانتظارك في العيادة• هل ستحضر اليوم ، أم لا ؟••

قال : انني قادم •

قال هذا ، والقى بالسماعة من يده ، ووثب مـن السرير ليرتدي ثيابه على عجل ، ويخرج من الغرفة •

واذا بالخادمة تثب اليه قائلة : ان طعام الصباح جاهز يا سيدي •

قال : الي بفنجان قهوة • اسرعي ••• اسرعي •••

وأسرعت الخادمة تهييء القهوة وتحملها اليه •

ورشف القهوة على عجل ، واسرع بالخروج من الدار ليستقل سيارته الانيقة ، ويطير بها الى العيادة •

وهناك في العيادة انصرف الى معالجة مرضاه ، وهو في حالة قلق ووجوم واضطراب •

كان وهو ينصرف الى عمله يفكر بناهدة وبحديثها، وبقبلتها التي ألهبت خده ، واثارت في قلبه تلك النار التي كانت تحت الرماد •

وراح يفكر : ماذا عليه ان يفعل الان ؟ هل يبر بوعده ويشخص الى دار سليم الراشد وينصرف الى معالجته ؟••

لا •• لا •• لا •• قدماه لن تطئا عتبة تلك الدار• هو لن يعود الى دار سليم الراشد ، وهناك زوجته ناهدة•

يبدو ان العاصفة بدأت تتأهب للهبوب • الحب سيعود الى الاندلاع مجددا في القلبين ، في قلبه وفي قلب ناهدة •

أيشفي سليم الراشد ليسلبه زوجته ؟••

أيشفي جسده ليثخن قلبه وروحه بالجراح ؟••

لا •• لا •• فليظل سليم الراشد مقعدا مشلولا ، وليسلم شرفه ، ولتصن كرامته ، ولتبق له زوجته ••

هو لن يعود الى تلك الدار•• لن يعود•• لن يعود••
وتعود الافكار الى العصف في فؤاده •
ويعود الدكتور ماجد زهران الى الانغماس في التفكير ولكن• ولكن الضمير المهني ؟•
اين هو الضمير ؟
ضميره يدعوه الى انقاذ سليم الراشد من الشلل •
الواجب المقدس يهيب به الى مد هذا المريض بالادوية وبالعقاقير وبالمصول ، والى اجراء العملية الجراحية له •
فليستجب الى نداء الضمير ، وليلبِّ الواجب المقدس الطهور •
وتزاحمت الافكار في رأسه على عصف وهبوب •
وكاد يضيع في تفكيره العاصف الطامي البعيد ••
ومضت الساعات باردة ثقيلة حيرى على قلب الدكتور ماجد زهران •
وانتهى من عمله في العيادة ، وانتقل الى المستشفى فلحقت به الافكار الممضة المقلقة الى هناك ، الى المستشفى•
وانصرف الى عمله في المستشفى وهو يفكر بألم وحيرة وارتباك ••
وعندما انتهى من عمله في المستشفى ، كانت الساعة قد بدأت تشير الى الثانية بعد الظهر • فعاد توا الى داره ليتناول طعام الغداء •

ولحقت به الافكار الى الدار .

وتناول الطعام ، وهو قلق الخاطر ، مضطرب البال، شارد الذهن .

وانتهى من تناول الطعام ليدخل الى غرفته ، فيستلقي في سريره يدخن ويفكر : ماذا ؟ هل اشخص الى دار سليم الراشد ؟.. اجل . يجب ان اشخص الى تلك الدار الان ، فورا ..

ولكن .. ولكن في تلك الدار الخطر الداهم الشديد. دخولي الى تلك الدار سيزعزع أركانها ، ويهدم سعادتها.

لا .. لا .. لن اذهب الى تلك الدار . لن اعود اليها .. لن اعود ..

وطال تفكيره ...

وبدأت الساعة تميل الى الرابعة بعد الظهر ، والدكتور ماجد مستلق في سريره يدخن ، ويفكر ، ويتألم ..

واذا بجرس الهاتف يرن .

ومد يده الى السماعة يرفعها الى اذنه ويهمس : الو .. من ؟

وقال الصوت : انا سليم .. سليم الراشد .. انني ما زلت انتظر تشريفك يا دكتور .

وهمس الدكتور ماجد زهران بدون ارادة ، وبلا وعي : انني قادم اليك يا سيدي .

قال هذا . وألقى بالساعة من يده ، ونهض ليحمل حقيبته ، ويسرع بالخروج من الدار ، فيستقل السيارة ويطير بها الى محلة رأس بيروت ، الى دار سليم الراشد ..

ومر في طريقه باحدى الصيدليات ، فابتاع منها بعض الادوية والعقاقير والمصول ، وتابع سيره ..

ووصل الى تلك الدار ، ليجد ناهدة في استقباله ، وآثار الدموع لا تزال عالقة بين اهدابها ، والحزن العميق الشديد يخط خطوطه الرهيبة السوداء على جبينها .

ومدت ناهدة اليه يدا مرتجفة باردة ، تصافحه بها وتهمس : اهلا وسهلا يا دكتور .

وهمس : شكرا يا سيدتي ..

وتعانقت العيون الاربع في نظرة حالمة طويلة بعيدة المدى سحيقة القرار .

وطالت وقفتهما ، والعيون متشابكة في النظرة الحالمة الهائمة .

وهمست ناهدة بعد صمت طويل ، وهي تفسح الطريق امام الدكتور ماجد زهران الى غرفة زوجها : تفضل يا دكتور ..

وتفضل الدكتور ... وسار قربها الى غرفة سليم الراشد حاملا حقيبته بيده .

وما ان اطل على المريض المشلول حتى هب سليم الى

الترحيب به : اهلا . اهلا بالدكتور ماجد . اهلا . انـا لم اكن اشك في انك ستعود الي ، وتعمل جاهدا علـى انقاذي . اهلا بالمنقذ الكريم ، والصديق المخلص الوفي .

وتقدم الدكتور ماجد من سرير المريض ، والابتسامة تطفو على شفتيه ، وهمس : كيف الحال اليوم ؟

قال : الحمدلله . انني متفائل جدا يا سيدي الطبيب. يلوح لي انك تحمل الي في هذه الحقيبة البرء والشفاء. انني اثق بك ثقة عمياء ، يا دكتور .

قال: انني لأرجو ان اكون عند حسن الظن يا سيدي. وآمل ان اتمكن من شفائك في العاجل الوشيك .

فهمس سليم : ان شاء الله . ان شاء الله ..

وتقدم الدكتور ماجد من سليم الراشد يعيد فحصه بكل دقة واهتمام .

ثم اخذ يمده بالمصول ..

ثم جرعه الدواء بيده ..

وكانت ناهدة واقفة قربه تنظر اليه من خلال دموعها بشوق وحنين واعجاب ..

والتفت ماجد اليها ليقول ، وهو يعرض عليها الدواء: هذا الدواء يساعد السيد سليم على الشفاء العاجل يـا سيدتي ، ويجب ان يتجرعه ثلاث مرات كل يوم . عليك انت ان تجرعيه هذا الدواء في مواعيده ، وعلي ان امده

بالمصل مرة كل يوم ، انا سأمده بالمصل بيدي ، لأطمئن الى سلامة المد .

قالت : ليكن ما تريد يا سيدي الطبيب .

وحاول الدكتور ماجد العودة ادراجه ، وقد انتهى من عمله ، الا ان سليما دعاه للجلوس ، قال : لا .. لن تذهب الان ... سنتناول معا فنجان قهوة ..

ونزل الدكتور ماجد عند طلب سليم الراشد ، وجلس على المقعد الرجراج الوثير قرب سريره .

وجلست ناهدة تجاهه ..

ولم تلبث الخادمة ان اقبلت حاملة لهم القهوة . فجلسوا يرشفونها ويتحدثون .

وكانت ناهدة تخالس ماجدا النظرات الحالمة الهادئة السمحاء . فخشي الدكتور ماجد ان تثير نظراتها الشكوك والظنون في قلب زوجها .

وما ان انتهى من رشف القهوة ، حتى نهض ليودع سليما ، هامسا : الى اللقاء غدا يا سيدي .

قال سليم : الى اللقاء يا دكتور .

وصافح الدكتور ماجد ناهدة هامسا : الى اللقاء يا سيدتي ...

وتمتمت ناهدة : الى اللقاء يا دكتور .

وسار ماجد .. ولحقت به ناهدة ترافقه الى الباب

الخارجي •

وهناك ، امـــام الباب ، وقفــت ناهدة قرب ماجد لتهمس : ماجد !•• لي معك حديث طويل • يجب ان اتحدث اليك يا ماجد •••

وهمس ماجد : لا يا ناهدة ••• لا ••• لا يجوز لنا ان تتبادل الاحاديث في وحدة وانفراد • الخلوة بيننا أصبحت محرمة يا ناهدة ••

فأمسكت بيده تشدها على شوق وحنين هامسة : تعال ••

وسارت به ••

لقد سارت به الى الحديقة الغناء الوارفة الظلال •

ومع رغبة ماجد الملحاح في الانفراد بناهدة ، وفي التحدث اليها ، فهو قد حاول الاعتراض ، حاول ان يحرم نفسه ، وان يحرم ناهدة من لذة تلك الخلوة وذلــك الحديث •

الا انه ضعف حيال اصرار ناهدة ، وحيال نظراتهــا الحالمة الهائمة المتقدة اللهيب •

وقادته ناهدة من الحديقة الى شجرة باسقة وارفــة الظلال ••

وجلست على مقعد خشبي تحت ظلال تلك الشجرة ، وجلس ماجد قربها •

وكانت اغصان الشجرة الوارفة الخضراء تحجبهما عن كل عين •••

وهمست ناهـــدة وهي تغـرز عينيها في عينيه : ماجد !•• هل كان يخيل اليك يوما ان الايام ستجـود علينا بمثل هذه الخلوة الهانئة الباسمة ؟ هل كان يخيـل اليك انك ستعود يوما الى الاجتماع بناهدة ؟•• ان اللـه يا ماجد رحيم سخي حنون ، يجود علـى ابنائه دائمـا بتحقيق الاماني الوارفة العذاب •

وهمس ماجد : ناهدة !• خلوتنا هذه خلوة محرمة• ليس لنا ان نجتمع على خلوة وانفراد يا ناهدة • ان اللـه عز وجل فرق بيننا • لقد حكم علينا الله سبحانه وتعالـى بالفراق ، وعلينا ان ننزل عند حكمه الرهيب • فليسر كل منا في الطريق الذي رسمه لنا الله •

قالت : ان الله الذي فرق بيننا ، هو نفسه مهـد امامنا سبيل اللقاء يا ماجد • فلماذا تريدنا ان ننزل عنـد حكمه العادل عندما حكم علينا بالفراق ، ولا تريد ان نسير في الطريق الذي مهده امامنا للقاء ؟

فأشعل ماجد لفافة نفث دخانها فـي الفضاء ليقول : ناهدة !• في الحياة قوتان هائلتان تتصارعان • قوة الخير وقوة الشر • ان قوة الخير اتنصرت في قلبينا ، عندمـا نزلنا عند حكم الله القوي القدير ، وسار كل منا فـي

سبيله •• وبدأت قوة الشر تتأهب فينا للاقتصاص من قوة الخير • وهي الآن تحاول ان تسجل علـى قوة الخـير انتصارها • تحاول قوة الشر الآن ان تلقي بنا في مهاوي الخطيئة • فلنعمل معا على احباط مساعي هذه القـوة الشريرة • اجتماعنا هنا خطيئة يا ناهـدة • خلوتنا اثم • فلنبتعد عن الخطيئة ، فلنهرب من الاثم • ساعديني يـا ناهدة • ساعديني على الهرب ، ساعديني على الابتعاد • ان الله امرنا بالفراق فلننزل عند امره • فلنبتعد • فلنهرب يا ناهدة •••

فأمسكت ناهدة بيده الباردة المرتجفة تشدها، لتقول: ماجد !•• انت على خطأ • انك على ضلال • الله تعالى لم يأمرنا بالفراق ، لم يحكم على قلبينا بالعذاب • لا • الله ليس ظالما • هو لم يظلمنا •• ان والدك يا ماجد كـان السبب في كل ما حدث لنا • والدك رمانا في هذه النار التي نحترق بسعيرها الآن •

قال : وما هو ذنب والدي يا ناهدة ؟ ان والدي قام بما يتوجب عليه القيام به • لقد ذهب والدي الى والدك طالبا لي يدك منه • فما كان من والـدك الا ان طرده ، وصفعه بالاهانة •

فارتسمت على شفتي ناهدة ابتسامة شاحبة صفراء، وهمست : ألم أقل لك انه لي معـك حديث طويل ؟••

اسمع يا ماجد ! هناك سر لم تقف انت عليه • من اجل هذا ، من اجل اطلاعك على هذا السر، رغبت في الاجتماع بك الان • انا ساوضح لك الحقيقة ، سافشي لك السر، ساخبرك كل شيء • لقد كنت على يقين من انك لم تطلع على الحقيقة ، كنت متأكدة من ان والدك لم يخبرك كل ما حدث ، وكل ما جرى •

قال : وماذا حدث ؟•• وماذا جرى ؟••

قالت : ان والدك لم يطلب يدي من والدي يا ماجد !••

فدهش ماجد ، وهمس : ماذا تقولين يا ناهدة ؟••

قالت : اقول الحقيقة ، الحقيقة البيضاء ، الناصعة الجبين • أتعلم ماذا جاء والدك يفعل في دارنا ؟•• لقد جاء ليشعل النار ، جاء ليضرم اللهب ، جاء ليقول لوالدي: «ابعد ابنتك عن ابني • ان ابنتك تطارد ابني ماجدا وتلاحقه ، وتطلب اليه ان يختطفها ويهرب بها» •

هذا ما قاله والدك لوالدي • تصور يا ماجد والدا يقال له : «ابنتك تطارد شابا» ، ماذا سيكون موقف ذلك الوالد ؟ ماذا ستكون حاله ؟ ماذا سيفعل ؟

اتعلم ماذا فعل والدي ؟ لقد دعاني اليه ليقول لي امام والدك : «اسمعي ماذا يقول ابو ماجد •• هل هذا صحيح ؟• انت تطاردين ابنه ؟•• انت تلاحقينه ؟••

انت تطلبين اليه ان يختطفك يا مجرمة ؟» وثار والدي ، وغضب غضبا شديدا . ولم يترك لي مجال الدفاع عن النفس ، بل هو انهال علي بالصفع، والضرب ، والرفس.. كان والدي كعاصفة عاتية هوجاء . كان يضربني بوحشية ، ويصرخ بي : «يا مجرمة .. يا فاسقة .. يا شريرة» ...

وبكيت .. بكيت بكاء مرا .. وامتزجت دموعي بدماء جراحي ..

وحاول والدك ان يبعد والدي عني ، وقد اشفق علي فما كان من والدي ، وقد استبد به الغضب الشديد ، الا انه ارتد اليه ليطرده قائلا : «اخرج من داري يا سيدي. واطمئن الى سلامة ابنك . ان ابنتي لن تطارده بعد الان. فليحرسه الله لك وليحمه من مطاردة الحسان» ..

وخرج والدك من دارنا . وعاد والدي الي وهو في ثورة لاهبة حمراء .. وامسك بشعري يجرني الى غرفتي، ويلقي بي على الارض ، ويوصد وراءه الباب .

ووجم ماجد وهو يسمع كلام ناهدة ...

وعادت ناهدة الى الكلام ، بعد صمت قصير ، لتقول : آه يا ماجد ، من تلك الايام والليالي القليلة التي قضيتها في غرفتي ، ابكي ، وانوح ، واتعذب . لا تسلني كم تعذبت ؟ وكم بكيت ؟ وكم تألمت ؟.. لا تسلني شيئا.

يكفي ان تعلم انني حاولت الانتحار ثلاث مرات •

وأدمعت عينا ماجد زهران، وهو يسمع كلام ناهدة•• ونظر الى الافق البعيد من خلال اغصان الشجرة الخضراء وهمس : فليرحمك الله يا والدي ، وليسامحك ••

ومسحت ناهدة دموعها ، لتتابع كلامها قائلة : كان سليم الراشد قد طلب يدي ، كما قلت لك يومذاك ، وكان والدي قد وافق على طلبه مبدئيا • وكان ابناء القرية يعلمون ذلك • وفي اليوم التالي، عندما جاء سليم لزيارتنا، قال له والدي : «يجب ان يتم العرس خلال اسبوع • اسبوع واحد فقط يا سليم» •

وسليم طلب ذلك من السماء ، فوجده على الارض• ووافق على طلب والدي فورا •

قال ماجد : ولكن لماذا لم تحاولي الهرب يا ناهدة ؟•• لقد ارسلت لك رسالة مع صديقتك وداد جبران • وأذكر انك قلت لوداد : «فلينتظرني غدا عندك في الساعة العاشرة» •

وانتظرتك •• وكنت عازما على الهرب بك الى اقاصي الارض • الا انك لم تحضري •• بل خرجت من داركم في موكب العرس •• وشاهدتك •• لقد كنت واقفا على الشرفة في دار وداد •• شاهدتك وانت تسيرين في الموكب البهيج ، فشعرت بقلبي يتحطم في

صدري • لقد تمنيت تلك الساعة ان تنشق الارض وتبتلعني • تمنيت لو انني افقد بصري ، كي لا اراك في ثوب العرس الناصع البياض •

قالت : الحقيقة يا ماجد هي انني كنت عازمة على الحضور الى دار وداد ، لاراك للمرة الاخيرة ، واتودع منك بنظرة احملها معي مدى الحياة • الا ان والدي كان قد فرض علي مراقبة شديدة ، فلم استطع الخروج من الدار •• وارغموني على السير في موكب العرس •• كنت اسير في ذلك الموكب ، وكأنني اسير في جنازة •• كنت، وانا اسير ، كأنني اسير الى قبري •

واشتد الوجوم بالدكتور ماجد زهران ، وهو يسمع كلام ناهدة •• وهمس وهو ينظر الى الافق البعيد : هذا هو نصيبنا من الحياة يا ناهدة • الله عز وجل رسم لنا الطريق ، ونحن سرنا في هذا الطريق • وعلينا الان ان نكمل الطريق الذي بدأنا السير فيه •

قالت : والله تعالى مهد امامنا الان سبيل اللقاء يا ماجد • ان الله سبحانه وتعالى لا يظلم ابناءه ، ولا يحطم امالهم واحلامهم ، وامانيهم الوارفة العذاب •

وادمعت العيون الاربع ، عينا ماجد وعينا ناهدة •

ولفهما الصمت البارد الكئيب بوشاحهالقاتم السواد•

وطال صمتهما •

وبدأت الدموع تنحدر على الوجنات الاربع ...

وتشابكت اصابعهما ، وضاعا عن حقيقتهما في عالم من الذكريات البعيدة الدامية .

وخيل اليهما انهما ما زالا حبيبين ، خيل لماجد انه يجلس قرب ناهدة ، كما كان يجلس واياها هناك في الغابة الخضراء تحت تلك الشجرة الوارفة الظلال .

وخيل لناهدة انها تجلس قرب ماجد ، كما كانت تجلس قرب ماجد ، كما كانت تجلس واياه منذ سنوات بعيدة ، يوم كانت حرة ، طليقة من كل قيد . خيل اليها انها تجلس الى ماجد طالب الطب ، ونسيت انها تجلس قرب الدكتور ماجد زهران .

وماجد ايضا ، خيل اليه انه يجلس قرب الانسة ناهدة مجبور ، لا قرب السيدة ناهدة زوجة سليم الراشد ..

واندلعت النار الكامنة تحت الرماد في القلبين الهائمين المعذبين . وشدت اصابع ماجد اصابع ناهدة وهمس : ناهدة !..

وشدت اصابع ناهدة اصابع ماجد وهمست : ماجد !..

وسحب ماجد يده من يد ناهدة ليطوق بها عنقها.. وشدها الى صدره بقوة وجنون ، وكاد يطبع على

ثغرها قبلة ملتهبة قانية الاحمرار ، الا انه استفاق فجـأة من احلامه الهائمة . وعاد الى رشده ..

وانتصبت امامه الجريمة المروعة الهائلة . وتذكر...

تذكر ان تلك المرأة الجالسة قربه هي زوجة مخلصة وفيـة .

تذكر ان ناهدة اليوم ليست ناهدة الامس .

تذكر انها زوجة سليم الراشد . فذعر ، وارتد فجأة الى الوراء ، وهب واقفا كالملسوع ، وراح يتمتم : لا ... لا ... لا ...

وسار ، سار وهو يردد في خاطره : لا ... لا ... لا ... ماذا تفعل يا ماجد ؟ ماذا تفعل ايها المجرم ؟ ماذا؟ ماذا ؟ ماذا ؟

وأخذ يعدوبدون ان يلتفت وراءه . وكان وهو يعدو كأنه يهرب من شبح هائل مروع مخيف ...

انه شبح الجريمة الرهيبة النكراء ، التي كاد يقترفها، بدون ان يعلم ..

ولم يهدأ خاطر الدكتور ماجد زهران الا وقد وصل الى سيارته ، وجلس الى مقودها ، واطلق لها العنان .

وطارت السيارة به الى داره . وترجل منها ليسرع بالدخول الى الدار ، ويشخص توا الى غرفته ، ويوصـد وراءه الباب ، ثم يجلس على السرير ، وهو على اخـر

رمق .

وما اصاب ماجدا اصاب ناهدة . وما حل به حل بها .

وكانت ناهدة قد ضاعت عن حقيقتها ، ونسيت انها زوجة مخلصة ، عندما كانت قرب ماجد .

وكانت على استعداد تام للتجاوب مع ماجد في ارتكاب الخطيئة ، الا انها عادت فجأة الى حقيقتها ، عندما ارتد ماجد عنها متمتما : «لا ... لا ... لا ...»

وعندما اخذ يعدو مبتعدا عنها ، رفعت يديها الى وجهها تخفي براحتيها عينيها ، وهي تتمتم : يا رب .. أعني يا رب . اعني يا الله . ساعدني يا اله السماء والارض ..

ورنت في اذنيها كلمات رجل الدين يوم عقد زفافها على سليم الراشد : «ايتها المرأة اطيعي زوجك .. اياك والخيانة الزوجية . ان الخيانة الزوجية امر فظيع ، انها جريمة رهيبة ..»

وهبت زوجة سليم الراشد واقفة. واسرعت بالدخول الى الدار لتسرع الى غرفتها ، فتوصد وراءها الباب وتلقي بجسدها المضطرب الواهي النحيل على السرير ، وتجهش بالبكاء ..

وطال استلقاؤها على السرير ، وطال بكاؤها ..

كانت ناهدة تجهش بالبكاء كالاطفال •

كانت تعلم ان الكارثة النازلة بها رهيبة مروعة دهياء • فهي زوجة رجل لا تحبه ، وهي حبيبة رجل محرم عليها • ليس لها ان تخون زوجها ، ولا لها ان تنزع حب ماجد من صدرها •

هي لا تستطيع ان تنزع ذلك الحب المتأصل في صدرها منذ الصغر • لا تستطيع ان تبعد طيف ماجد عن وسادتها ، لا تستطيع ان تنتزع صورة ماجد من حبة عينها • لا تستطيع ذلك • لا تستطيع ••

وغرقت ناهدة في آهاتها ولوعاتها وشوقها ودمعها وحنينها • ولم تستفق من ذكرياتها الرهيبة الا على صوت الخادمة تناديها من خارج الغرفة : سيدتي !•• ان سيدي يدعوك اليه ••

وتمتمت دون ان ترفع رأسها عن الوسادة : انني قادمة اليه •

نهضت لتغسل وجهها ، وتسرح شعرها ، وترش وجنتيها بالابيض ، لتخفي معالم الكآبة والحزن والالم ، ثم تشخص الى غرفة زوجها •

وحاولت جاهدة ان ترسم على شفتيها ابتسامة تبعد بها آثار الدموع عن عينيها •

وتقدمت من سرير زوجها هامسة : ما بك يا

سليم ؟

وهمس سليم : اين كنت يا حبيبتي ؟ تعالي . تعالي اجلسي قربي .

وتقدمت منه تمسك بيده الباردة وتهمس : ها انا بين يديك يا زوجي العزيز .

قال : اجلسي . اجلسي هنا . هنا قربي يا ناهدة .

وجلست . لقد جلست هناك قربه ، حيث اشار عليها ، على السرير .

وأمسك سليم الراشد بيد زوجته المرتجفة هامسا : هل تعلمين يا ناهدة ان هذه اللحظة ، اللحظة التي تجلسين فيها قربي ، هي من اسعد لحظات حياتي ؟. انت عند سليم الدنيا باسرها . اذا خسرتك يوما ، فانا سأخسر الدنيا كلها .

وهمست : وانت عندي الدنيا باسرها يا سليم .

قالت ناهدة هذه الكلمات القليلة ، وهي تعلم انها كاذبة .

واغمضت عينيها ، وهمست في سرها : سامحني يا رب . سامحني اذا ما نطقت بالكذب ، وانا التي لم تعرف الكذب في حياتها . انت تعلم يا الهي انني مضطرة الى النطق بغير الحقيقة الناصعة البياض .

وتمتم سليم الراشد : كل ما اطلب من الله الان يا

ناهدة ، هو ان يقدرني على مكافأتك • انني اطلب منه عز وجل ان يساعدني على ان ارد لك الجميل • لقد كنت ، ولا تزالين ، الزوجة المخلصة الوفية ، وكنت لا تزالين حبيبتي ، وزوجتي ، وممرضتي في آن واحد •

انك لتدفنين شبابك مع رجل مشلول ، ملقى في السرير ، لا يستطيع ان يمسك بيدك ويسير بك الى المتنزهات، ولا ان يتأبط ذراعك ويخرج بك الى النوادي، والمجتمعات ، وزيارات الاهل ، والاقارب ، والاصدقاء • انني مقدر تضحيتك يا حبيبتي • انني مقدر اخلاصك ، ووفاءك ، وجميلك الذي سأحمله معي الى القبر •

وتمتمت ناهدة ، والدموع تملأ عينيها النجلاوين : غدا ستشفى يا سليم • انت لن تظل طويلا على هذه الحال ، وسنعود الى الخروج معا الى المنتزهات ، والى النوادي ، والى زيارة الاهل ، والاقارب ، والاصدقاء •

قال ، وهو يشد يدها : اقول لك الحقيقة يا ناهدة ، هي انني اتوق الى الشفاء ، كما يتوق كل مريض، الا ان رغبتي في الشفاء ، لا تتوقف عند حد امنيتي في النهوض من هذا السرير والسير على قدمي ، بل هي تتعدى هذا الحد الى حدود ابعد وارحب • انني اتوق الى الشفاء ، كي ارد لك الجميل ، كي اعوض عليك ما فاتك من نزهات ، وراحة ، وسعادة ، واسفار ، وهناء •

ولكن ، هل يحقق لي الله هذه الامنية الهانئة العذبة ؟ هل يمن الله علي بالشفاء ، ويساعدني على ان ارد لـــك الجميل ؟ ام تراني سأرحل عن هذا العالم الفاني ، حامـلا جميلك معي في عنقي الى القبر ؟ . لست ادري ... لست ادري ...

قالت ، ويدها لا تزال في يده : ان الله تعالى كريم سخي يا سليم . انت ستشفى ، وستعود الى السير علــى قدميك ، وستستعيد عافيتك ، وتتأبط ذراعي ونســـير معا ... ستعود الى سيارتك تقودها ، وسنعود الـــى تسلق الجبال بها . اطمئن اننا سنعود مرة ثانية الى تسلق الطريق الى شتوره لحضور الحفلة . ولكـــن دون ان تتدهور بنا السيارة هذه المرة .

قال وهو يبتسم : قولي لي يا ناهدة ، هل ستعودين يوما الى الجلوس قربي وانا اقود السيارة ؟ الا تخافــين من ان تتدهور بنا السيارة مرة ثانية ؟

قالت : لا .. اطمئن . ما حدث في المرة السابقة لن يتكرر مرة ثانية . انا سأظل قربك مدى الحياة .

فعاد الأسف يخط سطوره السوداء فوق جبينـــه الاصفر الواهي ، وهمس : ولكن هيهات ان تتحقق هـــذه الامنية يا ناهدة . يلوح لي ان الله تعالى حكم علي بالشلل مدى الحياة .

فشدت اصابعها اصابعه وهمست : لا • اطمئن يا سليم • انت ستشفى • ان الدكتور ماجداً زهران اكد لي شفاءك •

فلمعت الفرحة ، من خلال الامل ، في عينيه • وهمس بتساؤل ملحاح : صحيح ؟ صحيح يا ناهدة ؟ وماذا قال لك الدكتور ماجد ؟ قولي لي يا حبيبتي • ماذا قال لك ؟ اصدقيني الخبر • لا تكذبي علي • قولي لي الحقيقة الناصعة البياض ، مهما كانت هذه الحقيقة مؤلمة رهيبة ، وثقي انني سأكون قادرا على احتمالها • ماذا قال لك الدكتور ماجد ؟ هل هناك امل في شفائي ؟••

فهمست ، وهي تشد يده : اطمئن يا سليم • اطمئن• ان الحقيقة ليست مؤلمة كما يخيل اليك ، لا • انني اؤكد لك انك ستشفى • الدكتور ماجد طمأن قلبي ، وقد اعلن لي ان شفاءك مستطاع •

قال : كم هو شهم ، نبيل كريم،هذا الطبيب ، يا ناهدة • ان املي به ، بعد الله ، كبير جدا • يخيل الي انني سأشفى على يده • ان ثقتي به كبيرة • لا اعلم لماذا شعرت بان هذا الطبيب سيكون قادرا على شفائي •

قالت : هذه هي الحقيقة يا سليم • ان الدكتور ماجداً زهران سيكون قادرا على شفائك • انا اؤكد لك ذلك •

فهمس : ان شاء الله ••• ان شاء الله •

وكان الليل قد بسط جناحه الاسود على لبنان ، وكان الظلام في قلب ناهدة اشد سواداً من ظلام ذلك الليل . فنهضت لتقول : انا سأهيىء لك العشاء بيدي يا سليم .

وهمس : شكرا يا حبيبتي .. شكرا .

وأسرعت بالخروج من الغرفة ، لتدخل الى المطبخ وتساعد الخادمة على تهيئة العشاء ...

وبعد قليل عادت الى غرفة زوجها حاملة له العشاء بيدها .

وجلس سليم الراشد في سريره يتناول العشاء بشهية لم يعرفها من قبل .

وجلست ناهدة قربه تسايره وتمازحه ، متظاهرة بالفرح والسرور ، والفرح والسرور بعيدان عنها بعد الارض عن السماء ..

وهمس سليم ، وقد انتهى من تناول طعامه : وانت ؟.. الا تريدين ان تتناولي طعام العشاء ؟..

قالت : لقد تناولت طعام العشاء الان ، وانا اعد لك الطعام .

قال : والقهوة ؟ الا تريدين ان تتناولي القهوة معي؟

قالت : سنتناول القهوة معا . ان الخادمة تهيىء لنا القهوة ..

واذا بالخادمة تطل حاملة لهما القهوة •

وراحت ناهدة ترشف القهوة ، وهي تفكر بماجد •

كانت قرب زوجها بالجسد ، وكانت قرب حبيبهـــا بالروح •••

وراح سليم الراشد يمازح زوجته ويسايرها •

ولاح له منها انها في حال شرود ، فهمس : ما بك يا ناهدة ؟•• اراك شاردة الذهن يا حبيبتي • هل هناك ما يؤلمك ؟••

قالت : لا ، أبداً يا سليم • الا انني اشعــر بالتعب • سأدخل الى غرفتي واستسلم للرقاد •

قال : كما تريدين يا حبيبتي •

فنهضت لتقول : فلتصبح على خير يا سليم • طابت ليلتك يا •• يا حبيبي •

وخرجت كلمة «حبيبي» من بين شفتيها قاسية جافة ، لا عطف فيها ، ولا شوق ، ولا حنين •

وهمس : فليغمر الله نومك بالاحلام الهانئة الوارفة يا حبيبتي ، تعالي • تعالي اقبلك قبل ان استسلم للرقاد•

واقتربت منه لتطبع على جبينه قبلة باردة •

وطبع هو على خدها قبلة ملتهبة حمراء ••

واسرعت بالخروج من غرفته لتدخـل الى غرفتها ، فتنزع عنها ثيابها ، وترتدي ثياب النوم ، وتستلقي فــي سريرها ••

الفصل العاشر

لم تستطع ناهدة زوجة سليم الراشد الرقاد طيلة ذاك الليل البهيم .

لم تستطع ان تجذب الكرى الى مقلتيها .

وكيف تنام ناهدة ؟..

كيف تستسلم للرقاد ، وطيف الحبيب يحوم فوق وسادتها الناصعة البياض ؟..

ومدت يدها الى علبة التبغ، الملقاة فوق المنضدة قرب السرير ، لتلقي بلفافة بين شفتيها ، وتنصرف الى التدخين، والى التفكير ..

وراحت ناهدة تستعيد في مخيلتها الذكريات الافلة المؤلمة الرهيبة ، راحت تستعيد في اذنها كلمات ماجد العذبة الشجية ...

وبدأت الدموع تتدحرج على وجنتيها النديتين الجميلتين .

كانت تبكي كأنها طفل صغير حرم من امه .
كانت كأنها عصفور جريح وقع بين يدي الصياد .
كانت كالزهرة المتأهبة للذبول .
كالفراشة المحتضرة ، وهي تحوم حول السراج ..
وطال تفكيرها . وطال بكاؤها ، وطال عذابها وانينها ..

ودقت الساعة معلنة انتصاف الليل ، وزوجة سليم الراشد لا تزال مستلقية في سريرها تدخن ، وتفكر ، وتبكي .

وشعرت بشوق بعيد شاسع رحيب يلف روحها ويغمر قلبها .

انها لتشتاق الى ماجد .

اين هو ؟

ماذا يفعل ماجد الان ؟

اتراه لا يزال ساهرا مثلها ، يفكر ، ويدخن ، ويبكي ؟..

ومدت يدها الى سماعة الهاتف ، ترفعها الى اذنها وتدير الارقام ، وتهمس : آلو ... ماجد ؟..

وتعالت همسات ماجد في اذنها : ناهدة ؟..

فهمست : الا تزال ساهرا يا ماجد ؟

وهمس ماجد عبر الاسلاك : وهل استطيع ان انام؛

وقد وقفت منك على الحقيقة المؤلمة ، الجارحة ، الرهيبة يا ناهدة ؟..

قالت : وانا ايضا لم استطع الى النوم سبيلا يا ماجد ليتني لم ارك . ليتك لم تعد الى لبنان يا ماجد ، ليتك اقمت العمر في فرنسا . كان جرح قلبي قد بدأ يندمل ، الا ان ما حدث فتح في هذا القلب الموجع العاني جراحا جديدة .

قال : ما حدث لك ، حدث لي يا ناهدة . وما نزل بك ، نزل بي . جراح قلبك ليست بأعمق من جراح قلبي، ودموعك ليست باسخى من دموعي ، وعذابك ليس بارحب من عذابي . لقد تساوينا يا ناهدة بالجراح ، وبالعذاب ، وبالدموع .

قالت : اه من هذا العذاب المؤلم الرهيب يا ماجد ، اه من هذه الجراح ، اه من هذه الدموع . انني لأتمنى ان افقد عيني لارتاح من دموعي ، اتمنى يا ماجد ان يتوقف هذا القلب عن النبض لارتاح من جراحه ، اتمنى ان يخمد هذا الجسد وتنطفىء شعلته ويصبح ترابا، لارتاح من آلامي وعذابي .

قالت ناهدة هذا ، واجهشت بالبكاء .

وتكسر نواحها وانينها في اذن ماجد ، عبر اسلاك الهاتف ، فبكى.وهمس : كفى تعذيبي قلبي . ان دموعك

تزيد النار اتقادا فـي قلبي ، ونواحك يضرم الالم فـي فؤادي ، وانينك يزيد جراحي نزفا . لقد حكم الله علينا بالفراق الابدي ، ويجب ان نذعن لحكمه تعالى .

قالت : ماجد ، لقد احببتك بكل ما في معنى كلمة الحب من معنى بعيد شاسع عميق ، وسأحبك الى الابد.. الى الابد .. الى الابد يا ماجد. لن تستطيع قوة ان تنزع من قلبي هذا الحب المتقد السعير . حبك سينزل معي الى القبر يا ماجد .

قال ، والدموع تغمر عينيه : ناهدة ! حبنا هذا حب بلا امل . فلنبتعد عن نار هذا الحب المحرقة ، ولندفن ذكرياتنا المؤلمة في قلبينا . لماذا نعذب هذين القلبين بما لا فائدة منه ؟ لماذا نسكب النفط فوق النار يا ناهدة ؟ لماذا نلقي بالحطب فوق المحرقة ؟. انسي يا ناهدة . يجب ان تنسي الماضي ، وكل ما حفل به الماضي ، من ذكريات دامعة دامية رهيبة .

فتمتمت ناهـدة ، والعبرات تكاد تخنـق صوتها : اتدعوني الى النسيان يا ماجد ؟ كيف تريدني ان انسى وانت امامي في كل لحظة من لحظات حياتي ؟.. كيف تطلب الي ان ادفن الماضي ، وانا اعيش في ذكريات هذا الماضي الافل الجميل . قل لي يا ماجد ، هل تستطيع انت ان تنسى ؟.. هل تستطيع ان تتخلص من ذكرياتك ، ومن

احلام ماضيك ؟. اذا استطعت انت ان تنسى ، استطعت انا ان انسى ..

وهمس ماجد : ناهدة !.. فلنكن واقعيين في الحياة. اي فائدة لنا من الذكريات ؟ ماذا سنجني من الآهات والدموع ؟.. هل استطيع ان اكون لك ؟ وهل تستطيعين ان تكوني لي ؟ ان الذكريات تزيد الكارثة ثقلا على قلبينا. والدموع والانين والاهات لم تكن يوما لتخفف العبء عن كاهل الانسان . طريقنا ليس واحدا يا ناهدة . فليسر كل منا في طريقه ، مبتعداً عن الاخر .

قالت : لا.. لا يا ماجد ، لا.. لا تفكر بالهرب. ان الهرب لا يحل المعضلة . ان البعاد الان يزيد الالم ألما في قلبينا ، والدمع دمعا في عيوننا .

قال : ما العمل اذن يا ناهدة ؟..

قالت : فلنترك للايام ان تدبر امرنا . نحن سنظل كما نحن ، اراك وتراني ، واتحدث اليك وتتحدث الي كل يوم . انني لاكتفي من الايام بالنظرة وبالكلمة .

قال : ولكنني اخشى ان يجنح بنا قلبانا الى ابعد من النظرة ومن الكلمة . ان لقاءنا يزيدنا شوقا ونارا وهياما . البعاد هو الحل الوحيد للمعضلة يا ناهدة . انا سأبتعد عنك . لن تري وجه ماجد بعد الان . سأعود الى فرنسا . وسأقضي ما بقي من عمري بعيدا عنك وعن لبنان.

فزعقت زوجة سليم الراشد : لا.. لا.. لا يا ماجد. لا تفكر بالبعاد ، لا تفكر بالسفر !..

قال : العودة من اول الطريق ، خير منها في اخره. انا ساعود الان من اول الطريق يا ناهدة ، لأنني اخشى ان اعجز عن العودة ، اذا ما توغلت فيه ..

قالت : وكيف تتخلى عني ؟.. كيف تستطيع ان تلقي بي في النار ، ثم تدير لي ظهرك ، وتذهب في سبيلك ؟ اتتركني فريسة للنار يا ماجد ؟.. اتهون لديك ناهدة ؟ الا ترحمها ؟.. الا تشفق عليها ؟..

قال : اذا كنت افكر بالسفر ، فما ذلك الا لانني احبك واشفق عليك . انني اشفق عليك وعلى نفسي ، على قلبك وعلى قلبي يا ناهدة .

فهمست : والمريض المشلول الذي تعالجه ؟.. سليم الراشد ؟.. زوجي ؟.. ماذا سيحل به وقد توقفت عن معالجته يا دكتور ؟.. وهل يسمح لك ضميرك بالهرب من الميدان ، وانت الجندي الذي تحارب الداء ، وتحاول الانتصار عليه ؟..

قالت هذا ، وهي تحاول ان تثنيه عن السفر .

وهمس : ناهدة !. انا اريد الابتعاد من اجل سليم الراشد ايضا . من اجل هذا الرجل الشهم النبيل الذي غمرك بالحب وبالعطف وبالمال . هذا الرجل الذي تحملين

اسمه ، ما هو ذنب سليم الراشد كي نطعنه في الظهر ؟٠٠ يجب ان تحافظي على شرف الاسم الذي تحملين يا ناهدة ٠

قالت : ومن قال لك انني سامرغ هذا الاسم في الوحول يا ماجد ؟٠٠ من قال لك انني ساطعن زوجي في ظهره؟ من قال لك ان ناهدة ستسلك سبيل الخيانة والغدر؟٠ اطمئن ٠ ان ناهدة عاشت حياتها شريفة ، وستظل شريفة مدى الحياة ٠

قال : انا اعلم انك عشت حياتك شريفة ، ولذلك فقد عزمت على الابتعاد عنك لتظلي شريفة كالطهر ، ناصعة كالثلج ، زكية كالزنبقة الفواحة العبير ٠

قالت : ان قربك مني يزيدني قوة وصمودا في وجه العاصفة يا ماجد ٠ لا تتركني ٠ لا تبتعد عني ٠ ارجوك٠ ارجوك يا ماجد ؟ واستحلفك بأعز من وما لديك ٠

وعادت الدموع تغمر عينيها ٠

وعادت الآهات تتكسر على شفتيها ٠

واجهشت بالبكاء ٠٠

وهمس ماجد ، وقد اشفق عليها : ناهدة !٠٠ لا تعذبيني ببكائك ٠ ارجوك يا ناهدة ان ترحميني ، وترحمي نفسك ٠

قالت بالحاح وباصرار: انت لن تسافر٠ هنا ستظل٠ اذا كنت لا تزال تحفظ لي في قلبك ذرة من حب وهيام ، اقمت

قربي .

فصمت . وقد ادرك انه عاجز عن الابتعاد عن ناهدة. هو اشد رغبة منها في اللقاء . لن يستطيع الابتعاد عنها ، لن يستطيع ..

وعادت ناهدة الى الكلام ، لتقول بعد صمت قصير: ماجد !.. سأراك غدا . اليس كذلك ؟..

قال : لست ادري . لست ادري يا ناهدة ...

قالت : ان زوجي يقيم منك على انتظار. لقد وعدته بمواصلة معالجته ، وعليك ان تنفذ وعدك .

قال : سأجرب ان انفذ هذا الوعد .

قالت : انني استحلفك بحياتي . الا تزال حياة ناهدة عزيزة على قلبك يا ماجد ؟..

فهمس : حياة ناهدة اعز واغلى عندي من حياتي .

قالت : اذن ستكون عندنا غدا عند الظهر . سأتناول طعام الغذاء معك .

فحاول الاعتذار . قال : لا. ارجوك يا ناهدة ان تعفيني من تناول الطعام . سأحضر لمعالجة زوجك في الساعة الثالثة بعد الظهر .

قالت : لا... ستكون هنا في تمام الساعة الواحدة بعد الظهر . وسأكون في انتظارك لنتناول طعام الغداء معا.

قال : لا .. ارجوك .. ارجوك ..

قالت: الى اللقاء غدا . سأكون في انتظارك يا ماجد.

قال ، بعد تردد : ليكن ما تريدين .

وهمست : طابت ليلتك يا ماجد .

قال : الى اللقاء ..

وألقى الدكتور ماجد زهران بالسماعة من يده، وتمدد في سريره محاولا النوم .

الا انه لم يستطع الى النوم سبيلا .

كلمات ناهدة اضرمت الشوق في روحه ، والنار في قلبه ، وابعدت عن عينيه الكرى ، وعن رأسه الراحة والهناء.

ولم يستطع الدكتور ماجد زهران ان يستسلم للنوم، الا والفجر يغمر بيروت بنوره الزاهي الزاهر الجميل ..

ونام . نام ليحلم بحبيبته ناهدة . حتى في النوم لم يستطع ان يبعد طيف ناهدة الحبيبة عن عينيه ..

واستفاق الدكتور ماجد زهران في الساعة الثامنة من الصباح ..

ووثب من السرير ليرتدي ثيابه على عجل ، ثم يتناول القهوة والطعام ، ويسرع بالخروج من الدار الى عيادته ، وهو يفكر بحبيبته ناهدة ..

وراح ماجد يفكر بكل ما قالت ناهدة . كانت كلماتها العذبة الشجية تتردد في اذنيه فيطرب لها .

وكانت همساتها تتجاوب في خاطره ، فيحن ويشتاق

اليها ..

واحتار ماجد في امره . ماذا عليه ان يفعل الان ؟

هل يبتعد عن ناهدة ، وفي البعاد ألم ودمع وعذاب .

ام يظل قربها ، وفي القرب لوعة وشوق وحنين ؟.

ويله اذا ابتعد عنها .

وألف ويل له اذا اقترب منها .

ليس يدري ماذا عليه ان يفعل الان ، ليس يدري ..

ومضى في عمله بتعب وعناء وهو يفكر .

وعندما بدأت الساعة تميل الى الواحدة بعد الظهر، ازداد الدكتور ماجد زهران ألما وتفكيرا : لقد دعته ناهدة الى تناول طعام الغداء . هل يستجيب دعوتها ؟ هل يتناول الطعام على مائدتها ؟..

لا ... اجل ...

واحتار في امره ...

واستقل سيارته وأطلق لها العنان بدون ان يعلم الى اين سيتجه ..

واذا به يرى السيارة تتوقف عن المسير امام دار سليم الراشد . لقد قاد سيارته الى تلك الدار وهو في حالة شرود وذهول ..

وترجل من السيارة حاملا حقيبته الطبية .

ودخل الى تلك الدار ، ليجد ناهدة في استقباله، وهي

شاحبة الوجه ، ذابلة العينين ، صفراء الجبين •

وارتسمت على شفتيها ابتسامة واهية لا لون لها ولا ضياء ••

واقترب منها وهو يرتجف ••

لماذا كان يرتجف ؟

ليس يدري •

ومـــد يده الباردة يصافحهـــا •• وتصافحت اليدان الباردتان المرتجفتان على وهن وعياء •

وهمست ناهدة ، وهي تشد يده : كنت على يقين من انك ستحضر يا ماجـــد • الآن علمت ان حياتي لا تزال عزيزة عليك •

وارتسمت على شفتيه ابتسامة كابتسامتها ، ابتسامة واهية شاحبة صفراء ، وهمس : كنت اتمنى ان تعفيني من هذه الدعوة يا ناهدة •

وامسكت بيده هامسة : تعال • ان الطعام جاهز •

قال : لا •• سأمد زوجك بالادوية والمصول أولا ••

قال هذا ، وسار الى غرفة سليم الراشد •

وكالعادة استقبله سليم الراشد بالترحيب الشديد ••

وانصرف ماجد الى معالجة المريض المشلول •••

وعندما انتهى من معالجته ، التفت سليم الراشد الى زوجته ليقول : ايكون الطعام جاهزا يا ناهدة ؟

قالت : اجل •

قال : تناولا الطعام ثم عودا الي • ستتناولان القهوة معي ، أليس كذلك ؟

ودهش الدكتور زهران • سليم الراشد يعلم ان زوجته دعته لتناول الطعام ؟

والتفتت ناهدة الى ماجد لتقول : تفضل يا دكتور •

وهمس سليم مازحا : أرجو ان تعذرني يا دكتور لانني لا استطيع النهوض من السرير لمشاركتكما الطعام •

وابتسم ماجد ، وهمس : ارجو ان تستطيع تناول الطعام معنا خلال اسابيع قليلة ايها السيد سليم •

وهمس سليم : سيتم لي ذلك بمساعدتك يا دكتور •

وسارت ناهدة الى قاعة الطعام •

وسار ماجد قربها •••

وهمس ماجد وقد ابتعدا عن غرفة سليم : هل اطلعته على دعوتك اياي ؟

وابتسمت ناهدة وهمست : اجل •• انا لا اخفي عن زوجي شيئا • لقد اخبرته كل شيء ••

ووجم ماجد • وهمس باستفهام : كل شيء ؟•

قالت : اجل •• كل شيء •• كل شيء •

وكانا قد وصلا الى قاعة الطعام فدخلا •••

وجلست ناهدة الى المائدة ، ودعت ماجدا للجلوس

قربها ..

وجلس وهو شارد الذهن ، قلق الخاطر ، مضطرب الفؤاد ..

وعاد ماجد الى الكلام ، بعد صمت قصير ، ليقول: على ماذا اطلعت زوجك يا ناهدة ؟..

فابتسمت زوجة سليم الراشد ابتسامة واهية صفراء وهمست : الم اقل لك ؟.. لقد اطلعته على كل شيء .

قال : والقلق يستبد به : هل اطلعته على علاقتنا السابقة ؟.. هل اخبرته كل شيء ؟..

وتلاشت الابتسامة الواهية الصفراء عن شفتيها، وهمست : ان ما كان بيننا سر مقدس يا ماجد ، وهو ليس ملكي وحدي . انه ملكي وملكك . وانا لا املك حق التصرف بهذا السر وحدي . ليس لي ان اتصرف بما لست املك . ثم زوجي لا يستطيع ان يبسط سلطانه على ماضي . ان ماضي لي انا . وليس له ان يطلب مني ان اؤدي له حسابا عنه . ان زوجي لا يستطيع ان يبسط سلطانه على سوى حاضري فقط .

فتنفس الدكتور ماجد زهران الصعداء .

وتابعت ناهدة كلامها.قالت : لقد اطلعت زوجي على كل ما جرى بيني وبينك ليلة امس . قلت له : «لقد اتصلت بالدكتور ماجد زهران هاتفيا ودعوته لتناول طعام الغداء

على مائدتنا» • ورحب زوجي بهذه الدعوة • فهو يحترمك ويقدرك ، ويحمل لك في صدره كل محبة واكرام •

وصمت ماجد ، وراح يتناول الطعام ، وهو منصرف الى التفكير •

وصمتت ايضا ناهدة •

ولفهما الصمت باجنحته الباردة السوداء •

وكانا يتبادلان النظرات الملتهبة ، من حين الى اخر، وهما يتناولان طعامهما ••

وانتهيا من تناول الطعام •

ونهضا ليدخلا الى قاعة الاستقبال •

وهناك ، في تلك القاعة الفخمة الرياش الانيقة ، الرحبة الجميلة ، جلست ناهدة قرب ماجد ، والشوق يغمرهما بوشاحه الواسع الفضفاض •

وترقرقت الدموع في العيون الاربع ، وهي متشابكة النظرات •• نظرات فيها الف معنى ومعنى ، والف حديث وحديث • وطال صمتهما ••

واكتفيا من الحب والهوى بالنظرات •

ولم ينبس احدهما بكلمة ، لا ناهدة تكلمت ، ولا ماجد •

واقبلت الخادمة حاملة لهما القهوة ، فالتفت ماجد الى ناهدة هامسا : لقد دعانا زوجك الى تناول القهوة في

غرفته . علينا ان نستجيب دعوته يا ناهدة .

والتفتت ناهدة الى الخادمة لتقول : خذي القهوة الى غرفة سيدك .

وسارت الخادمة بالقهوة الى غرفة سليم الراشد .

ولحق بها ماجد وناهدة .

وجلسا في غرفة سليم، يرشفان القهوة معه ويتحدثون.

وعندما انتهوا من رشف القهوة ، نهض الدكتور ماجد زهران مودعا ..

وخرج من القاعة ..

ولحقت به ناهدة ..

وسارت ناهدة قرب ماجد الى الباب الخارجي ..

وخرج ماجد من الباب فلحقت به الى الحديقة ..

ودون ان ينبسا بحرف ، وجدا نفسيهما يشخصان الى تلك الشجرة الوارفة الظلال ، ليجلسا تحت اغصانها على لهفة ، وشوق ، وهوى ، وحنين ...

الفصل الحادي عشر

تعددت زيارة الدكتور ماجد زهران الى دار سليم الراشد ..

وتعدد اجتماع ماجد بناهدة على خلوة وانفراد ..

ولم يعد الدكتور ماجد زهران يتردد في عيادة سليم الراشد . لا. فقد اصبح الطبيب ينتظر موعد زيارة الرجل المشلول بفارغ صبر ، ليشاهد حبيبته ناهدة .

وكثيرا ما يحضر الدكتور ماجد الى دار سليم الراشد قبل ان يحين موعد الزيارة ، وتكون ناهدة باتنظاره . فتمسك بيده لتسير واياه ، اما الى غرفة الاستقبال ، واما الى الحديقة .

وهناك ــ في قاعة الاستقبال ، او في الحديقة ــ يجلس الحبيبان ليتبادلا احاديث الحب والهوى والغرام . ويستعيدا ذكرياتهما الهانئة الافلة الجميلة .

وارتاح العاشقان المتيمان الى مصيرهما ، وهما في

مأمن من وقوع عيني الزوج المخدوع عليهما .

ان سليما الراشد المشلول لا يستطيع ان ينهض من السرير ليدهم زوجته وحبيبها في خلوتهما الهانئة السعيدة.

ولم تعد ناهدة تكتفي بالجلوس قرب حبيبها ماجد في الحديقة ، وفي قاعة الاستقبال ، لا سيما وهي تخشى ان تقع عينا الخادمة عليهما ، فدخلت به ذات يوم الى غرفتها ، واوصدت وراءها الباب ..

وجلست ناهدة على السرير ..

وجلس الطبيب الحبيب قربها ..

وتماسكت اليدان على حرارة وارتجاف ،

وتشابكت العيون الاربع على شوق وهوى ونار ..

وطالت جلستهما واليدان متماسكتان والعيون متشابكة ..

وهمست ناهدة ، وهي تشد يد ماجد وتغرز عينيها في عينيه : هذه هي غرفتي يا ماجد . لو لم تظلمنا الايام ، لكانت هذه الغرفة غرفتنا ، غرفتي وغرفتك . كم كنت اتمنى ان تكون انت شريكي في هذه الغرفة ، وان يكون سريري هذا سريرك .

وأدمعت عينا ماجد ، وهو يحوّل نظره عن عيني ناهدة الى ذلك السرير الوثير .

هذا السرير هو سرير ناهدة ، وسرير زوجها ايضا ..

ما اقسى الايام على قلوب العاشقين . لقد ظلمته الايام ، وظلمت ناهدة ايضا .

وعادت ناهدة الى الكلام لتقول : على هذا السرير استلقي كل ليلة لأفكر بك يا ماجد . الا تصدقني ؟.. سل هذه الوسادة البيضاء . سلها تقل لك كل شيء ، وتخبرك كم ذرفت ، وكم تذرف ناهدة من الدموع كل ليلة ، وهي تفكر بك ، وتناجي طيفك الحبيب الذي يحوم حول هذه الوسادة .

وتدحرجت الدموع من عيني الدكتور ماجد زهران ، وهمس : انني اعلم كل شيء يا ناهدة . اعلم انك مثلي ، تقضين الليالي ساهرة في سريرك تفكرين، وتبكين، وتناجين ماجدا . ولكن ماذا عسانا ان نفعل حيال حكم الايام الظالم القاسي الرهيب ؟..

قالت : يخيل الي يا ماجد ان الايام التي ظلمتنا وقست في حكمها علينا ستنلنا يوما امانينا العذاب . لا بد لنا من تحقيق امالنا واحلامنا وامانينا يا ماجد . نحن لن نرحل عن هذه الارض الفانية قبل ان ننال كل ما نصبو اليه وتتمناه .

فوجم ماجد زهران . ماذا تقول ناهدة ؟.. هل جنت ؟ كيف ستنيلهما الايام امانيهما ، وقد اصبحت لرجل غيره ؟..

وكأن ناهدة ادركت ما يجول بخاطر ماجد ، فشدت يدها يده وهمست : لا يا ماجد ، لا ، انا لن اسير في طريق الخيانة الزوجية • ما هذا قصدت ، انا لن اخون زوجي• لن ارتكب هذه الجريمة المروعة الرهيبة • ان الموت اهون لدي من ارتكاب هذه الجريمة • انت قربي الان ، ونحن وحيدان هنا • ليس ثمة من يرانا • ولا هناك من يسمع همساتنا • انني اتمنى ان اضمك الى صدري • اتمنى ان اعانقك ، ان اقبلك ، ان القي برأسي الواهي الى صدرك ، كما كنت افعل عندما كنا نجلس في الغابة الخضراء ، قبل ان ارتبط بأي قيد • الا انني لن افعل •• تصور يا ماجد اي عذاب هو عذاب امرأة تجلس قرب حبيبها على وحدة وانفراد ، دون ان تستطيع تقبيله ، ودون ان تستطيع تطويقه بذراعيها • انني اتعذب يا ماجد ، انني احترق ، انني اذوب كما تذوب الشمعة تحت وطأة النور •• وانا على استعداد لاحتمال هذا العذاب الموجع الاليم ، انا على استعداد للاحتراق ، انا على استعداد للذوب ، للموت • ولكنني لست على استعداد لارتكاب جريمة الخيانة الزوجية • قلت لك انني اشعر باننا سنحقق امانينا العذاب ، وبانني سأكون يوما لك ، وبانك ستكون يوما لي • ولكن كيف ؟•• ومتى ؟••• واين ؟•• لست ادري !••

فشدت يد ماجد يد ناهدة وهمس : عذابك يا ناهدة هو عذابي نفسه ، وألمك ألمي نفسه • انني لأضحي بحياتي من اجل قبلة من شفتيك • اضحي بعمري من اجل غفوة على ذراعيك • الا انني لن اكون السبب في تدهورك، وفي انزلاقك ، وفي ارتكابك جريمة الخيانة • لا يا ناهدة• لا•• انا لا اريدك زوجة خائنة • اريدك وردة ذكية فواحة الشذا ، اريدك زنبقة ناصعة البياض ، فواحة العبير • هكذا اريدك وهكذا ستظلين •• تسألينني متى ؟•• واين ؟•• وكيف ؟•• سنحقق امانينا الهائلة الجميلة ؟•• اقول لـك الحقيقـة يا ناهدة هـو انـني انـا ايضـا اشعر بمـا تشعرين ، اشعر باننا سنحقق يوما امالنـا ، اشعر بانني سأكون يوما لك ، وبانك ستكونين يوما لي ، ولكن ليس هنا • ليس على هذه الارض الفانية يا ناهدة • ان روحي كانت وستظل ملكا لك وروحك كانت وستظل ملكا لي، اما جسدانا فهما بعيدان عن بعض •• واذا كان هذان الجسدان الترابيان قد عجزا عن الاتحاد على هذه الارض، فان روحينا لن تعجزا عن الاتحاد هناك في السماء •

قالت : ماجد !•• انني لأكتفي من دنياي بقربك • يكفيني قربك يا ماجد ، يكفيني انني اراك كل يوم ، وانني اجلس قربك كل يوم ، وانني اسمع صوتك الحبيب كل يوم • وكل ما اطلب من الله عز وجل ان يديم لي هـذه

النعمة ، نعمة مرآك كل يوم يا ماجد •

قال ، والدموع تموج في عينيه :«حتى هذه النعمة لن تدوم يا ناهدة • نحن سنضطر قريبا الى الابتعاد عن بعض» • فوجمت ، وهمست : لماذا ؟• لماذا يا ماجد ؟••

قال : لأن زوجك بدأ يسير في طريق الشفاء •

وذعرت ناهدة.وهمست : لا•• لا يا ماجد ، لا •• لا اريده ان يشفى•• لا اريد ان ينهض زوجي من السرير•• دعه في مرضه •• دعه في شلله.سالم يجب ان يظل مشلولا• لن يشفى سالم •• لن يشفى ، لن يشفى ••

واجهشت بالبكاء •

وصمت ماجد •

وراح يفكر بصمت بارد ، موحش ، كئيب • في حين كانت ناهدة تمسح دموعها بمنديلها الناصع البياض وهي تتمتم : لا اريده ان يشفى •• سليم يجب ان يظل مشلولا•• ليس له ان ينهض من السرير •• لا تشفه يا ماجد •

ومضى الدكتور ماجد زهران في تفكيره ،بدون ان ينبس بحرف •

فكأن رأيه من رأي ناهدة •

كأنه يوافق ناهدة على ما تقول •

ناهدة على حق• سليم الراشد يجب ان يظل في السرير، يجب ان يظل مشلولا •

ماذا ستكون حاله ؟.. وماذا ستكون حال ناهدة اذا شفي زوجها ؟..

ماذا سيحل به ؟.. وماذا سيحل بها وقد نفض سليم الراشد عنه غبار الشلل ، واستوى على قدميه وسار ؟..

وذعر الدكتور ماجد زهران ، وقد وصل بتفكيره الى هذا الحد ..

واجاب نفسه على تلك الاسئلة : ماذا ستكون حاله وحال ناهدة اذا شفي زوجها ؟.. ماذا ستكون تلك الحال ؟.. هو سيخسر ناهدة . لن يستطيع الخلوة بها . لن يستطيع الجلوس قربها كما يجلس الان .

سينقطع عن زيارة تلك الدار ، بعد ان يتماثل رب الدار الى الشفاء ، ويصبح بغير حاجة للطبيب .

وكأن ناهدة التقت بتفكيرها عند تفكير ماجد، فالتفتت اليه لتقول : تصوَّر يا ماجد ، زوجي يسير على قدميه ويدخل علينا الان ، ليدهمنا معا في جلستنا الهانئة الجميلة هذه .. تصور زوجي يتقدم مني بقدمين ثابتتين الان ويصرخ بي : «يا مجرمة .. يا خائنة ، يا فاسقة ، كيف تستبيحين شرفي؟. وكيف تسمحين لنفسك بمجالسة هذا الطبيب الماجن الخليع في غرفتك وعلى سريرك ؟..»

تصور كل هذا يا ماجد فيبين لك صواب رأيي .

واستغرق الدكتور ماجد زهران بالتفكير على قلق

وحيرة واضطراب ، دون ان يهمس بحرف •

وعادت ناهدة الى الكلام ، بعد صمت قصير ، لتقول: ان شفاء زوجي سيكون ضربة قاصمة على قلبينا يا ماجد، ستكون كارثة رهيبة تدك معقل سعادتنا وهنائنا • لقد تعذبنا كثيرا يا ماجد ، وذرفنا الكثير من الدموع • وها ان السعادة بدأت تطل علينا ، وشفاهنا بدأت تعرف لذة الابتسام ، بعد ان حرمنا من هذه السعادة زمنا طويلا • أتريد ان تعود بنا الى الالام ؟ اتريد ان تمسح الابتسامة عن شفاهنا ، لتغمر عيوننا بالدموع مجددا ؟• لا يا ماجد، لا يا حبيبي • انا لا استطيع ان اعود الى الحزن والدمع والاسى • لا استطيع ان اعود الى الدموع ، لم يعد في عيني دموع لاسكبها يا ماجد • لقد جفت الدموع من مقلتي • دعنا في هنائنا وفي سعادتنا ، واترك سليماً الراشد في شلله وفي مرضه الدائم • ان الله عز وجل حكم عليه بالشلل • اتريد انت ان تنقض حكم الله القوي القدير ؟••

ولم يجب الدكتور ماجد زهران بحرف ، بل هو مضى في تفكيره الاليم •

كانت ناهدة تتكلم ، وكان ماجد زهران يفكر •

كان الدكتور ماجد زهران يفكر بما تقول حبيبته ناهدة : اتراها على حق ؟••

ليس يدري • ليس يدري •••

وخيم الصمت الرهيب على الاثنين • على ماجد وعلى ناهدة ••

واخيرا ، وبعد صمت طويـل ، امسكت ناهدة بيد حبيبها ماجد لتقول : على ماذا عولت يا ماجد ؟•• مـاذا ستفعل ؟••

فهمس ، بألم وقلق وحيرة وارتباك : لست ادري••• لست ادري يا ناهدة ••• دعيني افكـــر بالامر • انا لا استطيع الآن ان افكر، لا استطيع ان اجمع حطام تفكيري• لا استطيع ان اقرر شيئا • دعيني افكر • اتركي لي مجال التفكير والاقرار •

قالت : ان الامر لا يحتاج الى تفكير • فليس ثمـة معضلة بحاجة الى حل • كل ما في الامر هو ان سعادتنـا بين يديك • ما لك الا ان تتقاعس عن شفاء زوجي لنظـل معا، اراك وتراني كل يوم ، ونجلس معا كل يوم، ونتحدث وننعم بهوانا كل يوم •

قال ، وهو شارد الذهن تائه النظرات : والضمير ؟•• ماذا عساني افعل بهذا الضمير الذي يلسع تفكيري ، ويلهب حواسي بناره المحرقة المندلعة اللهيب ؟••

فشدت يده المحمومة المرتجفة وهمست : ان ضميرك سيكون بألف خير • انت لست مســـؤولا عن مرض زوجي • هل انت هو الذي بلوته بالشلل ؟•• ان اللـه

حكم عليه هذا الحكم القاسي الرهيب يا ماجد • فما هو ذنبك انت ؟

قال ، بعد تفكير قصير : ان الله ارسل الاطباء الى الارض ليقوموا برسالة سامية مقدسة شريفة يا ناهدة • مهمة الطبيب تنحصر في شفاء المريض • واجب الطبيب هو ان يبذل الجهد في دفع الالام والاوجاع عن البشر • وعلى الطبيب ان يقوم بهذا الواجب المقدس المفروض • ان الطبيب يد الله على هذه الارض • لقد قيل يا ناهدة : ان الله عز وجل يضرب الانسان بيمناه ليتلقاه بيسراه •

ان الطبيب هو يد الرب اليسرى ، هو اليد التي يمسح بها الله الجراح فتبرأ ، ويغمر بها الالام فتشفى • وعندما يتقاعس الطبيب عن القيام بواجبه ، عندما يخون الامانة المقدسة التي وضعها الله في عنقه ، عندما يحجم عن شفاء مرضاه ، عند ذاك يصبح الطبيب يد الشيطان ، لا يد الله القوي القدير •

قالت : دعك من هذه الفلسفة الان • انت لن تخون واجبك ، اذا ما احجمت عن مد سليم الراشد بالبرء •••

قال : تقاعس الطبيب عن القيام بواجبه جريمة يا ناهدة • اتريدين ان يكون ماجد مجرما ؟••

قالت : اسمع يا ماجد • انت تقول ان احجامك عن معالجة سليم الراشد جريمة ، وانا اقول لك ان حكمك

على قلبينا بالشقاء اكثر من جريمة • شفاء سليم الراشد سيصرع قلبينا • اتشفي انسانا لتقتل اثنين ؟••

فكادت تعود به الى الاقتناع •••

وألقى الدكتور ماجد زهران برأسه بين يديه ، وعاد الى التفكير العميق ، يستغرق فيه على الم وقلق وعذاب: ناهدة على حق • هل ينقذ انسانا ليفتك باثنين ؟•

لا ••• لا ••• لا ••• مستحيل • هو لن يقدم على هذه الجريمة ، لن يقضي على نفسه وعلى ناهدة ••

لن يحكم على قلبها وعلى قلبه بالشقاء مدى الحياة• لن يمد لسليم الراشد يد الشفاء •

لن يمضي في معالجته •

ما له ولهذه المغامرة •••

فليظل سليم الراشد مشلولا كسيحا • وليسعد هو بهوى ناهدة الحبيبة •

والآن صوت الضمير عاد يصرخ به «ايها الطبيب•• تذكر • تذكر القسم الذي فهت به يوم تسلمت بـــراءة الطب • تذكر واجبك المقدس • تذكـــر شهامة الطبيب ومروءته • تذكر مهمتك ايها الطبيب»••

وشعر بوخز الضمير يعذبه ويؤلم روحه •

وادمعت عيناه •

وكاد يضيع عن حقيقته • فهب واقفا ليقول : الـــى

اللقاء يا ناهدة ، الى اللقاء .

قال الدكتور ماجد زهران هذا ، واسرع بالخروج.

اسرع بالهرب ، وهو يتمتم في سره: يا رب أنر امامي السبيل الذي يتحتم علي السير فيه .

ووصل الى سيارته ليستقلها ويطير بها الى داره...

وهناك في الدار دخل الى غرفته ليستلقي على سريره وهو في حال ذعر والم وعذاب .

ولم يستطع ان يطيل الاقامة في غرفته . فقد كانت الافكار الممضة المقلقة السوداء تعذبه . واسرع بالخروج من الغرفة الى الشرفة .

وراح يتمشى على الشرفة ويدخن وهو مرتبك ، قلق حائر ، دامع العين .

ولم يلبث ان عاد للدخول الى الدار ..

ثم خرج من الدار ليستقل سيارته ويطوف بها شوارع بيروت ، دون ان يعلم الى اين يسير .

كان يريد ان يتنقل من مكان الى اخر .

يريد أن يهرب من ضميره .

يريد ان يخمد صوت ذلك الضمير اللاسع اللاذع المحرق المخيف .

الا أنه لم يستطع الهرب ،

كان صوت ضميره يلحق به الى حيث يذهب ليعذبه

ويؤنبه ، ويحرق فؤاده بناره المتقدة السعير ..

ووصلت به السيارة المسرعة في المسير الى محلـــة الروشة ..

واوقف محرك السيارة الى جانب الطريق . وترجل منها ليسير على شاطىء البحر وهو يفكر ..

وسار ، وجنح عن الطريق العام الى الصخور الناتئة الكبيرة المتعددة الالوان .

وجلس فوق صخرة عالية تتكسر عند اقدامهـــــا الامواج المزبدة ..

واشعل لفافة راح ينفث دخانها في الفضاء ويفكر..

ومرت امام عينيه صور الامس كشريط سينمائي..

وغمرت رأسه الذكريات المؤلمة الدامية الرهيبة ..

وشاهد بعين الخيال تلك الغابة الخضراء التي كـــان يجلس بين حناياها مع ناهدة ..

وشاهد اغصان تلك الشجرة الباسقة التي كانت تحنو عليهما وتظللهما وتبسط فوق رأسيهما اوراقها الخضراء ..

وشاهد ، بعين الخيال ، دار ناهدة في القرية، وداره هو .. و.. جميع الاماكن التي كان يجلس فيها قـــرب حبيبته ناهدة .

وسمع ايضا .. لقد سمع همسات ناهدة . تلـــك الهمسات التي كانت ناهدة الحبيبة تشنف بها اذنيه كلما جلسا

معا : يا حبيبي يا ماجد ، يا حياتي ، يا نور عيني ..
ومر الشريط امام عين خياله ..

وتعالت الهمسات في اذنيه لتختلط بهدير الامواج المتكسرة على اقدام الصخرة الناتئة ...

وشعر بدوار ...

وأحس برغبة شديدة ملحاح للارتماء في احضان تلك الامواج ..

ما له الا ان يرمي بنفسه بين احضان تلك الامواج المزبدة المتلاطمة العاتية و .. وينتهي كل شيء .

وأحس بدوار شديد ، وقد وصل بتفكيره الى هذا الحد .

وارتعش : ماذا ؟.. هل يلقي بنفسه بين الامواج الصاخبة المتمردة الهوجاء ؟.

هل ينتحر ؟..

هل يقدم على هذه الجريمة الرهيبة النكراء ؟..

ان الانتحار جريمة مخيفة مروعة ، لا تقل جرما واثما عن جريمة القتل ، فهل يصبح الدكتور ماجد زهران مجرما قاتلا شريرا ؟..

وهمس في سره : لا ... لا ... لن انتحر ، لن اكون مجرما ، لن اصبح قاتلا ، لن اقف في حضرة الديان العادل الكبير ، ويداي ملطختان بالدم .

واطمأن بعض الاطمئنان وقد وصل بتفكيره الى هذا الحد .

الا ان الافكار المقلقة ، والهواجس السوداء عادت تعصف به وتنثر اماله واحلامه وامانيه في مهب الهواء ..

وعاد الى التفكير مجددا : ان موقفه حرج دقيق ..

ويله اذا قاد سليم الراشد في طريق الشفاء ، وخسر حبيبته ناهدة ، وألف ويل له اذا احجم عن المضي في معالجة سليم الراشد ، وخان الامانة المقدسة التي اقسم على الاخلاص لها والوفاء بها

ان حاله الان لا تختلف عن حال الانتحار .

فهو الان ينتحر ، ينتحر بالتقسيط . فلماذا لا ينتحر دفعة واحدة ، ويخلص من هذه الحياة الشقية التعيسة السوداء ..

وعادت فكرة الانتحار تراوده مجددا ..

وكان منظر الامواج الهائجة المزبدة الهوجاء يغريه بالقاء نفسه بين طياتها ، الا ان ايمانه بالله وخوفه من العقاب بعد الموت ، وشبح الجريمة ، جريمة الانتحار . كل هذه الامور كانت تقعد به عن الارتماء بين احضان الامواج .

كان الدكتور ماجد زهران في معركة دامية رهيبة

بينه وبين نفسه ، كان الامل واليأس في صدره يتصارعان، والايمان والكفر في قلبه يتنازعان . وكانت افكاره ثائرة متمردة مضطربة صاخبة هوجاء ، تماما مثل تلك الامواج المتكسرة امامه فوق الصخور ..

وطالت جلسته فوق تلك الصخرة الناتئة السوداء .

وطال تفكيره ، وبدأت الشمس تتأهب للانحدار الى ما وراء الامواج ، والدكتور ماجد زهران ما زال في جلسته القلقة المضطربة الحيرى .

وبدأت اجنحة الظلام تلف الشاطىء الهادىء الحالم الفسيح . والامواج بدأت تنغمس في حنايا الظلام ..

ومع وشاح الليل الهادىء الساجي بدأ الشوق يتسرب الى قلب الدكتور ماجد زهران ، الشوق الى ناهدة الحبيبة ..

وادمعت عيناه ، وبدأت الدموع تنحدر على وجنتيه، وهو يحدق بالأفق البعيد ، وبالامواج المتدافعة نحو ذلك الشاطىء الرحيب ، على شوق وحنان ..

وتنازعته في تلك اللحظة افكار متناقضة عديدة :

الانتحار ...

الهرب ...

السفر الى خارج لبنان ...

المضي في معالجة سليم الراشد حتى يتم له الشفاء..

الانقطاع عن معالجة سليم . ليظل هو قرب ناهدة..

عشرات الافكار دارت في رأس الدكتور ماجد زهران في تلك الساعة ...

وبدأ يدرس كل فكرة على حدة :

الانتحار اولا : هل ينتحر ؟..

واجاب نفسه : لا .. لن انتحر . ليس للطبيب ان يسعى الى الموت وهو عدو الموت . لقد قيل ان الطبيب كان منذ القدم عدو عزرائيل اللدود ، وبين عزرائيل والطبيب عداوة بعيدة المدى عميقة القرار ، لن يمد الدكتور ماجد زهران يده لعزرائيل ، ولن يعقد واياه راية الصلح . الدكتور ماجد زهران لن يسعى بنفسه لمقابلة عدوه اللدود ..

واستبعد فكرة الانتحار ...

الهرب : هل يهرب ؟.. والى اين سيهرب ؟ الى اين سيهرب ؟ وممن سيهرب ؟. هل يهرب من ناهدة ، وحبها في دمه ، وطيفها في خاطره ، واسمها ابدا على شفتيه ؟.

ناهدة هي نفسه ، هل يهرب من نفسه ؟.

لا .. لن يهرب ...

السفر : هل يسافر الى خارج لبنان ؟.. وماذا سيفيده السفر ؟.. ان طيف ناهدة سيلحق به الى ما وراء البحار ..

المضي في معالجة سليم الراشد ، حتى يتم له الشفاء:
هل يقدم على هذه المغامرة ؟.. هل يغامر بقلبه ، وبحبه، وبعاطفته ، وبسعادته ؟

لا .. لا .. سليم الراشد لن يشفى . يجب ان يظل مشلولا كسيحا مقعدا ، ليظل الدكتور ماجد زهران قرب زوجة سليم ...

ولكن ؟.. هل يحق للطبيب ان يقعد عن شفاء المريض ؟

اذا احجم الدكتور ماجد زهران عن مد يد المساعدة والشفاء الى سليم الراشد ، فان ضميره سيعذبه مدى الحياة .

لا يحق له اذن ان ينقطع عن معالجة سليم الراشد. يجب ان يتم الشفاء لزوج ناهدة .

سليم الراشد يجب ان ينهض من السرير ..

اجل ، يجب ان يشفى سليم . وليفعل الله بقلب الدكتور ماجد زهران ، وبقلب ناهدة ما يريد .

فلتكن مباركة مقدسة ارادة الرب .

ونهض ماجد عن تلك الصخرة الناتئة وسار .

سار الى سيارته بقدمين واهيتين مضطربتين مرتجفتين .

وكان الظلام قد غمر بيروت باجنحته السوداء ،

والمصابيح الكهربائية المنتشرة على جانبي الطريق تلقي انوارها الساطعة ، فتحول ظلام الليل ضياء وسناء ، الا انها لم تكن تستطيع ان تنير قلب الدكتور ماجد زهران المظلم ، الدامع ، الحزين .

واطلق ماجد لسيارته العنان . فانطلقت به على غير هدى ..

ورأى السيارة تقف به امام داره ، فترجل منها . ودخل الى الدار لينزع عنه ثيابه ، ويرتدي ثياب النوم . ويستلقي في السرير محاولا النوم .

الا ان النوم لم يعرف طريقا الى عينيه طيلة ذلك الليل البهيم .

وما ان بدأت انوار الفجر تتسرب الى غرفته ، عبر النافذة ، حتى وثب من السرير هامسا في سره : ما كان اطول هذا الليل !.

اجل ، ما اطول الليل على قلوب العشاق الهائمين ، المتيمين ، المعذبين .

وخرج ماجد من غرفته الى الشرفة ليجلس على المقعد الرجراج الوثير يدخن ويفكر .

ولم تلبث ان نهضت الخادمة ..

ودهشت وهي تشاهد سيدها الطبيب جالسا على الشرفة في مثل تلك الساعة المبكرة من الصباح .

ووثبت اليه تحييه وتقول : ما بك يا سيدي ؟ الـم تنم ليلة امس ؟..

ولم يجبها على سؤالها بل اكتفى بقوله : الي بفنجان قهوة .

واسرعت الخادمة الى تلبية طلب سيدها .

وحملت له القهوة . ثم انصرفت الى تهيئة طعـام الصباح ، وقد ادركت ان سيدها سيبكر في الخروج من الدار ..

وصح ما توقعت ، فما ان انتهت من اعداد مائـدة الطعام ، حتى كان ماجد قد ارتدى ثيابه ، وهم بالخروج من الدار ..

واسرعت اليه لتقول : الطعام جاهز يا سيدي .

ودون ان يلتفت اليها اجاب : لن اتناول الطعام ..

قال هذا ، واسرع بالخروج من الدار ، ليستقـل السيارة ويطلق لها العنان دون ان يعلم الى اين يريـد الذهاب .

وطارت به السيارة تطوف شوارع بيروت ..

وكان العمال والموظفون قد بدأوا يرتادون الشوارع في طريقهم الى اعمالهم . والحركة بدأت تدب في بيروت، وسيارة الدكتور ماجد زهران تطوف الشوارع والاحيـاء على غير هدى ..

وفجأة رأى ماجد نفسه امام دار سليم الراشد .

واوقف السيارة ، وترجل منهـا ليرمق الساعـة المشدودة الى معصمه بنظرة سريعة ...

وكانت الساعة تشير الى الثامنة من الصباح فدخـل الى حديقة دار سليم .. واتجه نحو باب الدار . واذا بصوت شجي يتكسر في اذنيه : ماجد !. ماجـد !.. تعال ..

والتفت الى مصدر الصوت ، ليجد ناهدة جالسـة على المقعد الخشبي تحت اغصان تلك الشجرة الوارفـة الظلال ..

وارتعش ماجد واضطرب وهو يشاهد ناهدة فـي جلستها الحائرة تحت تلك الشجرة الوارفة الظلال ..

وكانت ناهدة جالسة باسترخاء ، وقد رفعت رأسها وألقته الى الوراء لتسنده الى اعلى المقعد ، وهي تحدق في الفضاء الواسع الرحيب ..

واقترب منها هامسا : صباح الخير يا ناهدة ...

وظلت ناهدة تحدق في الفضاء وهمست : صبـاح الخير يا ماجد .

وعاد الى الاقتراب منها ليقول : لماذا ابكرت فـي النهوض من النوم يا ناهدة ؟

وهمست ناهدة ، وهي لا تنفك تنظر الى الفضاء :

اتسألني يا ماجد لماذا ابكرت في النهوض من النوم ؟ انا لم انم يا ماجد ، لم اذق لذة النوم طيلة هذا الليـــل البهيم .. هنا . على هذا المقعد ، قضيت ليلتي يا ماجد .

ووجم ماجد .

وامسك بيدها فاذا بها باردة كالثلج .

وهمس : ناهدة !.. كفى يا ناهدة . كفى تعذيني وتعذبي نفسك . لماذا لم تنامي ؟.. لماذا لم ترقدي فـي سريرك ؟ لماذا لم تستسلمي لسلطان الكرى ؟.

ودون ان ترفع ناهدة نظرها عن الفضاء همست : اتسألني مثل هذه الاسئلة يا ماجد ؟. سل نفسك . لماذا لم تنم انت طيلة الليل ؟..

فدهش ماجد .

كيف علمت ناهدة انه لم ينم ؟.

من قال لها انه لم يستسلم للرقاد ؟..

وكأن ناهدة علمت ما يجول في خاطـره فهمست : لقد رأيتك يا ماجد . رأيتك وانت تتقلب في سريــرك وتفكر وتتألم وتبكي . رأيتك تتعذب طيلة الليل . لقـد سهرت معك ، ودخلت الى اعمق اعماق قلبك . ان ارواح المحبين تلتقي دائما عبر المسافات البعيدة . ليس ثمـــة مسافة ، مهما بعدت ونأت ، تستطيع ان تقف دون لقــاء الارواح .. لقد اقمت هنا ارقب حضورك يا ماجد ، لانني

كنت اعلم انك ستلبي النداء . كنت على يقين من انـك ستحضر الى هنا. فأقمت ارقب حضورك على شوق وحنان ونـار .

وجلس ماجد قرب حبيبته ناهدة .

وراح يحدق في وجهها ..

وهاله ما رأى في ذلك الوجه الفاتن الجميل .

كان الاصفرار يعلو الجبـين ، والدموع تغمـر الاهداب ، والذبول يحتل الوجنتين ، والارتعاش يصبغ الشفتين بلونه الواهي الاليم ..

وكانت يداها ترتجفان ، وهي تنتفض كأنها عصفـور ذبيح بللته حبات ندى الصباح .

وساد الصمت برهة بينهما ، فلا ناهدة نبست بحرف، ولا ماجد .

وراح كل منهما يحدق بالافق البعيد من خـلال دموعه وهو يفكر .

والتقى الفكران ، فكر ناهدة وفكر ماجد ، عند نقطة واحدة .

كان ماجد يفكر بمصير حبهما المجهول .

وكانت ناهدة ايضا تفكر بمصير ذلك الحب الغامض، الموجع ، الاليم .

وطال تفكيرهما .

وطال صمتهما .

وكانت العيون الاربع تنظر الى الافق البعيد ، كأنها تحاول خرق حجب الغيب ، والوقوف على ذلك المصير المجهول القرار ..

واخيرا ، وبعد صمت طويل ، شدت اصابع ماجد اصابع ناهدة وهمس : ناهدة . لقد اشرفت المأساة على النهاية . يجب ان نقابل هذه النهاية بشجاعة يا ناهدة . لقد كتب الله اسمينا على هذه الارض في لائحة التعساء، ونحن لا نستطيع ان نمحو ما كتبت يد الله ... من يدري يا ناهدة ، قد يكون الله عز وجل كتب اسمينا في لائحة السعداء ، في العالم الاخر . ليس لنا ان نعترض على حكم الله القوي القدير ، وهو ادرى منا بما يفيد ارواحنا ويسعدها .

فانتفضت ناهدة واجمة ، وهمست بخوف وذعر ماذا تريد ان تقول يا ماجد ؟.. ماذا تريد ان تقول ؟..

قال : اريد ان اقول انه قد حان لنا ان نضع حدا لهذه المأساة . علينا ان نضع بيدنا الخاتمة . انا قررت يا ناهدة . لقد اتخذت قراري ، ولن اتراجع عنه .

فتمتمت ، وهي تمسح دموعها بمنديلها الناصع البياض : ما هو هذا القرار الذي اتخذته يا ماجد ؟..

قال : زوجك سيشفى . وماجد سيبتعد عن طريقك.

فاحتضنت يداها يده الباردة المرتجفة وهمست : لا يا ماجد •• لا •• لا تكن مجنونا • لا تصرع قلبي وقلبك يا ماجد • دعنا نعيش في هذه السعادة التي وهبنا اياها الله • دعني اراك كل يوم ، واسمع صوتك كل يوم ، وانظر الى الحياة الباسمة في عينيك •• لا تتركني يا ماجد • لا تبتعد عني يا ماجد •• رحماك ••• رحماك••• رحماك • انني لأتوسل اليك •

وعادت الدموع تتدحرج على خديها بغزارة •

وخنقتها العبرات فتكسرت الكلمات على شفتيها النديتين •

وهمس ماجد ، بألم ، ولوعة ، وشجن : ناهدة • يجب ان تتذكري انك زوجة ، وان الواجب يدعوك الى الاخلاص لزوجك ، بكل ما في كلمة الاخلاص من معنى بعيد عميق •

قالت : انا اعرف انني زوجة يا ماجد • ويشهد الله انني لم اخن الامانة الزوجية • ولن اخون هذه الامانة ما دمت على قيد الحياة • كل ما اطلب من الحياة هو ان تبقيك قربي لا لأخون زوجي ، بل لأراك فقط يا ماجد• انا لا اريد منك سوى نظرة • نظرة فقط • اريد ان امتع عيني بمرآك ، اريد ان اشاهدك فقط يا ماجد • اتحرمني

الحياة حتى من هذه النظرة التي احلم بها .

قال ماجد : ناهدة !.. ان الخيانة الزوجية تبـــدأ بالنظرة . ان بقائي قربك خيانة . انت ستخونين زوجك، وانا سأخون مهنتي المقدسة المشرفة . هـــذا هو اول الطريق يا ناهدة .. وسينتهي بنا هذا الطريق الى الخيانة. فلنتوقف عن المسير في اول الطريق . ان هذا الطريـــق شائك موحل تحف به الاشواك ، والوحول ، والصخور من كل جانب . في كل منعطف من هذا الطريق وهـــدة عميقة الغور ، وعند كل شفير، واد سحيق يتأهب لابتلاعنا. التوقف عن المسير في اول الطريق خير منـــه في اخره . الرجوع الان افضل وأيسر منه غدا .

قالت ، واصابعها متشابكة بأصابعه : ماجد !.. قلت لك واعيد القول ، انا لا اطمع منك بسوى نظرة . هذا كل ما اريد منك يا ماجد . ها قد مضت على لقائنا ايام طويلة ، واسابيع عديدة ، لم تحاول خلالها ان تضمنـــي الى صدرك ، ولم احاول انا ان اطبع قبلـــة على خدك . خلال هذه المدة لم تلفظ شفتاي في مسمعك كلمـــــة «حبيبي» ، ولم تنطق شفتـــاك في مسمعي كلمـــــة «حبيبتي» . انت تعرف انني مقيدة بسلاســـل الزواج الثقيلة ، وانه لا يحق لي ان اهب الكلمة والقبلة الى سوى زوجي ، وانا اعلم ذلك ، واعرف حدودي فأقف عندها .

انت وانا نخاف الله ، ونحترم وصاياه ، ونعرف حدودنا ، ونقدر مسؤولياتنا ، ولن نكبو يا ماجد ، لا ... لـــن تندفع في طريق الخيانة المظلم ، الشائك ، الرهيب .

قال ، وهو لا ينفك ينظر الى الافق البعيد : مـــاذا تطلبين مني يا ناهدة الان ؟

قالت : كل ما اطلب هو ان تظل قربي .

قال : كي استطيع ان اظل قربك ، يجب ان يظـــل زوجك مشلولا . يجب ان يظل سليم الراشد طريــــح الفراش .

قالت : اجل هذا كل ما اطلب منك .

قال : ولكن زوجك سائر في طريق الشفاء .

قالت : سليم لن يشفى ، اذا لم تمد له يد المعونـــة والاسعاف .

قال : أتريدين مني ان اتقاعس عن القيام بالواجـــب المقدس المفروض ؟ اتطلبين من الطبيب ان يقعد عن معالجة المريض ؟ لا يا ناهدة لا ... هذه جريمة . وانا لن اكون مجرما . لن اخون واجبي .

قالت : انت لست مسؤولا عما حل بزوجي . ما لك الا ان تتوقف عن معالجته .

فعاد الى التفكير ، ينغمس فيه على قلق ، وحيرة ، واضطراب .

وعاد الصمت يلفهما بوشاحه القاتم البارد الكئيب.

وكان الدكتور ماجد زهران في حيرة مقلقة رهيبة .

كانت افكاره تهب في رأسه كهبوب العاصفة العاتية الهوجاء .

كان ماجد في حرب طاحنة ساحقة ضروس بين قلبه وعقلـــه ..

قلبه يدعوه الى الانقطاع عن معالجة سليم الراشد ، ليظل سليم مشلولا ، ويظل هو قرب حبيبته ناهدة .

وعقله يهيب به الى المضـــي في معالجة الرجـــل المشلول ، والى القيام بالواجب المقدس المفروض .

ويله اذا ابتعد عن ناهدة ، والف ويل له اذا خـــان واجبـــه .

ماذا عليه ان يفعل ؟.

ليس يدري ...

وطال تفكير الدكتور ماجد زهران، وهو جالس قرب حبيبته ناهدة في الحديقة الغناء .

كانت ناهدة جالسة قربه تبكي بصمت واسى .

وكانت تنظر الى عينيه من خلال دموعها لتقرأ فيهما الهلع ، والحيرة ، والالم ، والعذاب ، فتزداد دموعهـــا انحدارا على وجنتيها .

ولم تكن ناهدة تريد ان تقطع على حبيبها ماجـــد حبل تفكيره ، وهي تعلم انه يفكر بمصيرها ، بمصيرهـــا

وبمصيره ، بمصير قلبها وبمصير قلبه ، بمصير حبهما المقدس الطاهر الشريف .

وكانت ناهدة تعلم ان ماجدا يقف امام محكمة ضميره ، وان الحكم سيصدر خلال دقائق قليلة . لذلك فقد اخذ قلبها ينبض بسرعة واندفاع ، تماما كما ينبض قلب المجرم الجاني ، وهو واقف في ساحة القضاء ، بانتظار صدور الحكم عليه .

ماذا سيكون الحكم ؟.

هل يحكم عليهما بالفراق الابدي ؟.

ام ترى يحكم عليهما بالعيش معا مدى الحياة ؟..

وكانت ناهدة تأمل ان يكون الحكم في صالحها ، في صالحها وفي صالح ماجد ايضا ..

كانت تأمل ان ينزل ماجد عند طلبها ، وينقطع عن معالجة زوجها ، فيظل سليم مقعدا مشلولا ، وتظل هي قرب حبيب القلب والروح .

واقامت ناهدة ترقب صدور الحكم على قلبها بفارغ صبر ، اقامت ترقب من ماجد ان يتكلم ، ان ينبس بحرف، الا ان انتظارها طال دون ان تسمع من ماجد كلمة واحدة..

وكانت الشمس قد بدأت تبزغ من وراء الجبال العالية الخضراء لتسكب ذوبها الذهبي اللامع على بيروت .

وكانت خيوط الشمس الذهبية الصفراء قد بدأت تتسرب من خلال اغصان الاشجار واوراقها لتنسج للحبيبين ثوبا ذهبيا موشحا بظلال اوراق الاشجار ٠

ونهض ماجد ، نهض دون ان ينبس بحرف ٠

ورمق ماجد ناهدة بنظرة فيها كل معانـــي الحب والشوق والالم والحنين ٠ وسار ٠٠٠ سار بخطـــوات متئدة واهية نحو باب الدار ٠٠

وظلت ناهدة جالسة على المقعد الخشبي ، تشيعـه بنظرة حالمة ، من خلال دموعها المترقرقة في مقلتيها ٠٠

ودخل ماجد الى دار سليم الراشد ٠ فاقبلت الخادمة ترحب به ٠

وسألها : هل استفاق السيد سليم من نومه ؟

واجابت : اجل يا سيدي ، لقد استفاق ٠ وهو يطالع صحف الصباح ٠

وتابع الدكتور ماجد زهران سيره نحو غرفة سليـم الراشد ٠

وكان سليم جالسا في سريره يطالع الصحف ٠ فدهش لحضور الدكتور ماجد زهران في مثل تلك الساعة المبكرة من الصباح ٠٠

ورحب به شديد الترحيب : اهلا ٠٠٠ اهلا بالصديق العزيز ، والاخ المخلص الوفي ٠ اهلا بالطبيب اللامـــع

الغيور • لماذا تتعب نفسك وتحضر الي في مثل هـــذه الساعة المبكرة من الصباح يا دكتور ؟

ونزلت كلمات سليم الراشد كالحراب المسنونة فـــي صدر الدكتور ماجد زهران • سليم الراشد يدعـــوه بالصديق العزيز ، والاخ المخلص الوفي ، في حين يفكـــر هو بالانقطاع عن معالجته ليسلبه زوجته • يا له من مجرم جبان شرير ••

وهمس ماجد ، وهو يجلس على المقعد الرجـراج الوثير قرب سرير سليم : لدي اشغال كثيرة ومهمة اليوم، وانا لن استطيع ان احضر اليك اثناء النهار ، لذلك فقـد عمدت الى الحضور اليك توا من الدار ، قبل ان اذهب الى العيادة • قلت في نفسي سأمر بالسيد سليم ، فاتناول قهوة الصباح واياه ، وازف اليه البشرى السعيدة •

فلمعت الفرحة في عيني سليم الراشد ، والدكتــور ماجد زهران يتحدث عن البشرى السعيدة •

وهل هناك من بشرى سعيدةغير بشرى قرب شفائه؟•

والتفت سليم الى الدكتور ماجد ليقول : ما هـــي هذه البشرى السعيدة يا دكتور ؟•• هل استطيع ان اعلم ما هي هذه البشرى التي ستزفها الي في هذا الصباح ؟••

وامسك ماجد بيد سليم الراشد ليقول : اسمع ايها السيد سليم ، كنت قد قلت لك ، يوم بدأت بمعالجتك ،

انني ساجري لك عملية جراحية ، تنهض بعدها من السرير سليما معافى • وقلت يومذاك ، انني ساضطر لاخذ صورة للكسر ، قبل ان اجري العملية الجراحية ، لأتأكد من ان العظم اصبح قادرا على احتمال الجراحة• أتذكر ؟••

قال سليم : اجل اذكر يا سيدي ، وانا ما زلت انتظر ذلك اليوم ، يوم اجراء الجراحة بفارغ صبر • فمتى ، متى يطل ذلك اليوم واصبح قادرا علي النهوض من هذا السرير ؟••

قال ماجد : غدا سنصور الكسر ، فاذا ثبت لنا ان العظم صالح للجراحة ، اجرينا العملية لك بعد يومين •

فسطع الفرح في عيني سليم الراشد ، وهمس : وهل يخيل اليك ان العظم بات صالحا للجراحة يا دكتور ؟••

قال ماجد : هذا ما يخيل الي • ولكنني اريد ان اتأكد من ذلك • على كل فان الصورة وحدها هي التي تستطيع ان تؤكد لنا ذلك •

ونادى سليم الراشد الخادمة اليه ليقول : هل استفاقت سيدتك ؟••

مسكين • هو يسأل اذا كانت ناهدة قد استفاقت من نومها ••

وهل نامت ناهدة طيلة ذلك الليل كي تستفيق ؟••

واجابت الخادمة : اجل يا سيدي . لقد استفاقت ودلفت الى الحديقة .

قال : فلتحضر الى هنا .. لتتناول القهوة معنا . واسرعي بتهيئة القهوة يا سليمة .

وخرجت الخادمة من الغرفة . وشخصت الى الحديقة باحثة عن سيدتها .

وكانت ناهدة لا تزال جالسة على المقعد الخشبي ، تحت اغصان الشجرة الوارفة ، غارقة في دموعها والامها وعذابها . فتقدمت الخادمة منها لتقول : ان سيدي يدعوك لتناول القهوة معه ، ومع الدكتور زهران ، يا سيدتي .

ودون ان تلتفت ناهدة الى الخادمة همست : انني قادمة ..

وعادت الخادمة ادراجها .

ونهضت ناهدة لتسير بخطوات متئدة واهية وتدخل الى الدار ، فتشخص الى غرفتها لترش القليل من الابيض على وجهها كي تخفي آثار الدموع ، ثم تتجه الى غرفة زوجها .

وبادرها زوجها بقوله : ناهدة !.. تعالي يا حبيبتي !.. تعالي اسمعي ماذا يقول الدكتور ماجد . انه ليحمل إلينا البشرى السارة المفرحة ..

ووجمت ناهدة . ماذا يقول زوجها ؟.. وما هي

هذه البشرى السارة المفرحة ؟.. ايكون ماجد قد اصدر الحكم الظالم الرهيب ؟..

وتابع سليم الراشد كلامه قال : غدا ستؤخذ صورة لكسر عظمي ، فاذا كان العظم قادرا على تحمل الجراحة، ستجري العملية بعد يومين ، وينهض زوجك من السرير ، ويصبح قادرا على المسير .

وتحول الوجوم في عيني ناهدة الى ذعر ، ورمقت ماجدا بنظرة الم ، وأسى ، وعذاب ، وعتاب . ثم حولت نظرها الى زوجها لتقول بفرح مزيف : صحيح ؟.. صحيح يا سليم ؟..

وهمس سليم : الا تصدقين ؟.. سلي الدكتور ماجداً ؟..

والتفتت الى ماجد لتقول : صحيح يا دكتور ؟..

وهمس ماجد : اجل . صحيح يا سيدتي .

وكانت الخادمة قد اقبلت حاملة القهوة .

فجلسوا يرشفون القهوة ويتحدثون . وبدا من ماجد انه ساهم حائر شارد الذهن ، ولم تكن حال ناهدة لتختلف عن حال ماجد .

كانت ناهدة تائهة النظرات ، قلقة الخاطر ، دامعة العين .

اما سليم الراشد فكان على فرحة طلقة هانئة

سمحاء ...

وراح سليم الراشد يمازح زوجته والدكتور ماجداً ويتحدث اليهما ، أحاديث شتى ..

وانتهوا من رشف القهوة . فنهض ماجد يودع سليما ويقول : في الساعة الثامنة من صباح غد سأرسل لـــك سيارة المستشفى لتنقلك .. ستؤخذ الصورة . فاذا كان بالامكان اجراء العملية تظل في المستشفى ، والا فانـك تعود الى الدار لنواصل العلاج .

قال سليم : وسأكون في انتظار السيارة منذ مطلع الفجـــر .

وودع ماجد سليما ثم ودع ناهدة وسار ..

ولحقت به ناهدة ...

وهمست ، وهي تسير قربه الى الباب : ماجد !. فكر مليا بالامر قبل ان تتخذ اي قرار .

قال ، وهو يسير قربها : سنصـــــور الان العظم ، وسنرى ماذا سيكون ..

وكانا قد وصلا الى الباب . فمدت ناهدة يدهـــا الباردة المرتجفة تصافح ماجدا هامسة : الى اللقاء يـــا ماجد ؟..

وهمس ماجد ، ويده تشد يد ناهدة : الى اللقاء يـا ناهدة .

وتعانقت اليدان المرتجفتان •

وشدت الاصابع الى بعض ••

وسلخ ماجد يده عن يد ناهدة ، واسرع الى سيارته ليستقلها ويطلق لها العنان الى العيادة ••

وكان في العيادة عدد من المرضى • فانصرف الى معالجتهم ، وهو تائه الفكر ، شارد الذهن ، مضطرب الخاطر ••

وعندما انتهى من معالجة مرضاه في العيادة ، شخص الى المستشفى ليواصل معالجة مرضاه ، وهو بحاجة الى المعالجة اكثر من اولئك المرضى ••

وفي المستشفى طلب ماجد من المدير ان يرسل السيارة الخاصة بنقل المرضى الى سليم الراشد •

قال : ارجو ان ترسلوا سيارة المستشفى الى سليم الراشد في الساعة الثامنة من صباح غد • سليم الراشد رجل مشلول لا يستطيع المسير • داره في محلة رأس بيروت ، قرب المناره • اريد ان تؤخذ صورة للعامود الفقري المحطم • سأكون انا هنا في الساعة التاسعة ، لأشرف بنفسي على التصوير •

وقال المدير : سننفذ اوامرك يا دكتور •

وخرج ماجد من المستشفى ، ليعود الى داره ، وهو في حال قلق ، ورعشة ، وحيرة ، واضطراب ••

ووصل الى الدار ودخل الى غرفته ليستلقي علـى السرير ، وينصرف الى التدخين ، والى التفكير .

وكانت كلمات ناهدة الاخيرة لا تزال ترن في اذنيه:

«ماجد .. فكر مليا بالامر قبل ان تتخذ اي قرار ..»

وفكر .. وامعن في التفكير ، الا انه لم يستطع ان يجد قبسا من نور يستضيء به . كانت افكاره تدور في دوامة سوداء بلون الليل .

كل ما هناك يلح عليـه بضرورة القيـــام بالواجب المفروض .

وكان ضميره يصرخ به : يجب ان تقوم بواجبك ايها الطبيب ...»

فيرد قلبه على صوت الضمير : وناهدة ؟. وانا ؟.. وقلبي ؟.. وقلبها ؟.. وحبنا الخالد المقدس الطهور ؟..

ويصرخ صوت الضمير في اعمق اعماق نفسه : هل نسيت القسم الذي اقسمته يوم فزت ببراءة الطب ؟..

والقى الدكتور ماجد زهران برأســـه بين يديه ، وانغمس في عذاب رهيب ، قوي ، أليم .

الفصل الثاني عشر

بدأ الليل يزحف على بيروت بجحافلـــه السوداء ، وماجد زهران جالس في غرفته يفكر ، ويتعذب ، ويتألم..

ودعته الخادمة مرارا عديدة لتناول الطعام ، الا انه كان في كل مرة يصرخ بها : لا اريد ان اتناول الطعام. اليك عني .

وتعود الخادمة الى عملها ، والاسف يستبد بها على مصير سيدها الكريم ..

واستلقى ماجد على السرير ، وراح يفكر : غـــدا سيصور عظم سليم الراشد الكسير ، فاذا اتضـــح له ان سليما قادر على احتمال العملية ، سيجـري له العملية ، ويعمل جاهدا على شفائه . يشفي سليما ليقع هو فريسة الالم والعذاب ..

واذا لم يكن عظم سليم قادرا على احتمال الجراحة؟. عندئذ تكون المعضلة قد حلت ويستطيع الدكتــور

ماجد زهران ان يظل قرب حبيبته ناهدة ، ويظل سليم الراشد كسيحا مشلولا ، وينعم ماجد براحة الضمير .

لقد حاول جاهدا انقاذ سليم الراشد من الشلل فاخفق ، فهو ليس مسؤولا اذن عن بقاء زوج ناهدة في السرير ..

وتمنى ماجد في اعمق اعماقه ان تظهر صورة عظم سليم الراشد سلبية . فيعلن ان العظم ما زال عاجزا عن احتمال الجراحة ، ويعود سليم الراشد الى داره ، ليستقر في سريره مجددا ..

هذا ما تمناه الدكتور ماجد زهران .

وهذا ما تمنته ناهدة ايضا ..

واقامت ناهدة ، ترقب صباح اليوم التالي بفارغ صبر . فهي تريد ان تعلم ماذا سيقول الطب في زوجها. اتراه يعلن قرب شفائه ام انه «يبشرها» بان الامل مفقود من الشفاء ؟

وكما سهر الدكتور ماجد زهران في سريره على الم ، وقلق ، وحيرة ، واضطراب ، هكذا سهرت ناهدة في سريرها ..

وفي صباح اليوم التالي ، في ساعة مبكرة من الصباح ، اقبلت سيارة المستشفى لتقل سليما الى المستشفى .

واسرعت ناهدة الى زوجها تساعده على ارتداء ثيابه وغسل وجهه ..

ونقله الممرضون على الحمالة الى السيارة .

وطارت به السيارة الى المستشفى ..

واسرعت ناهدة الى ثيابها ترتديها على عجل ، وتلحق بزوجها الى المستشفى ، والحيرة والقلق يستبدان بفؤادها الهائم ، الولوع .

ووصلت الى المستشفى لتجد الدكتور ماجد زهران قد سبقها في الوصول الى ذلك المستشفى الفسيح الارجاء ..

وشاهدته يرتدي الثوب الابيض وهو مقطب الحاجبين ، مكفهر الجبين . فاقتربت منه تحييه هامسة : صباح الخير يا دكتور .

وهمس ماجد : صباح الخير يا سيدتي .

قال ماجد هذه الكلمات القليلة ، واسرع بالهرب .

وجلست ناهدة في صالون المستشفى تدخن وتنتظر..

وفي غرفة التصوير كان زوجها ممددا تحت الاشعة والاطباء ينصرفون الى تصوير عظمه .

وطال انتظارها . منذ الساعة الثامنة من الصباح حتى الساعة العاشرة .

وفتح باب الغرفة ...

وشاهدت ناهدة زوجها منقولا على الحمالة الـــى غرفته من المستشفى • فوقفت ، واقتربت منه مبتسمة له••

وابتسم سليم الراشد ، وهو يشاهد زوجته • وبدا الارتياح واضحا على وجهه • فكأن مشاهدة زوجتـــه بعثت في قلبه الشجاعة ، والجرأة ، والايمان •

ولحقت ناهدة بزوجها الى الغرفة الناصعة البياض •

ونقل الممرضون والممرضات سليما من النقالة الـــى السرير • واقتربت ناهدة منه هامسة : ارجو لك الشفـــاء العاجل يا سليم •

وامسك سليم بيدها يشدها هامسا : المهم لدي هو ان تظلي قربي ، واظل قربك يا ناهدة • لا فرق لـــدي شفيت ، ام لم اشف !••

واغرورقت عيناها بالدموع ، واشاحت بوجهها عن زوجها لئلا يشاهد دموعها •

وعجبت من نفسها • لماذا تبكي في مثل تلك الساعة؟

صحيح • لماذا تبكي ، وليس ثمة ما يدعو الى سكب الدموع ؟••

وتردد السؤال في خاطرها دون ان تستطيـــع الجواب عليه •

وجهلت ناهدة انها كانت تبكي خطيئتها ، جهلت انها كانت تبكي كذبها ونفاقها • فهي تتمنى ، فـــي شفتيها ،

الشفاء لزوجها ، وتتمنى له دوام الشلل في قلبها •

وخرجت من الغرفة لتمسح دموعها ثم تنصرف الى البحث عن الدكتور ماجد زهران ••

واهتدت اليه ، لقد ارشدتها احدى الممرضات اليه ، قالت الممرضة : انه هناك في جناح الدرجة الاولى يعالج مرضاه يا سيدتي •

وشخصت ناهدة الى هناك • الى جناح الدرجة الاولى • وشاهدته ••

لقد شاهدت ماجدا في ثوبه الناصع البياض• ووقفت امام الباب تنتظره •

وانتهى الدكتور زهران من معالجة مرضاه ، وخرج ليفاجأ بناهدة واقفة امام الباب ••

واقتربت منه هامسة : ماذا يا دكتور ؟•• ماذا كانت النتيجة ؟••

وابتسم ماجد ابتسامة واهية صفراء ، كاصفرار اوراق الاشجار في فصل الخريف العليل ، وهمس : لن تظهر النتيجة قبل صباح غد يا سيدتي •

فاقتربت منه هامسة بتوسل واستعطاف ورجاء : ماجد !•• اريد ان اتحدث اليك •• لي معك حديث طويل • تعال معي •• تعال ••

قال : لقد تحدثنا كثيرا يا ناهدة • تكلمنا كل ما

نريد . لم يعد لدينا ما نقول .

قالت : انني ادعوك لتناول طعام الغداء . الساعة الان تشير الى الظهر . تعال . تعال معي يا ماجد ، لنتناول طعام الغداء معا ، ونتحدث مليا .

وهمس ماجد : لا بأس يا ناهدة . سنتناول طعام الغداء معا اليوم . من يدري ؟ قد يكون هذا الغداء اخر غداء نتناوله معا . انا سادعوك الى تناول طعام الغداء . تعالي معي .

قال ماجد هذا ، وسار قرب ناهدة في الممر الطويل الى غرفته في المستشفى .

ووقف امام باب الغرفة ليقول : سانزع هذا الثوب الابيض عني ، واعود اليك .

قالت : وانا ساشخص الى غرفة سليم لأودعه قبل ان اذهب .

واسرعت ناهدة الى غرفة زوجها لتقول له : انا ذاهبة الان يا سليم لاتناول طعام الغداء . ساعود اليك بعد الظهر .

قال سليم الراشد : مع السلامة يا حبيبتي . ارجو ان اتمكن قريبا من ان اتناول طعام الغداء معك يا ناهدة .

فهمست ، والغصة تخنقها : ان شاء الله ... ان شاء الله ...

واسرعت بالخروج من الغرفة لتشخص الى ماجد ، وتسير واياه الى ساحة المستشفى .

وهناك استقلا معا سيارة ماجد ..

وجلس ماجد الى مقود سيارته ليطلق لها العنان في الطريق الى محلة الروشة .

ووصلت بهما السيارة الى محلة الروشة ، فترجلا منها ليدخلا الى مطعم فخم انيق ، من تلك المطاعم الرائعة التي تجثم على شاطىء البحر بكل سلام ، وهناء ، واطمئنان ..

وجلسا وراء طاولة انيقة . واقبل الخـادم ينحني امامهما هامسا : بماذا يأمر سيدي ؟ وبماذا تأمر سيدتي ؟..

وامر ماجد .. وامرت ناهدة ..

وجاءهما الخادم بالطعام . الا انهما لم يمدا الى الطعام يدا ، بل راحا يحدقان بامواج البحر ، المتواثبة نحو الصخور لتتحطم فوقها ، وتندثر عند اقدامها ..

وطال صمتهما ..

وطال تحديقهما بالامواج ..

واخيرا ، وبعد صمت طويل استفاق الدكتور ماجد زهران من ذهوله وشروده ، والتفت الى حبيبته ليقول : ناهدة !.. يجب ان تتناول الطعام . نحن هنا في مطعم، ولسنا في الدار . الكل يراقبنا وينظر الينا ..

وامتدت يد ناهدة الى الطعام .. وامتدت يد ماجد

ايضا ..

وهمست ناهدة وهي تتناول الطعام : ماذا ستفعل يا ماجد ؟.. على ماذا عزمت ؟.. هل ستشفي سليما ؟..

وهمس ماجد : اسمعي يا ناهدة . انا لا استطيع ان اخون واجبي ، ومهنتي ، وضميري . سأستمر في معالجة زوجك حتى النهاية .

قالت : انت تريد ان تقضي علي . تشفي زوجي ، لتقتلني يا ماجد ؟..

قال : هذا هو نصيبنا من الحياة يا ناهدة . ان الحياة قاسية على قلوب البشر ، انها مرة المذاق ، وعلينا ان نتذوق مرارتها ، دون ان نعترض ، ودون ان نتذمر .

قالت : هل اتخذت قرارك النهائي ؟.. ألم يعد ثمة اي امل لنا في البقاء معا ؟..

قال : هناك امل واحد يا ناهدة .

فلمعت الفرحة من خلال الدموع في عينيها ، وهمست: ما هو هذا الامل يا ماجد ؟

قال: اذا ظهر من تصوير الاشعة ان عظم زوجك لا يحتمل اجراء العملية . في هذه الحال فقط يعود زوجك الى سريره في الدار ، واعود انا الى زيارتك كل يوم .

فصمتت ناهدة .. وانصرفت الى التفكير العميق ، تنغمس فيه على ألم ، وأسى ، وشجن . هناك قبس من أمل

واهٍ ضئيل . ترى هل يسطع هذا القبس ام يخبو ؟.. هل يشفى زوجها ؟. هل يظل مشلولا ؟. ليست تدري .. ليست تدري ..

وطال صمت ناهدة ، وطال تفكيرها ، وهي جالسة قرب حبيبها ماجد في ذلك المطعم المشرف على الامواج الصاخبة المتمردة الهوجاء في محلة الروشة .

وكان ماجد ايضا منصرفا الى التفكير ، وهو يحدق بالامواج المتواثبة نحو الصخور الناتئة السوداء ..

واخيرا .. وبعد صمت طويل ، التفتت ناهدة الى ماجد لتقول : ما بك يا ماجد ؟ ..بماذا تفكر ؟..

قال : انني لأفكر بما تفكرين يا ناهدة ، ان تفكيري وتفكيرك يلتقيان عند نقطة واحدة ، عند محطة واحدة، عند فكرة واحدة .

قالت : أجل يا ماجد، اجل . ان الارواح الهائمة في عالم الشوق والهوى والحنين تلتقي دائما عبر الخيال عند فكرة واحدة . انت تفكر بمصيرنا وانا افكر بهذا المصير، انت تفكر بهذه المأساة الرهيبة المروعة التي نقوم ، انا وانت ، بتمثيلها ، وانا كذلك افكر بهذه المأساة . انا وانت نفكر بالنهاية يا ماجد ، اننا لنفكر بالخاتمة ، كيف ستكون النهاية ؟.. كيف ستكون الخاتمة ؟.. لسنا ندري .

وهمس ماجد ، وهو لا ينفك يحدق بالامواج :

«ناهدة!.. انظري الى هذه الامواج الصاخبة المتمردة الهوجاء، انها تزمجر ، وتعربد ، وتندفع الى الشاطىء بشوق ورغبة وحنين ، حتى اذا وصلت الى الهدف ، الى حيث تندفع ، تحطمت فوق الرمال والصخور ، وهكذا حياة الانسان على هذه الارض يا ناهدة . الانسان في هذه الحياة ، في خضم الحياة ، يزمجر ، ويعربد ، ويعمل ، ويتعب ، ويشقى ، ويركض مندفعا نحو الشاطىء، نحو شاطىء الموت ، ويتحطم كما تتحطم هذه الامواج فوق الصخور . كلما رأيتُ الامواج تندفع نحو الشاطىء يا ناهدة ، افكر بالموت . انظري يا ناهدة ! انظري الى هذه الامواج المتواثبة نحو الرمال والصخور ، انها لتحن ابدا الى الشاطىء ، تماما كما يحن الانسان الى الموت .. غدا ، يوم تشاهدين الامواج، ويكون ماجد بعيدا عنك ، اذكريه .. اذكريني يا ناهدة كلما شاهدت الامواج في اندفاعها نحو الشاطىء الشاسع، الفسيح، الرحيب الارجاء».وادمعت العيون الاربع ...

وبدأت الدموع تتدحرج على الخدود .

وعاد الصمت يلفهما باجنحته الباردة الشاحبة السوداء.

واخيرا ، وبعد صمت طويل ، وقف ماجد ليقول : لقد طالت جلستنا يا ناهدة . يجب ان نذهب ..

ونهضت ناهدة دون ان تنبس بحرف .

ونقَّد ماجد الخادم ثمن الطعام ، وخرج مع ناهدة من

ذلك المطعم ، ليدلفا الى السيارة ..

وانطلقت السيارة بهما .. وتمتم الدكتور ماجد زهران وهو يقود السيارة : الى اين تريدين الذهاب الان ؟..

قالت : لا اعلم يا ماجد . لا اعلم . خذني الى حيث تريد ، الى حيث تشاء يا ماجد .

قال : ناهدة !.. ليتني استطيع ان اقودك الى حيث اريد ، ليتني استطيع ان اظل العمر قربك . ليتني استطيع ان احملك واطير بك الى مكان قصي بعيد ، لا يرانا فيه احد ، ولا يعكر علينا صفو حبنا فيه احد .

قالت : امانيك هي نفس اماني يا ماجد ، واحلامك نفس احلامي ، واحلام البشر وامانيهم كالسراب . يركضون وراءها محاولين الحصول عليها . وكلما ركضوا نحوها ، ابتعدت عنهم .

قال : سأقودك الى المستشفى الان يا ناهدة . ان زوجك في انتظارك .

فصمتت .. ولم تهمس بكلمة ..

وانطلقت السيارة بهما الى المستشفى . وهناك في الساحة الكبيرة ترجلت ناهدة من السيارة ، ودخلت الى المستشفى لتشخص توا الى غرفة زوجها .

وعاد الدكتور ماجد زهران والالم يعصف به، والحزن يعصر قلبه ، والدموع تغمر عينيه .

الفصل الثالث عشر

اقام الدكتور ماجد زهران على قلــق ، وحيرة ، واضطراب ، ووجوم • ترى ماذا ستكون النتيجة ؟ ماذا سيظهر في صورة عظم سليم الراشد المكسور ؟••

ايكون العظم صالحا لاجراء العملية ؟•

انه ليتمنى في اعمق اعماق قلبه ان تكون النتيجــة سلبية •

هو يريد ــ كما تريد ناهدة ايضا ــ ان يكون عظم سليم الراشد عاجزا عن احتمال الجراحة ، فيظــل سليم مشلولا ، ويظل هو قرب حبيبته ناهدة •

وراح ماجد ينتظر ظهور النتيجة بفارغ صبر •

وكان عليه ان ينتظر حتى صباح اليوم التالي •••

وانتظر ، لقــد انتظر على ألم ، وقلــق ، ورعشة ، وارتجاف •

ولم ينم طيلة ذلك الليل الطويل ، بل هو سهر الليل

بكامله على شرفة داره يدخن ، ويفكر ، ويرتعش •

وفي الصباح ارتدى ثيابه على عجل ، وشخص الى المستشفى •

واتصل فور وصوله بدائرة تصوير الاشعة طالبا صورة عظم سليم الراشد ••

وجاءه الموظف بالصورة ، فتناولها بيد مرتجفة باردة واهية وراح يحدق بها •

وتجهم ، وهو يحدق بالصورة الشفافة السوداء ، وارتعش ••

وارتجفت اصابعه الممسكة بالصورة وغمرت الدموع عينيه •

لقد خبا الامل في قلبه • لم يعد ثمة اي امل في انقاذ قلبه وقلب ناهدة •

لقد حكم على القلبين بالاعدام •

الصورة تثبت ان عظم سليم الراشد قادر على احتمال الجراحة ••

ونهض ليشعل لفافة ، ثم يشخص الى غرفة سليم الراشد ••

ووصل الى تلك الغرفة البيضاء • ودخل ••

وفوجىء بوجود ناهدة هناك •••

ودهش • كيف وصلت ناهدة الى المستشفى في تلك

الساعة المبكرة من الصباح ؟..

وتقدم الدكتور ماجد زهران من سرير المريض ، دون ان يلتفت الى ناهدة . كان يخشى ان تشاهد ناهدة اثـر الدموع العالقة في مقلتيه ..

وهمس سليم الراشد ، وهو يشاهد الدكتور ماجد زهران مقبلا نحوه : اهلا وسهلا .. اهلا بالطبيب اللامع القدير .. ماذا عندك من الاخبار اليوم ؟.. ماذا ؟.. هل سأعود الى الدار ، ام انني سأنقل الى غرفة الجراحة ؟.. هل اصبح عظمي قادرا على احتمال الجراحة ؟..

وارتسمت على شفتي ماجد ابتسامة واهية كقواه ، باردة كشفتيه المرتجفتين ، صفراء كجبينه ..

ومد يده مصافحا سليم الراشد هامسا : لك تهاني ايها السيد سليم. عظمك يستطيع احتمال الجراحة. سنجري لك العملية غدا . وانني لآمل ان تستطيع النهوض مـن السرير ، بعد اسابيع قليلة .

ولمعت الفرحة في عيني سليم الراشد .

انها فرحة المريض الذي يبشرونه بالشفاء .

فرحة العليل الذي يتأكد من البرء .

فرحة الغريق وقد لاح له زورق النجاة .

وصافح سليم الراشد الدكتور ماجد زهران، ودموع الفرح تترقرق في عينيه .

وهمس ، وهو يشد يد ماجد : شكرا لك يا سيدي الطبيب • انت منقذي • سأكون مدينا لك بالعافية مــدى الحياة •

وهمس ماجد : لا شكر على واجب يا سيدي • انا لم اقم بسوى واجبي المقدس المفروض •

وفي هذه الاثناء ، فيما ماجد يتحــدث الى سليم ، كانت ناهدة ترتجف في مقعدها ، وترتعش ، وتنتفــض ، كأنها ورقة في مهب الرياح العاتية ، العاصفة ، الهوجاء ••

وكانت قد سمعت كل ما دار بين زوجها وحبيبها من حديث ، وتأكدت من ان ماجدا حكم على قلبها ، وعلــى قلبه ، بالشقاء وبالعذاب مدى الحياة •

وبدأت الدموع ترقرق في مقلتيها متأهبة للانحدار على وجنتيها •

وخشيت ان تفضحها دموعهـــا • فنهضت ، وهمت الانصراف ، الا ان زوجها ناداها قائلا : الى اين يـــا هدة ؟•• الى اين يا حبيبتي ؟•• تعالي • تعالي واشكري دكتور ماجد زهران على جميله • انا ساشفى • ساصبح ;را على النهوض من السرير ساتمكن من السير علــى مي • تعالي ••• تعالي ••• يا حبيبتي ••• يا ناهــدة لي •••

وهمست ناهدة ، وهي تسرع بالانصراف : سأعــود

بعد قليل يا سليم . ساعود ..

وخرجت من الغرفة لتشخص الى شرفة المستشفى ، فتلقي بجسدها المضطرب المرتجف الواهي على مقعد خشبي ، وتخفي وجهها براحتيها وتجهش بالبكاء .

وطال جلوسها على ذلك المقعد ، وطال بكاؤها .

كانت ناهدة في حال مؤلمة ، مؤسفة، دامية ، رهيبة.

كانت تسكب الدموع بسخاء واسراف .

فهي تريد ان تفرغ كل ما في عينيها من دموع . الا انها لم تستطع الى ذلك سبيلا. فالدموع لم تكن لتنضب. فكأنها الغيث المنهمر على الارض بدون انقطاع ..

واخيرا ، خشيت ان يلفت نحيبها الانظار اليها ويفضحها ، وهناك الممرضات ، والاطباء ، واهل المرضى، وزوارهم ، يمرون بها ويرمقونها بنظراتهم المتسائلة عن سبب البكاء والنحيب ..

وقد خيل للبعض منهم ان هذه السيدة الحسناء تبكي مصير مريض عزيز على قلبها ، وهو في خطر .

وخيل للبعض الاخر انها امرأة مريض تبكي مصيرها المجهول ..

وخشيت ناهدة الفضيحة ، فنهضت لتدخل الى الحمام ، فتغسل وجهها ، وتسرح شعرها ، ثم تعود الى غرفة زوجها .

ولم تجد الدكتور ماجداً زهران في الغرفة . فخيل اليها انه في مكتبه في المستشفى .

وعادت تهم بالانصراف مجددا ، لتبحث عن ماجد . الا ان زوجها ناداها اليه قائلا : تعالي يا ناهدة... تعالي يا حبيبتي ... لي معك حديث طويل... تعالي... تعالي ...

وعادت ادراجها ...

واقتربت من سرير سليم ، فامسك بيدها هامسا : اجلسي ... اجلسي هنا ... قربي على هذا المقعد يا ناهدة .. اجلسي يا حبيبتي .

وجلست . جلست على مقعد جلدي رجراج قرب السرير ..

وعاد سليم الى الكلام ليقول : اسمعي يا ناهدة يا حبيبتي .. قلت لك انني اريد ان اتحدث اليك .. انا سادلي اليك بحديث مهم . اريدك ان تصغي جيدا الي .

قالت : قل يا سليم . قل ماذا تريد ؟..

قال : انا اعلم كل شيء ... اعلم كل شيء ... كل شيء يا ناهدة... يخيل اليك انني لا اعلم شيئا ؟.. لا.. انت على خطأ . زوجك يعرف كل شيء ، ولا يخفاه شيء..

فارتعشت ناهدةُ، وارتجفت ، واضطربت ..

ماذا يقول سليم ؟ ماذا يعرف ؟.. ماذا يعلم ؟.. ما

هو هذا الشيء الذي يعرفه ؟.. ما هو ؟..

وساد الصمت ارجاء الغرفة . انه صمت بارد حزين كئيب ، اشبه بذلك الصمت الخاشع الذي يسبق العاصفة العاتية الهوجاء .

وكانت ناهدة ترتجف ، كأنها ورقة في مهب الهواء، وهي تفكر بقلق واضطراب . وحاولت الكلام الا انها لم تستطع الى الكلام سبيلا .

فقد خيل اليهـا ان زوجها واقف على علاقتهـا بالدكتور ماجد زهران ، خيل اليها ان سليما يعلم كل مـا بينها وبين ماجد ، لاسيما وهو يعلن لها انه يعلم كـل شيء .. كل شيء ...

وراحت ناهدة تراقب زوجها بطرف خفيّ ، وكـان سليم الراشد هادئا مطمئنا ، لم يكن يظهر عليه اثر القلق والاضطراب ، والارتعاش .

ومرت ثوان قليلة ، خيل لناهدة خلالها انها ساعات طويلة ..

واخيرا ، وبعد صمت قصير ، التفت سليم الراشـد الى زوجته ليقول : اسمعي يا ناهدة . انت ملاك هبط علي من السماء . لقد ضحيت من اجلي بشبابك ، وبحريتك، وبسعادتك .

فازدادت ناهدة يقينا من ان زوجها واقف علـى

سرها .

الا ان سليما بدد يقينها بقوله : لقد اقمت قربي طيلة مدة مرضي ، تعطفين علي ، وتغمرينني بعطفك ، وبحبك ، وبحنانك ، وبعنايتك . ولذلك فقد عزمت على ان ارد لك الجميل .

فارتاحت ناهدة بعض الارتياح ، وزوجها ينفحها بهذه المقدمة .

وتابع سليم كلامه قائلا : لقد سجلت ثروتي بكاملها بأسمك .. انت سترثين بعد موتي كل ما املك ، ليس لأهلي ان يمدوا يدا الى ميراث سليم الراشد بعد موته. ان اوراق التسجيل ، والسجلات ، وقوائم ارصدتي في المصارف ، ودفاتر السندات والجواهر ، والحلى ، ومبلغا كبيرا من المال في الصندوق الحديدي في مكتبي في الدار . خذي يا حبيبتي ، هذا هو مفتاح الصندوق الحديدي .

وبيد مرتجفة مدت ناهدة يدها الى المفتاح تتسلمه من يد زوجها وتهمس : سليم !.. انت رجل شهم نبيل. لماذا اقدمت على هذا العمل يا سليم ؟..

قال : انا على عتبة الابدية الان يا ناهدة . غدا سادخل الى غرفة العمليات ، ومن يدري ، قد لا اخرج من تلك الغرفة حيا . لقد اردت ان ارد لك الجميل قبل

ان ارحل عن هذه الفانية .

فادمعت عيناها ، وقد اكبرت في هذا الرجل النبل ، والمروءة ، والشهامة ، وهمست : ماذا تفيدني الثروة ؟.. وماذا يفيدني المال اذا خسرتك يا سليم ؟..

قال : انت ما زلت صبية حسناء يا ناهدة . اما انا فقد اشرفت على الكهولة . ستستطيعين ان تسعدي في حياتك بهذه الثروة يا حبيبتي .

وكان كلام سليم الراشد كالنار يحرق قلب ناهدة : يا له من رجل شهم نبيل ، ويا لها من امرأة مجرمة . لقد كانت تريد له الموت ، وكان هو يريد لها السعادة .

كانت تريد ان يظل مشلولا وكان هو يريد ان يضمن لها الحياة الهانئة السعيدة .

وشعرت ناهدة بهول جريمتها . وتراخت قواها . فاسترخت على المقعد الجلدي الوثير .. واجهشت بالبكاء .

ودهش سليم الراشد ، وهو يشاهد زوجته الحبيبة في بكائها ونحيبها ، وهمس : ناهدة !.. ما بك يا حبيبتي ؟

ومسحت ناهدة دموعها بمنديلها الوردي. وهمست: لا شيء .. لا شيء .

قال : ولكن لماذا تجهشين بالبكاء ؟..

فعادت الى الصمت تعتصم به علـى الم ، وأسى ، واضطراب . زوجها يسألها : لماذا تبكين ؟.. ماذا ستقول له ؟.. بماذا ستجيبه ؟.. هل تعلن له الحقيقة الناصعـة البياض ؟.. هل تبوح له بسرها العميق الدفين ؟.. هـل تعترف ؟..

لا ... لا ... والف لا . لا يجوز لها ان تعترف بهذا السر الهائل الرهيب الذي يعذبها ، ويؤلم روحها ، ويحرق قلبها ، ويشعل النار في فؤادها ، ويبعث الدمـــع الى عينيها ..

ولكن ضميرها يعذبها . هذا الضمير الشقي اللعـين يلسعها بالسياط . فهل تستطيع ان تحتمل هذا العـذاب الموجع الاليم ؟..

لا ، هي لا تستطيع ان تحتمل عـذاب الضمير ، لا تستطيع ان تحتمل التوبيخ ، والتقريع ، والتأنيب .

ان عذاب الضمير عذاب هائل ، رهيب ، مخيف ، ولعله اروع ، واشد عذاب روحي على هذه الارض ..

وهمت ناهدة بان تعترف .

اجل ، هي ستعترف لزوجها بالحقيقة .

ستطلعه على السر الرهيب .

ستقول له : «انا احب الدكتور ماجد زهران . وهو يحبني ايضا . حاولت انتزاع هذا الحب من قلبي فعجزت،

لانه حب راسخ قوي شديد . لقد احببت ماجدا منذ امد بعيد . كان حبيبي قبل ان اتعرف اليك ... »

وستمضي ناهدة في الاعتراف حتى النهاية . لن تبقي على شيء من هذا السر الرابض على صدرها كالطـــود الثقيل الاشم . ستقول لزوجها : «انا طلبت الى ماجد ان يتوقف عن معالجتك ، لتظل مشلولا مقعدا كسيحا ، واظل انا قربه ويظل هو قربي ، اشاهده ويشاهدني كل يوم دون ان تستطيع ، وانت المقعد الكسيح اكتشاف جريمتنا» .

ومضت ناهدة في التفكير : ان زوجها رجل شهــم نبيل ، فكيف تبادله الشهامة خداعا ، والنبـــل خيانة ، وجريمة ؟..

يجب ان تعترف له . يجب ان تكفر عن جريمتهـــا بالاعتراف ..

ولكن ..

وتوقفت زوجة سليم الراشد عند كلمة «ولكن» ..

ولكن ماذا سيحل بسليم اذا وقف علـــى جريمتها ، وعلى خيانتها ، وعلى علاقتها الاثيمة بالدكتور ماجـــد زهـــران ؟..

ماذا سيحل به ؟ من المؤكد ان الكارثة ستكـــون هائلة رهيبة ..

ستزيد مرضه مرضا ، وعذابه عذابا .

اي سهم حاد مرهف سام سيخترق قلب سليم الراشد ، وقد علم ان زوجته التي احبها ملء قلبه وروحه، والتي يريد ان يهبها كل ما يملك على هذه الارض ، هي زوجة خائنة مجرمة شريرة ؟.

من المؤكد ان الضربة ستكون قاصمة شديدة الوقع ، وقد تقضي عليه .

ماذا ستفعل اذن ؟.

هل تعترف ؟.

لا ... هي لن تعترف ..

اجل ... يجب ان تعترف .

وكادت ناهدة تضيع في تفكيرها المؤلم الرهيب .

كادت تصاب بالاغماء ، وقد عجزت عن اتخاذ اي قرار حاسم ، حازم ، صريح .

فهي لا تستطيع ان تعترف لزوجها ، ولا تستطيع ان تحمل ذلك السر الثقيل في صدرها ...

وهمست في سرها : يا رب !. ارحمني يا الله وانقذني من هذا العذاب الموجع الاليم .

وكان سليم الراشد يراقب زوجته فيما كانت ناهدة تفكر ..

واحترم صمتها وتفكيرها فلم ينبس بحرف ..

واخيرا ، وبعد صمت طويل ، التفت سليم الى زوجته

ليقول : ناهدة !•• ما بك يا حبيبتي ؟ اراك قلقة الخاطر مضطربة الفؤاد ، شاردة الذهن ، والدمع يتدحرج على وجنتيك النديتين؟ هل هناك ما يعذبك يا حبيبتي ؟• روحي فداك يا ناهدة •

فهمست ناهدة ، وهي ترمق زوجها بنظرة حائرة من خلال دموعها : انا بألف خير يا سليم • انني بخير ، ما دمت انت قربي •

قال : لماذا تخفين عني اسرارك يا ناهدة ؟ قولي لي يا حبيبتي ما بك •

وكان عليها ان تجيب على سؤال زوجها •••

ولجأت الى الحيلة ، والمرأة ابنة الحيلة ، واختها ، وامها • فهمست : لقد اثّرت بي هذه البادرة التي ابديتها نحوي يا سليم • لم يكن لك ان تقف علي ثروتك كلها وهناك اخواتك واقاربك • ثم •• ثم ماذا ستفيدني هذه الثروة اذا خسرتك . لا سمح الله • انا لا اريد مالا ، لا اريد ذهبا ، لا اريد ثروة • اريد ان تظل قربي يا سليم •

فاكبر سليم الراشد في زوجته تلك العاطفة المقدسة الشريفة النبيلة : يا لها من زوجة محبة مخلصة وفية •••

وأثاره الحنين فتمتم : هاتي يدك يا حبيبتي •••

ومدت له يدا باردة واهية مرتجفة صفراء •

فامسك سليم الراشد بتلك اليد يداعب اصابعها

ويهمس : يا حياة سليم يا ناهدة •• انا ليس لي غيرك في هذه الحياة • انت زوجتي ، وحبيبتي ، وكل اقاربي • اريد ان اضمن لك الحياة الهانئة السعيدة ، وانا تحت التراب •

فعادت الدموع تغمر عينيها النجلاوين الجميلتين •

ومضى سليم في كلامه ليقول مازحا : قد تساعدك هذه الثروة على ايجاد عريس يا ناهدة !••

فانتفضت ناهدة وقد آلمتها اللسعة • وهمست : لماذا تنطق بمثل هذا الكلام المؤلم الجارح ، اللاسع ، يا سليم ؟••

فشدت يده يدها.وهمس : اردت ان امازحك يا حبيبتي ، لأبعد عنك الحزن والالم •

قالت : ولكن كلامك هذا يزيدني ألما يا سليم • هل يخيل اليك انني اتمنى موتك لأظفر بالثروة ، واحظى بعريس ؟••

فشدت اصابعه اصابعها على شوق وهوى وحنين وهمس : لا يا ناهدة ••• لا يا حبيبتي • انا اعرف اي عاطفة صادقة هي عاطفتك النبيلة ، واعرف اي اخلاص هو اخلاصك ، واي وفاء هو وفاؤك • لا تأخذي مزاحي جدا يا حبيبتي • ان الاعمار بيد الله • والانسان معرض دائما وابدا لخطر الموت • ان الموت يكمن لنا في كل لقمة

نأكلها ، وفي كل جرعة نجرعها ، وفي كل خطوة نخطوها. الموت كاللص ، كما قال السيد المسيح له المجـــد : «لا تعرفون متى يأتي السارق أفي الصباح ام فـي المساء ام عند صياح الديك » . لذلك ، فمن الافضل ان يظـــل الانسان متأهبا للرحيل . وانا اردت ان اكون متأهبا ، فأرحت ضميري بان سجلت كل ما املك على هذه الارض باسمك .

وتشابكت اصابع الزوجين ..

وشعر سليم الراشد بالسعادة الوارفة الخضراء تغمر حنايا قلبه وروحه ، ويده تشد يد زوجته المخلصة الوفية الحسناء .

الفصل الرابع عشر

الدكتور ماجد زهران حائر ، مضطـرب ، قلق ، لا يستقر على حال ...

غدا موعد أجراء العملية الجراحية لسليم الراشد .

وسيشفى سليم ، وبشفائه ينقطع الدكتور ماجد عن زيارة سليم ، ويحرم من مشاهدة حبيبته ناهدة .

يوم غد سيكون يوما تاريخيا في حياة الدكتـــور ماجد زهران .

وسيشيع ماجد زهران قلبه غدا الى المقـر الاخير ، ويدفن حبه الندي العود .. رحم الله هذا الحب ، كم كان مؤلما ، دامعا ، رهيبا .

وانزوى الدكتور ماجد زهـران في غرفته يدخن ، ويفكر ، ويبكي .. وتدحرجت الدموع على وجنتيـــه بغزارة .

وشعر بالام مبرحة تعصف بصدره ، وتكاد تقطع انفاسه ، فلجأ الى الادوية يجرعها ليبعد عنه الوهن والعياء •

واسدل الليل ستاره على بيروت ، ليزيد الظلام في قلب الدكتور ماجد زهران ظلاما ، ويغمر روحه الهائمة الحيرى بالوحشة ، والكآبة ، والحزن العميق ••

وتمنى ماجد ان يطول الليل • تمنى ان يبتلع الليل الصباح ، تمنى الا يطلع الفجر ، وهو يعلم ان ذلك الفجر سيحمل له الكارثة الرهيبة السوداء •

الا ان امنية الدكتور ماجد زهران الغالية لم تتحقق •

فقد بزغ الفجر ساكبا على بيروت نوره الوردي الجميل ليبعث اليأس والقنوط في قلب الدكتور ماجد زهران •

ونهض ماجد بوهن وعياء ، ليخرج من غرفته الى الشرفة ، وهو يحاول الهرب من هواجسه ، ومخاوفه ، وافكاره المقلقة السوداء ••

الا ان المحاولة لم تنجح ، فقد سبقته الهواجس والافكار الى الشرفة ••

ومضى الدكتور ماجد في تفكيره ، وهو واقف على شرفة داره ••

وبدأت انوار الفجر الوردية اللون تنحدر امام

جيوش الصباح البيضاء ، والدكتور زهران واقف على الشرفة يدخن ويفكر •

وكانت الدنيا سوداء في عينيه •

كان يرى في انوار الصباح ظلاما قاتما مدلهما ، ومن كان الظلام في قلبه يرى الدنيا كلها ظلاما في ظلام •

وجاءته الخادمة بالقهوة ، فرشفها على عجل ، ودخل الى غرفته ليرتدي ثيابه ويهم بالخروج من الدار •

الا ان الخادمة اعترضت سبيله قائلة : ان الطعام جاهز يا سيدي •

ولم يجب ماجد بحرف ، بل هو تابع سيره خارجا من الدار ، دون ان يلتفت الى الخادمة •

ولم تتعجب الخادمة لما بدر منه ، كانت تلك الخادمة قد تعودت من سيدها مثل ذلك التصرف الغريب ، وكانت تأسف لمصير سيدها شديد الاسف ، وهي لا تجهل اي مصير هو ذاك المصير •

واستقل ماجد سيارته الخاصة ، واطلق لها العنان في طريق المستشفى •

ووصل الى المستشفى ، والساعة تعلن السابعة من الصباح ، وشخص توا الى مساعده في المستشفى ليقول له : هل اجريتم الاستعدادات اللازمة للمريض سليم الراشد ، تأهبا لاجراء العملية ؟••

وقال الطبيب المساعد : اجل •• منـــذ مساء امس اجرينا جميع هذه الاستعدادات •

قال : هل غرفة الجراحة جاهزة ؟••

واجاب : نعم ••

قال : فلينقل سليم الراشد الى غرفـــة الجراحة • سنجري له العملية الان •

ولاحظ الطبيب المساعد المتمرن ، القلق ، والاضطراب والوهن على الدكتور ماجد زهران ، فتمتم : يبدو انـك متعب يا دكتور • ارى ان تؤجل موعد العملية الى الغد•

واستشاط الدكتور ماجد غضبا •

كان ماجد يريد ان يغضب ، يريد ان يثور ، يريد ان ينفجر ، فكأنه كان ينتظر كلمة واحدة تثيره ليثور ، وهدر: من قال لك انني متعب ؟ لماذا تنطق بغير الحقيقة ؟•• اتريد ان تؤخر شفاء المريض البائس ؟•• قلت لك انا ساجري الجراحة الان • هل فهمت ما اعني؟•• اين هي الممرضة؟•• اين هي ؟•• نادها الي •• فلتحضر الان • الان حالا •

ودهش الطبيب المساعد لثورة الدكتور ماجد زهران• فهو لم يلمس فيه قبل الان هذه الثورة الجامحة ، العاتية، الهوجاء •

ووجم الطبيب • ونادى الممرضـــة • فاقبلت ذات الثوب الناصع البياض لتقول : بماذا يأمر الدكتور ماجد ؟

قال : اسرعي في تهيئة غرفة الجراحة .

قالت : الغرفة جاهزة يا سيدي .

قال : فلينقل المريض سليم الراشد اليها حالا .

وهمست : حاضر يا دكتور .

وخرجت الممرضة .

والتفت الدكتور ماجد الى مساعده ليقول : تعال معي . سنبدأ باجراء الجراحة الان .

قال ماجد هذا ، وسار الى غرفة الجراحة ليرتدي الثوب الابيض ، ويغسل يديه بالكحول المعقمة ، ويضع على وجهه القناع الابيض .

وما هي لحظات ، حتى وصل سليم الراشد الى غرفة الجراحة .

وهمس سليم ، وهو يشاهد الدكتور ماجد زهران: ماذا يا دكتور ؟.. هل يقدر لسليم الراشد ان يخرج حيا من هذه الغرفة ؟..

وهمس ماجد : ان شاء الله .

وبدا الخوف الشديد على وجه سليم ، فهو لا يجهل اي خطر يحدق به ، ان الموقف حرج ، رهيب ، مخيف. واي انسان لا يرهب ذلك الموقف، ولا يفكر بالموت ، وهو يدخل الى غرفة الجراحة ، ويشاهد الطبيب الجراح في ثوبه الابيض ، وفي قناعه الغريب ؟..

وفي حين كانت الممرضة تمدد سليما على منضدة الجراحة • كان الدكتور ماجد يستعرض جميع الصور التي اخذت لعظم سليم الراشد ، ويراجع تقارير الفحوصات التي وضعها الاطباء الاختصاصيون ••

ووقف الدكتور ماجد الى النافذة يراقب من خلال زجاجها السحب المبعثرة في الفضاء ، كأنها قطيع من الغنم ابيض الصوف ، في حين كانت الممرضة والطبيب المساعد يخدران سليما •

وهمس الدكتور زهران ، وهو ينظر الى الفضاء: يا رب !•• ايها الاله القوي القدير العظيم !•• يا اله السماوات والارض •• يا مبدع الاكوان وخالق الانسان، يا الهي وسيدي ، رفقا بي • ارحمني يا الله وقوني وساعدني • وخذ بيدي • انت وحدك يا رب تعرف اي موقف هو موقفي ، واي قلق هو قلقي ، واي الم هو المي ، واي عذاب هو عذابي •

واذا بالدموع تتدحرج على وجنتي الدكتور زهران، واذا به يغرق في تفكير عميق ، ويستغرق في صلاته ، ويضيع في عالم سحيق قصي بعيد •

ولم يستفق الدكتور ماجد من تفكيره الا على صوت مساعده يقول : كل شيء جاهز يا دكتور • لقد استغرق المريض في التخدير •

واسرع الدكتور زهران الى سليم الراشد وبـــدأ باجراء الجراحة ، وقد شعر ببعض الاطمئنان والثقـــة والارتياح ٠

فكأن تلك الصلاة الحارة التي تمتمتها شفتاه بعثت السلام الى قلبه، وبددت من ذلك القلب الخوف ، والقلق، والوهن ، والاضطراب ٠

يا لقوة الصلاة ٠٠ ليس ثمة قوة على الارض تضاهي قوة مناجاة الرب ، والتضرع للخالق الديان ٠

الفصل الخامس عشر

وصلت ناهدة زوجة سليم الراشد الى المستشفى في الساعة التاسعة من الصباح •

وشخصت ناهدة توا الى غرفة زوجها •

ودهشت عندما شاهدت السرير خاليا •

واسرعت الى الممرضة تسألها بقلق وارتعاش : ايـن هو زوجي ؟••

وهمست الممرضة : زوجك في غرفة الجراحة يـا سيدتي • انه هناك منذ اكثر من ساعة • لقد اشرفـت العملية على النهاية •

ووجمت ناهدة • وتحولت الدهشة في عينيهـا الى ذعر •

واخذت ترتجف كأنها ورقة في مهب الرياح •

لقد نفذ ماجد ما عزم عليه • هو سيشفي زوجها • سيصبح سليم قادرا على النهوض من السرير • وعلـى

السير ، وسينقطع ماجد عن زيارتهم ..

ماذا فعل ماجد ؟.. هل جن ؟.

اهكذا يحكم على قلبها وعلى قلبه بالاعدام ، وينفذ الحكم فورا ؟..

وشعرت ناهدة بدوار شديد .

شعرت بالوهن وبالعياء ، فكادت تسقط على الارض .

وشاهدتها الممرضة في ذهولها، واضطرابها ، ووهنها، وذعرها ، فخيل اليها انها قلقة على مصير زوجها .

وتقدمت منها لتمسك يدها هامسة : لا تقلقي يا سيدتي . ان الدكتور ماجد زهران يجري العملية لزوجك بنفسه ، والدكتور ماجد من كبار الجراحين ، ان زوجك سيشفى باذن الله .

ولم يكن كلام الممرضة الا ليزيد في قلق ناهدة ، وفي ذعرها ، واضطرابها .

وقادتها الممرضة الى الصالون واجلستها على مقعد رجراج ، وراحت تسكب في اذنيها كلمات التهدئة والتشجيع .

ولم تلبث الممرضة ان انصرفت تاركة زوجة سليم الراشد في الصالون ...

وانفجرت الدموع غزيرة من عيني ناهدة .

كانت تبكي دون ان تعلم لماذا تبكي وتذرف الدمع دون ان تعلم لماذا تذرف الدمع .

وشعرت بضيق شديد في صدرها يكاد يخنق انفاسها ، فنهضت لتسير في ممر المستشفى ، باحثة عن غرفة الجراحة .

ولم يطل بها البحث . ها هي غرفة الجراحة ، هناك في اخر الممر الطويل .

وشخصت الى تلك الغرفة .

ووقفت امام الباب الموصد وهي ترتجف كأنها ريشة في مهب الهواء : ترى ماذا يجري داخل تلك الغرفة ؟.. هل انهى ماجد عمله ؟

هل تكللت العملية بالنجاح ؟..

هل فشلت ؟..

الا يزال سليم حيا ؟..

واخيرا هل مات سليم ؟..

هل قضى ماجد عليه ؟..

ووجمت ناهدة وقد وصلت بتفكيرها الى هذا الحد. وانقطعت الدموع فجأة عن الانحدار على وجنتيها ..

وغمرتها موجة شعور غامضة . وهي تفكر بموت سليم . لم تحزن .. ولكنها لم تفرح .. مسكين سليم الراشد ، ما هو ذنبه ؟. ماذا اقترف سليم ؟ ماذا جنى

عليها ؟.. بماذا اساء اليها ؟.

هو لم يجنِ عليها ولا هو اساء اليها .

لقد كان لها مثال الزوج المخلص المحب الوفي ...

اغدق عليها حبه ، وعطفه ، وماله . وخصها بكل ثروته ..

ولكن .. ولكن سليما وقف بينها وبين حبيبها ماجد .

الا يكفي هذا الذنب ؟

لقد خسرت ماجدا وماذا تفيدها اموال الدنيا كلها عندما تفقد حبيبها ماجدا ؟.

وضاعت ناهدة في تفكيرها ، كانت افكارها كبحر هائج الامواج ثائر الرياح .

وطال وقوفها امام تلك الغرفة ..

واخيرا ، وبعد انتظار طويل فتح باب الغرفة ، واطل منه ماجد ، وهو ما زال يرتدي الثوب الابيض .

ووثبت ناهدة اليه صارخة : ماجد ؟..

الا ان ماجدا لم يلتفت اليها ، بل هو اشاح بوجهه عنها لئلا ترى الدموع المترقرقة في عينيه ..

وسار ماجد ، بخطوات متئدة واهية ، الى مكتبه في المستشفى ..

وهرولت ناهدة وراءه لاحقة به ..

ودخل الدكتور ماجد زهران الى مكتبه ..
ودخلت وراءه ناهدة ..
واقتربت منه لتقول : ماذا فعلت يا ماجد ؟..

ولم يجب ماجد ، بل هو مد لها يده يصافحها هامسا بصوت تخنقه العبرات : لك تهاني يا سيدتي . لقد نجحت العملية . زوجك سينهض من السرير وسيكون قادرا على المسير بعد ايام قليلة .

قال الدكتور ماجد هذا ، والقى بجسده الواهي ، المضطرب ، المرتجف ، على المقعد الجلدي الوثير .

واخفى وجهه بيديه ، واجهش بالبكاء .

وشعرت ناهدة بثورة لاهبة حمراء .

شعرت بالنار تأكل قلبها ، وبالالم العميق العظيم يغمر روحها ، والدكتور ماجد زهران يعلن لها نجاح الجراحة..

وتقدمت منه تمسك بكتفيه وتصرخ به وهي تبكي: ماجد !.. ماجد !.. ماجد ماذا فعلت بقلبي يا ماجد ؟ ماذا فعلت ؟ شفيته لتقتلني ؟. لتذبحني ؟. لتميتني ؟ ماذا فعلت بقلبي يا ماجد ؟ ماذا فعلت ؟

وتلاشت قواها وهي تجهش بالبكاء .

وهوت بها قدماها ، فسقطت على الارض امام ماجد ، وهي تولول : ماذا فعلت بقلبي ؟. ماذا فعلت بقلبي يا ماجد ؟..

ووقف الدكتور ماجد زهران ليرفعهــا عن الارض ، ويهمس في اذنها: ناهدة !. اذهبي الى زوجك . انزوجك بحاجة اليك الان يا ناهدة ..

قال هذا واسرع بالخروج مــن الغرفة لا يلـــوي على شيء .

الفصل السادس عشر

وشفي سليم الراشد ...

ونهض من السرير .

واصبح قادرا على المسير ...

وبحث سليم الراشد عن الدكتور ماجد زهـــران ليشكره على ما بدر منه حياله . الدكتور ماجد زهــران صاحب فضل على سليم الراشد ، لولاه لظل سليم كسيحا مقعدا طيلة ايام حياته .

الا ان سليما لم يقف على اثــر للدكتور ماجــد زهران . فقد اختفى الدكتور زهران فجأة ..

وطلب سليم الراشد الى زوجته ناهدة ان تساعده في البحث عن الدكتور زهران ، قال : ناهدة ! الدكتور ماجد صاحب فضل على زوجك . جميله سيظل في عنقي حتى الموت . يجب ان نجده لنرد له الجميل . ساعدينــي يا ناهدة في البحث عنه .

وناهدة ، لم تكن بحاجة الى من يطلب اليها البحث عن ماجد ..

كانت ناهدة قد بحثت عن ماجد الا انها لم تقف له على اثر . فلا هو في داره ، ولا هو في عيادته ولا هو في المستشفى ..

وخيل اليها ان ماجداً عاد الى القرية فشخصت الى القرية الرابضة في سفوح جبال المتن في لبنان على هنأة واطمئنان تسأل عن الدكتور ماجد زهران ، الا ان جميع جهودها ذهبت ادراج الرياح . لم يكن ثمة في القرية من رآه ، ولا هناك من يعرف عنه شيئاً ..

وحزنت ناهدة حزنا عميقا شديدا ، وقد ابتعد عنها حبيبها ماجد .

وذبلت نضارتها ، واتتابها الهزال فبدت دائمة الحزن دائمة الاسى لا تفارق الدموع مقلتيها .

كانت ناهدة تفكر ابدا بماجد ، كانت تقضي نهارها في البكاء ، وتقضي ليلها ساهرة ، تناجي طيف الحبيب الممعن في الصد ، والنوى ، والهجران .

وقلق سليم الراشد على زوجته شديد القلق ..

وخشي ان يفقد زوجته الحبيبة . فوثب اليها يقول: ناهدة !.. ما بك يا حبيبتي ؟ انني لأراك ابدا في هم ، وحزن ، واسى . ما بك يا ناهدة ؟ ما بك يا حبيبتي ؟

وهمست ناهدة : لا شيء ، لا شيء يا سليم ، انا قربك بالف خير .

قال : هل ترغبين في السفر الى خارج لبنان ؟ انا على استعداد للسفر . انني لأرغب في زيارة اوروبا واميركا . اريد ان اطوف العالم لأعوض عما فاتني من السعادة ، والبهجة ، والسرور ، طيلة تلك الايام السوداء التي قضيتها في السرير .

قالت ، وكأنها لا تريد ان تبدي رأيا : كما تريد يا سليم .

قال : استعدي للسفر يا ناهدة . بعد ايام قليلة سنغادر لبنان الحبيب الى اوروبا. سنطوف مدن وعواصم العالم ، ونغيب عن لبنان سنة كاملة ، لنعود بعدها الى الوطن الحبيب ، وقد تعافيتِ ، وطردتِ عن قلبك الطاهر الحنون الهم ، والحزن ، والشجن .

فعادت ناهدة الى التمتمة، وهي تحدق بالافق البعيد البعيد : كما تريد يا سليم ، كما تريد .

وكان ما اراد سليم ...

وسافرت ناهدة مع زوجها الى العواصم والمدن الاوروبية .

وطاف بها زوجها اكثر المدن والعواصم ، الا ان ناهدة لم تكن لتشاهد الا الظلام ...

الدنيا كلها ظلام في عينيها • لا فرق لديهـا اكانت في بيروت ، ام في مدريد ، ام في جنيف ، ام في روما••

خيال ماجد ماثل ابدا امام عينيها ، وطيفه الحبيـب جاثم ابدا على وسادتها المبللة بالدموع •

وحطت بهما الرحال في باريس • في العاصمـة الفرنسية الصاخبة المجنونة الحسناء •

وراح سليم الراشد يطوف مع زوجته الحبيبـة النوادي والملاهي والمراقص الفرنسية محـاولا ان يخرج بناهدة عن حزنها ، وقلقها ، وألمها ، واضطرابها •

وذات ليلة ، فيما سليم الراشد وزوجته يجلسان في ملهى «المولان روج» في باريس ، يشاهدان البرنامـج الجميل ، تقدم منهما رجل ، والبسمـة تطفو علـى شفتيه •••

وشاهد سليم الراشد الرجل ، فوقف يصافحـه بحرارة متمتما : الدكتور فريد نجار ؟• انت هنا ؟ مـاذا جئت تفعل في باريس ؟••

وصافح الدكتور فريد نجار صديقه الحميم سليـم الراشد وتمتم : انت ماذا جئت تفعل هنا ؟

قال سليم : انني اطوف مع زوجتي اوروبا بأسرها• وسننتقل الى اميركا • اريد ان اعوض عما فاتني مـن السعادة طيلة تلك الايام الرهيبة التي قضيتها في السرير

يا دكتور . تعال . تعال اجلس معنا هنا .

وصافح الدكتور فريد نجار ناهدة . وجلس قرب سليم ...

ودار الحديث بين الدكتور فريد نجار وبين صديقه سليم الراشد .

وقال سليم : انت صاحب الفضل علي يا دكتور . لقد كنت واسطة التعارف بيني وبين صديقك الدكتور ماجد زهران . انت قدت الدكتور ماجد الي وقلت لي : «هذا هو الطبيب الذي سيشفيك» . اتذكر يا دكتور فريد ؟

قال الدكتور فريد نجار : اجل . اذكر . وهل تراني خدعتك ؟ الم يشفك الدكتور ماجد زهران ؟.

قال : لا . لم تخدعني . سلمت يده لقد شفاني كما ترى .

فظهر الأسى على وجه الدكتور نجار ، وهمس : مسكين ماجد زهران . لقد شفاك يا سليم الا انه لم يستطع ان يشفي نفسه .

وأرهفت ناهدة اذنيها .

والتفتت الى الدكتور فريد نجار تسأله بهلع وخوف وذعر : ما به الدكتور ماجد زهران ؟. ما به ؟

فهز الدكتور نجار رأسه بأسف. وهمس : مسكين..

انه هنا في باريس هو الان في مستشفى القلب الاقدس.
انه يحتضر ..

واشتد الذعر بناهدة .

وهمس زوجها بدهشة وألم : الدكتور ماجد زهران يحتضر ؟. اتكون جادا في ما تقول يا دكتور ؟..

قال الدكتور نجار بأسف شديد : هذه هي الحقيقة المؤلمة يا صديقي . بعد ان اجرى لك الدكتور زهران العملية الناجحة غادر لبنان وجاء الى باريس . وهنا في العاصمة الفرنسية اصيب بهزال شديد مخيف لم يستطع اطباء فرنسا الماهرون ان يعرفوا سببه . وسار الدكتور ماجد زهران خطوات سريعة في طريق الداء .. واصبح عاجزا عن النهوض من السرير فكتب لي يدعوني الى الحضور إليه . وجئت الى هنا منذ شهر ، ومنذ شهر وانا احاول ، مع مشاهير اطباء فرنسا ، انتزاع شباب زميلي ، وصديقي الحبيب ماجد زهران من براثن عزرائيل، الا ان جميع جهودنا ذهبت ادراج الرياح . ان الداء في قلب ماجد ، في روحه ، في نفسه ، والطب يقف عاجزا عن قهر مثل هذا الداء . ان ماجدا سيموت . لن يعيش ماجد زهران يا سليم . مسكين . يا ضياع شبابه ويا ضياع مهارته ومقدرته . ان الطب سيفقد عملاقا من عمالقته بفقد الدكتور ماجد زهران .

وكانت ناهدة تنتفض كعصفور ذبيح وهي تستمع الى كلام الدكتور فريد نجار •

وكادت تسقط عن المقعد وقد تلاشت قواها ووهنت عزائمها •

والتفت زوجها اليها ليقول بذعر : ناهدة !•• ما بك يا ناهدة ؟•

وهمست ناهدة بعياء : لا شيء • لا شيء •

قال الدكتور نجار مخاطبا زوجة سليم الراشد : ولكنك ترتجفين يا سيدتي • ما بك ؟

فهمست بعياء ووهن : خذوني الى ماجد •• خذوني اليه •

خذوني الى ماجد ؟••

وهي تنتفض وترتجف وتبكي ؟••

وسقطت الغشاوة عن عيني سليم الراشد فجأة •• زوجته تحب ماجدا •• كل ما فيها ينطق بحب الدكتور ماجد زهران •

عيناها الدامعتان •

شفتاها المرتجفتان •

يداها الصفراوان الواهيتان •

ناهدة تحب ماجدا •

اتكون ناهدة خائنة ؟•• مستحيل !•• مستحيل •

ناهدة مخلصة وفية ، لا تخون •

وهمس سليم في اذن ناهدة : ما هي علاقتك بماجد يا ناهدة ؟ قولي لي كل شيء • كل شيء • لا تخفي عني شيئا ••

قالت : ماجد زهران كان حبيبي قبل ان اتعرف اليك يا سليم • كان وما زال حبيبي • انني اعترف لك ، انا لم اخنك ، لم تزل قدمي في الطريق الوعر الشائك البعيد يا سليم •• لا ، يشهد الله انني لم آلوث شرفك ، ولم الطخ جبينك بالعار • لقد أحبت روحي ماجدا • احبته، وستظل تحبه الى الابد • اما جسدي فهو لك • لك انت يا زوجي •• يا •• يا •• سليم •

وهدر سليم الراشد : لماذا لم تقولي لي الحقيقة قبل الان ؟ لماذا لا تخبريني كل شيء ؟ لماذا لم تصارحيني بالحقيقة يا ناهدة ؟• لماذا ؟• لماذا ؟•

وكان الدكتور فريد نجار يستمع الى اعتراف ناهدة والدهشة تعقد لسانه ••

وعادت ناهدة الى التمتمة ، وهي تجهش بالبكاء : خذوني اليه اريد ان اراه قبل ان يموت، قبل ان يلفظ انفاسه •

وهمس الدكتور نجار في اذن سليم الراشد : يجب ان تراه يا سليم • هل تسمح لها بزيارته ؟

قال سليم الراشد والالم يهزه هزا : اجل .. اجل.. وسأكون انا برفقتها ايضا .

قال الدكتور نجار : ان زيارة المرضى ممنوعة في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل . الا انني ساكون برفقتكما ، والطبيب يستطيع الدخول الى المستشفى في اي ساعة يريد .

قال الدكتور نجار هذا ونهض ..

ونهض سليم الراشد ، ونهضت ناهدة .

وتأبط سليم الراشد ذراع زوجته ليساعدها على المسير ..

وساروا ...

وخرجوا من الملهى الى سيارة الدكتور نجار .

وجلست ناهدة قرب زوجها في المقعد الخلفي ، وهي في حال تفتت الاكباد .

وجلس الدكتور نجار الى مقود سيارته واطلق لها العنان ..

واجتازت السيارة الانيقة الفخمة شوارع باريس بسرعة جنونية ..

ووصلت بهم الى ضواحي العاصمة الفرنسية .

وتسلقت السيارة ربوة خضراء لتقف امام مستشفى شاهق منيف ..

وكان الليل يتأهب للفظ انفاسه عندما دخل الثلاثة الى المستشفى . الدكتور نجار، وسليم الراشد، وناهدة..

وسار الدكتور فريد نجار امام سليم الراشد وزوجته في ممر طويل . ووصل الى امام باب غرفة بيضاء وفتح الباب ، ودخل ..

ودخلت وراءه ناهدة ، والذعر يطل من عينيها .

ودخل وراءها سليم ..

وشاهد الثلاثة منظرا يفتت الاكباد.. الدكتور ماجد زهران ملقى على سرير ناصع البياض وصورة ناهدة بين يديه ..

وكان رأس ماجد متكئا على الوسادة بوهن . يفتح عينيه ثم يغمضهما على دموعه ، وحشرجة الموت تقطع عليه انفاسه ..

وهناك قرب السرير وقفت ممرضة تمده بالمصول ، محاولة تخفيف الامه المبرحة ، وعذابه الموجع الاليم ..

وفتح ماجد عينيه فوقعتا على ناهدة ، وهمس : اين انا ؟ انني احلم .. ناهدة !. حبيبتي ناهدة ..

ووثبت ناهدة اليه مولولة : ماجد !.. يا حبيبي .. انت هنا تعاني وطأة الداء وانا انعم بالراحة والسعادة ؟.. يا حياة ناهدة يا ماجد ..

وارتمت ناهدة على صدر ماجد وهي تجهش

بالبكاء ..

وهمس ماجد : أأكون في حلم ؟. ناهدة هنا ؟ هنا قربي ؟ لا ... لا ... لا ... مستحيل .

ووقف سليم الراشد على وجوم ..

وتقدم الدكتور فريد نجار من ماجد ليقول : اجل يا ماجد .. ناهدة هنا قربك .. لقد قادها الله اليك لتشاهدها وتشاهدك ..

وامتدت يد الدكتور ماجد زهران الى رأس ناهدة الملقى على صدره وراحت اصابعه تداعب خصلات شعرها بعياء وهمس : ناهدة .. اين انت ؟ انا لا اراك.. اذكريني يا ناهدة . اذكريني يا حبيبتي .. انا راحل الان .. احس بالموت يقترب مني .. ما احلى الموت ، وما اجمله وانت قربي ، يا ناهدة يا حبيبة قلبي وروحي .

واذا باصابعه تتراخى فجأة وتفلت خصلات شعر ناهدة .

جذوة الحياة خبت في ذلك الجسد الندي الشباب..

لقد مات الدكتور ماجد زهران .

وذعرت ناهدة ..

واخذت تولول : ماجد !.. ماجد !.. كلمني يا ماجد .. رد علي . ماجد .. ماجد !. ماجد ..

وتقدم الدكتور نجار منها يرفعها عن صدر ماجد

هامسا : ارحمه يا رب •

وهناك ، قرب السرير ، كان سليم الراشد واقفـــا والدموع تغمر عينيه ، والالم يعصف به ، والوجوم يطل من عينيه •

وهمس سليم باسف واسى ، وهو يمســح دموعه : انا قتلت هذا الشاب •

وكان الفجر قد بدأ يطل على باريس عندما خرج سليم الراشد ، وزوجته ، والدكتور فريد نجار ، من مستشفى القلب الاقدس تاركين جثة ماجد في حراسة الممرضات •

وكانت ناهدة في حال تفتت الاكباد •

كانت تبكي بدموع غزيـــرة وتتمتم : ماجد •• ماجد •• ماجد ••

وفي اليوم التالي شيع جثمان الدكتور ماجد زهران الى المقر الاخير في مقبرة مستشفى القلب الاقدس ••

وسار وراء النعش ثلاثة لبنانيين : الدكتور فريد نجار، وسليم الراشد ، وزوجته ناهدة ••

وعندما ووري النعش الثرى ارتمت ناهدة علـــى الضريح تقبل ترابه وتبكي بدموع قانية الاحمرار •

وعاد سليم الراشد بزوجته الى لبنان وقد هـــدت الكارثة جسده النحيل •

لم يكن حزن سليم الراشد على ماجد زهران بأقـل

من حزن ناهدة ..

وخيل لسليم الراشد انه هو السبب في موت الدكتور ماجد . فكان يردد ابدا : انا قتلت هذا الشاب .. انـــا قتلتـــه .

واذا بسليم الراشد يصاب ذات ليلة بذبحة قلبية ، لم تمهله سوى دقائق .

دقائق قليلة واسلم الروح .

واصبحت ناهدة وحيدة في هذه الحياة .

لقد فقدت حبيبها وفقدت زوجها ..

وباتت الدنيا ظلاما قاتما في عيني ناهدة مجبور .

واقامت ناهدة في دارها في بيروت لا تخرج من تلك الـــدار ..

واذا قدر لها ان تخرج من دارها يوما ، شخصت الـــى محلة الروشة لتجلس وحدها في ذلك المطعم المطل علـــى البحـــر .

ذلك المطعم الذي كانت تجلس فيه مـــع ماجد .. وتنظر ناهدة الى البحر ..

وتسمع صوت ماجد آتيا اليها مع هدير الامـــواج مرددا تلك الكلمات التي تلفظت بها شفتاه : «انظري يـــا ناهدة ، انظري الى هذه الامواج المتواثبة نحو الرمـــال والصخور . انها لتحن ابدا الى الشاطىء ، تماما كما يحن

الانسان الى الموت .. غدا ، يوم تشاهدين هذه الامواج، ويكون ماجد بعيدا عنك اذكريه .. اذكريني يا ناهدة كلما شاهدت الامواج في اندفاعها نحو الشاطىء الشاسع الفسيح ، الرحيب الارجاء » .

وتحدق ناهدة بالامواج المزبدة ، المندفعة نحو الصخور ، ويلوح لها ماجد مقبلا نحوها مع الامواج وهو يبتسم لها ، فتتدحرج الدموع على وجنتيها النديتين ، وتهمس بحرقة وألم وبكاء : ماجد !. اين انت ؟. لماذا تركتني وحدي هنا ؟. لماذا لا تأخذني اليك ؟. ماذا فعلت بقلبي يا ماجد ؟. ماذا فعلت بقلبي ؟

قريبًا في الأسواق

قصة

الأمل الصريع

تصدر

عن

دار الجيل